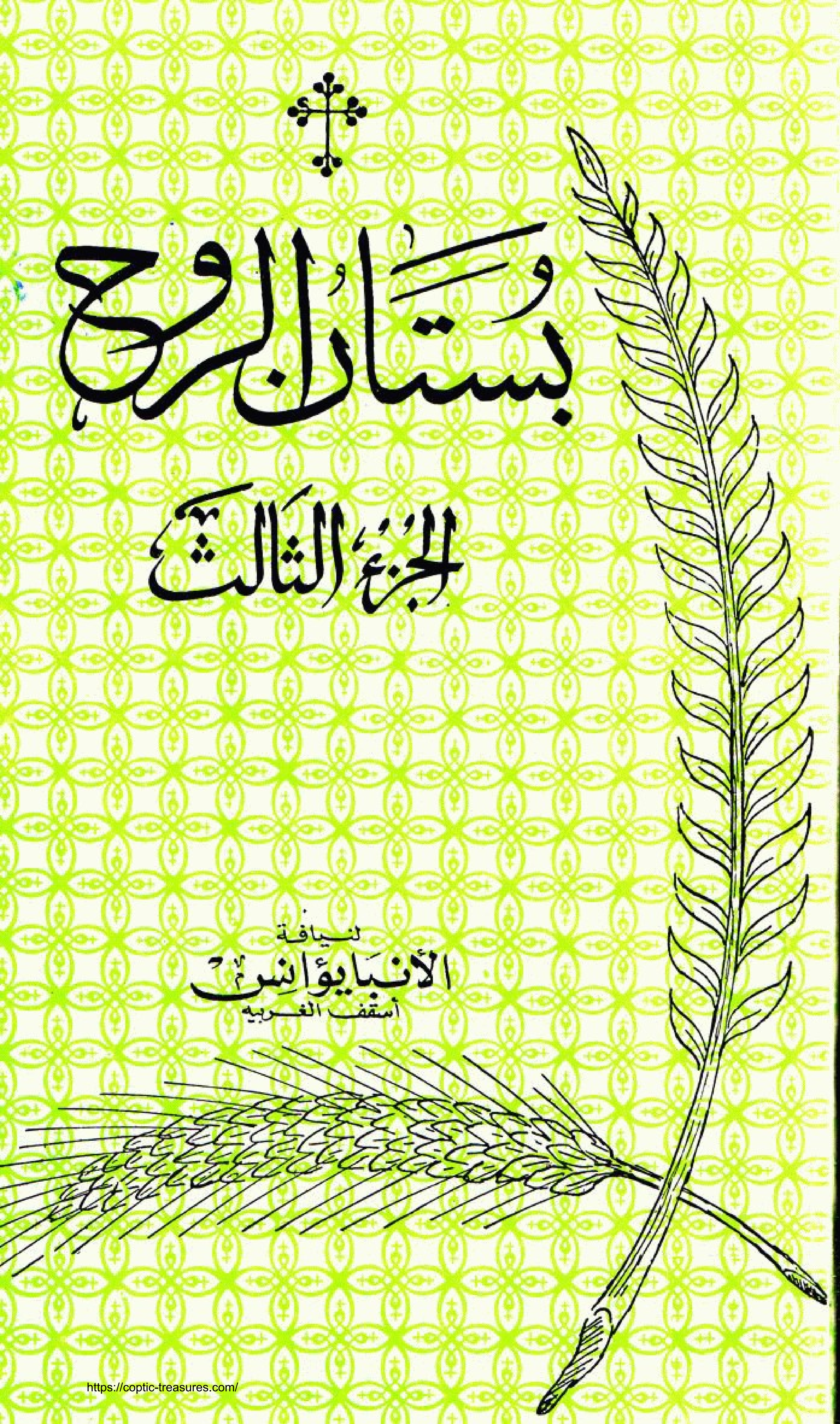
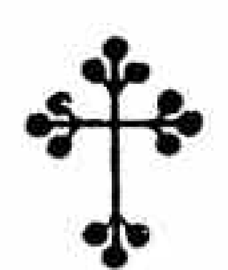

بستان الروح
الجزء الثالث
لنيافة
الأنبا يوأنس
أسقف الغربية
https://coptic-treasures.com/



بستان الروح

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

لنيافة

الأنبا يوأنس

أسقف الغربية

الكتاب : بستان الروح (الجزء الثالث) .
المؤلف : نيافة الحبر الجليل الأنبا يؤانس .
الطبعة : **الثانية مايو ١٩٨٦**
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية ـ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٧٦٦ / ١٩٨٥ م .

تقـــديم

صدر الجزء الأول من كتاب بستان الروح فى عام ١٩٦٠ ، أى منذ ربع قرن من الزمان... والجزء الثانى منه ظهر أوائل عام ١٩٦٣ أى منذ أكثر من اثنتى وعشرين سنة. وكان الترتيب أن يظهر الكتاب فى ثلاثة أجزاء... الجزء الأول يتناول حياة التوبة، والجزء الثانى يتناول موضوع الوسائط الروحية، أما الجزء الثالث فقد أبقيناه للحديث عن الدرجات الروحية العليا...

توقفت عن كتابة الجزء الثالث من بستان الروح لانشغالى فى إصدار كتابين كان العمل بالكلية الاكليريكية يحتاجهما، هما «الكنيسة فى عصر الرسل» ثم كتاب «الاستشهاد فى المسيحية»... بعدها انشغلت فى مهام الأسقفية منذ أواخر عام ١٩٧١. وأصدرنا منذ ذلك التاريخ ثمانية كتب هى العظات التى تعودنا إلقاءها فى آحاد الصوم الكبير من كل عام...

وفى ملء الزمان ... وبعد ربع قرن ، نتمم ما وعدنا به القارىء ، وهو الجزء الثالث من كتاب بستان الروح.

فى هذا الكتاب نتكلم عن المحبة فى ثلاثة موضوعات ، والإيمان فى موضوعين، ثم موضوع عن كل من الرجاء وحياة التسليم وحياة السلام، ومبدأ الباب الضيق فى الحياة الروحية... وأخيراً نختم الكتاب بموضوع كبير عن الملكوت...

فى مقدمة الجزء الأول للكتاب الذى صدر منذ ربع قرن كتبت [هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الألم أولاً وآخراً]... كانت البداية هكذا... وأشكر الله أن هذا الجزء الثالث الذى بين يديك هو أيضاً ثمرة من ثمار الألم، بعد أن عاودتنى آلام الجسد فى صورة أخرى أكثر خطورة...

لقد اختبرت أن ثمر الألم حلو. والله بحكمته يعرف كيف يخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة... وما يهمنى أن أقوله انه إن كنت قد بدأت هذا الكتاب بالألم فقد ختمه الله بالألم أيضاً... وإذا كان للألم هذه البركات فنشكر الله الذى قال بفم رسوله الأمين بولس: «وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (فى ١ : ٢٩).

إنى أقدم الشكر لله من عمق أعماق قلبى الذى أعاننى على إخراج هذا الكتاب. فيده كانت واضحة معى فى الكتابة، ونعمته تفاضلت علىَّ جداً حتى تمت هذا العمل الذى أختمه بالحديث عن الملكوت ...

أضع هذا الكتاب بين يدى الله الذى أحبنا لكى يجعله سبب بركة بكل مَن يقرأه. وليظل دائماً كما كان بستاناً دائم الخضرة تجد فيه كل نفس متعبة راحتها من عناء العالم ...

ونعمة الرب تشملنا جميعاً ولعظمته تعالى كل المجد،

يـــــوأنس

بنعمة الله أسقف الغربية

١١ من سبتمبر سنة ١٩٨٥ م تذكار رأس سنة الشهداء
أول تـوت سـنة ١٧٠٢ ش

الفهرســــت

صــفحة

محبـــة الله للإنســـان

* المقياس عند الله هو المحبة .
* ما هى المحبـــة ؟
  + محبة الله لجميع الخلائق .
  + محبة الله للإنسان .
* فى أى الأمور نلمس محبة الله للإنسان ؟
  + فى خلقة الإنسان .
  + فى التجسّد والفداء .
  + فى عنايته بالإنسان .
  + فى محبته للخطاة .
  + المجد الأبدى للإنسان .
* لماذا يسمح الله بأن يتألم الإنسان ؟

حينما نتحدث عن المحبة ، فإنما نتحدث عن أعظم الوصايا الإلهية ، بل الكل مجموع فى واحد. ونتحدث عما هو شهّى إلى قلب الله الذى هو المحبة ذاتها ... وفى نفس الوقت نتحدث عن شىء يسهل على الإنسان إتمامه . فإنك إن أردت أن تحب الله لا تحتاج إلى جهادات أو أتعاب أو اسفار ومشقات أو أموال أو وساطة بشرية . بل يكفيك الرغبة فى أن تحب الله فلا تجد ما يصدّك أو يمنعك عن ذلك ... **إن المحبة بقدر سموّها وعظمتها فهى سهلة . ومن هذا المنطلق نفهم كلمات بطرس الرسول : «لأنه هكذا يقدّم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى» (٢ بط ١ : ١١) .**

عندما سئل رب المجد يسوع المسيح عن أية وصية هى العظمى فى الناموس ، أجاب على الفور أن يحب الإنسان الرب إلهه من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل فكره ، وقريبه كنفسه . ثم عقّب على ذلك بقوله : «**بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كله والأنبياء» (مت ٢٢ : ٣٥- ٤٠) ... والمعنى أن الله ضمّن وصاياه الإلهية كلها فى وصيتين، بل فى وصية واحدة ذات شقين، هى المحبة** ... إن جميع الوصايا مرتبطة بالمحبة ارتباط الأغصان بأصل الشجرة ، فإذا انفصلت عنها جفّت وماتت ...

ومن منطلقٍ أن المحبة هى : « الوصية الأولى والعظمى » ، وارتباط جميع الوصايا الإلهية بها ، يقول بولس الرسول : «وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر» (١ تى ١ : ٥) . ويضعها هذا الرسول فوق الإيمان الذى ينقل الجبال (١ كو ١٣ : ٢) ، والرجاء الذى به نخلص (رو ٨ : ٢٤) . ويجعلها أول ثمرة من ثمار الروح القدس فى الإنسان المؤمن (غل ٥ : ٢٢) ... ومن جهة فعاليتها يدعوها «رباط الكمال» ... فبعد أن يعدّد الرسول الفضائل المسيحية المتنوعة يقول : «وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال» (كو ٣ : ١٤) ـ إن المحبة ـ بهذا المفهوم ـ تشبه المِلاَط (المونة) الذى يشدّ قوالب الطوب فى البناء . لنتصوّر قوالب الطوب فى بناء مرصوصة بدون ملاط ، ماذا تكون النتيجة ؟! **إن**

المحبة تربط الإنسان بالله، وتربطه بأخيه الإنسان وتربط الفضائل كلها ببعضها، وبهذا يصبح الإنسان العادى «إنسان الله» بحسب تعبير بولس الرسول (٢تى ١٣ : ١٧)... إن ارتباط المحبة ببقية الفضائل تجعلها كخيط المسبحة الذى ينفذ فى كل حبّات المسبحة ويربطها جميعاً. **لذا إذا خلت أى فضيلة من المحبة فهى مرفوضة... بهذا المعنى نفهم كلمات الرسول بولس: «لأن مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس» (رو ١٣ : ٨).**

هذه المعانى كلها دفعت القديس **أغسطينوس** إلى القول: **[الله محبة. ماذا يمكن أن يقال أكثر من هذا؟ إذا لم يذكر شيء فى مدح المحبة فى رسالة يوحنا الأولى أو فى الأسفار الأخرى، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذى قيل لنا عنها بالروح القدس، لما احتجنا لشيء آخر...** إنى أعتبر المحبة انها اللؤلؤة التى توصف فى الإنجيل أن التاجر كان يبحث عنها، فلما وجدها مضى وباع كل ما كان له واشتراها (مت ١٣ : ٤٦). المحبة هى اللؤلؤة الكثيرة الثمن التى بدونها لن ينفعك شيء مهما يكون. **وإذا كانت لديك فإنها تكفيك].**

المقياس هو المحبة :

ومن فرط تقدير الله للمحبة كفضيلة، فلقد جعلها مقياساً لمدى معرفة الإنسان له، حتى أن يوحنا الرسول يقول: «مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة» (١يو ٤ : ٨). وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس: [لقد بذل الآب المسيح، ويهوذا أسلمه. ألاَّ يبدو أن ما حدث كان من نوع واحد؟! كان يهوذا خائناً لأنه أسلمه، فهل الله الآب أيضاً هكذا؟! حاشا لله. لكن الرسول يقول: «الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين». لقد بذله الآب، وهو بذل ذاته. وإذا كان الآب بذل ابنه، والابن أسلّم ذاته، فما الذى فعله يهوذا إذن؟ كان هناك بذل من جانب الآب، وكان هناك تسليم من جانب يهوذا. **لكن ما فعله الآب والابن كان عن محبة، أما ما فعله يهوذا فكان عن خيانة غادرة. لا يُهمُّ الشيء الذى يعمله الإنسان فى حد ذاته بل المهم هو بأى عقل وإرادة فعله.** نحن نجد الله يعمل نفس العمل الذى فعله يهوذا. ونحن نبارك الله ونبغض يهوذا. لماذا؟ لأننا نبارك المحبة

ونبغض الإثم ... المحبة وحدها هى التى تميّز أعمال البشر] ... **إن الإنسان يُكافَأ عن أعماله الحسنة بقدر ما يكون الدافع لها هو المحبة. وهكذا فإن الأعمال ليس لها استحقاق إلاّ على قدر المحبة** ... إن الأمور الجليلة بدون المحبة لا تعتبر شيئاً ، لكن الأمور التى تعتبر تافهة وحقيرة مع المحبة تساوى شيئاً عظيماً . إن كأس الماء البارد الذى يُقَدم بالمحبة له أجر فى السماء .

المحبة ما هى ؟

وقف القديسون والآباء ورجال الله أمام المحبة حائرين مشدوهين . فلقد عجزوا عن التعبير عن كنهها وحصرها بالألفاظ . وهكذا تعددت أوصافهم لها حسبما اختبرها كل واحد منهم ...

فمثلاً **يقول الشيخ الروحانى وهو أحد المتوحدين** : [المحبة ما هى؟ إنها ينبوع الطوبى فى القلب ، ميناء الأفهام ، أنهار ماء الحياة ، علم سر العالمين الكائنين والذين يكونون ... عجيبة هى المحبة التى هى لغة الملائكة ، و يصعب على اللفظ ترجمتها . المحبة اسم الله الكريم . **مَن يستطيع أن يفحصها أو يحدها. مَن شاء أن يتكلم عن محبة الله ، فهو يبرهن على جهله . لأن الحديث عن هذه المحبة الإلهية غير ممكن البتة] .**

و يقول أحد الآباء عن المحبة : [إنها كمال الأعمال الصالحة . هى بركة الفضيلة ، كمال الوصايا الإلهية ، خاتمة الجرائم ، حياة الفضائل ، قوة المجاهدين ، سعف الظافرين ... انها تعيد ثانية إلى الحياة الذين يموتون فى خطاياهم ... الايمان يدركها ، والرجاء يطير نحوها ، تحت ظلها تنمو الطاعة ، بها يغلب الصبر، **وبدونها لم يُسر أحد الله ... المحبة الحقيقية الأصيلة الكاملة هى التى يدعوها الرسول : « طريقاً أفضل »** (١ كو ١٢ : ٣١) . و بالحقيقة هى الطريق الذى يقود أولئك الذين يسيرون فيه إلى وطنهم الحقيقى] .

محبة الله لجميع الخلائق :

ولأن الله محبة فهو يحب جميع خلائقه ، وليس الإنسان فقط ... إنه يهتم

بالحيوانات والنباتات وحتى الجمادات يقول المرنم : « المفجرّ عيوناً فى الأ ودية . بين الجبال تجرى . تسقى كل حيوان البرّ... الساقى الجبال من علاليه . **من ثمر أعمالك تشبع الأرض . المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لاخراج خبزٍ من الأرض** ... ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت . ملآنة الأرض من غناك . هذا البحر الكبير الواسع الأطراف . هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار... **كلها إياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه .** تعطيها فتلتقط . **تفتح يدك فتشبع خيراً** ... **ترسل روحك فتُخْلَق وتجدّد وجه الأرض** » (مز ١٠٤ : ١٠ - ٣٠) . **حينما أعطى الله شريعة السبت طبقها أيضاً على الحيوان ،** يقول : « وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . **لا تصنع عملاً** ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك **وبهيمتك** ونزيلك الذى داخل أبوابك » (خر ٢٠ : ١٠) ... « وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك **لا تعمل فيه عملاً** ما أنت وابنك وابنتك وعبد وأمتك **وثورك وحمارك وكل بهائمك** » (تث ٥ : ١٤) ... « ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلّتها . وأما فى السابعة فتريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك . **وفضلتهم تأكلها وحوش البرية** » (خر ٢٣ : ١١ ، ١٢) ... « **ويكون سبت الأرض لكم طعاماً** لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولمستوطنك النازلين عندك **ولبهائمك ، وللحيوان الذى فى أرضك ، تكون غلتها طعاماً** » (لا ٢٥ : ٦ ، ٧) ... « **لا تكمّ الثور فى دراسه** » (تث ٢٥ : ٤) ... ويقول المرتل : « الكاسى السموات سحاباً ، المهيء للأرض مطراً ، **المنبت الجبال عشباً . المعطى للبهائم طعامها ، لفراخ الغربان التى تصرخ** » (مز ١٤٧ : ٨ ، ٩) ... ويقول الله ليونان بعد أن حزن لجفاف اليقطينة : « أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من أثنى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم **وبهائم كثيرة** » (يونان ٤ : ١١) ... وواضح من هذه النصوص كيف يهتم الله بالحيوانات والبهائم والطيور ، وكيف يدبر لها طعاماً .

وهناك قصة واقعية نشرتها جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ م وكانت مرسلة لرئيس تحريرها من ضابط نقطة بوليس المحرص بجوار مدينة المنيا . ومفادها أن هذا الضابط مع صديق له خرجا إلى خارج البلدة - خلال أحد أيام شهر رمضان وكان قد انقضى - واستندا بظهورهما إلى حائط متهدم منتظرين ساعة

الأفطار. فاسترعى انتباههما دبوّر يحمل حبة قمح و يدخل فى تجويف بأعلا الجدار ويخرج بدونها ... وظل الأمر يتكرر، يأتى الدبور بحبة القمح و يدخل ذلك التجويف ويخرج بدونها ... كان ذلك مثاراً لدهشتهما لعدم وجود علاقة بين الدبور والقمح ـ فتسلقا الجدار، وما أكثر الغرابة التى لحقتهما حينما وجدا فى ذلك التجويف عصفوراً غير قادر على الطيران. وهنا فهما أن الله يعول هذا العصفور و يرسل له طعامه.

ويأتى السيد المسيح ويؤكد نفس المشاعر تجاه الحيوانات والنباتات، يقول: «تأملوا الغربان انها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها» (لو ١٢ : ٢٤) ... «أليست خمسة عصافير تباع بفلسين، وواحد منها ليس منسياً أمام الله» (لو ١٢ : ٦) ... «تأملوا الزنابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم انه ولا سليمان فى مجده كان يلبس كواحدة منها» (لو ١٢ : ٢٧) ... **فإذا كانت هذه النصوص تظهر محبة الله للنباتات والحيوانات وحتى الجمادات، فكم وكم تكون محبته للإنسان الذى خلقه على صورته ومثاله ؟!**

محبة الله للإنسان :

فى سفر نشيد الأناشيد فى العهد القديم يستخدم الله أسلوباً توضيحياً ليصوّر حبه للنفس البشرية من خلال حب العريس لعروسه ... وتشبّه العروس محبة عريسها بأنها أطيب من الخمر (نش ١ : ٢)، وان علمه فوقها محبة (نش ٢ : ٤) ... ويختم الوحى الإلهى هذا السفر بالقول: **«المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها»** (نش ٨ : ٦، ٧) ... **وكتاب العهد القديم ملىء بالعبارات التى تعبرّ عن محبة الله للبشر، لكن هذا الحب تركزّ فى إسرائيل كشعب الله، وإن كان قد ظهر بالنسبة للشعوب الوثنية أيضاً كما حدث مع شعب نينوى الأممى** ... وكمثال لمحبة الله لشعبه، قصة اخراجهم من أرض مصر بيد قوية وذراع رفيعة بصورة معجزية، وكيف عالهم واعتنى بهم مدة أربعين سنة فى برية قاحلة فى رحلتهم من مصر إلى أرض كنعان. اطعمهم طوال هذه السنين بالمن والسلوى وانبع لهم ماءً من صخرة صماء !! **ويستمر الله طوال العهد القديم فى اظهار محبته لشعبه، تارة بالعناية والمعونة وتارة بالتأديب.**

كان هذا فى العهد القديم ... ورغم وضوحها ، **فإن محبة الله فى العهد الجديد التى كشفها وأعلنها فى شخص يسوع المسيح ربنا ، تكشف لنا عن أعماق محبة الله للبشر بصورة لم يسبق لها مثيل ... يكفى أن نتأمل كلمات الرب يسوع لنيقوديموس : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل مَن يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية »** (يو ٣ : ١٦) ... إن هذا التعبير « هكذا أحب الله » ، ينمّ عن عجز اللغة البشرية فى وصف محبة الله للبشر... **فضلاً عن أنه يكشف عن محبة أقانيم الثالوث القدوس للبشر.** فالسيد المسيح لم يقل : « هكذا أحب الآب العالم » ، بل : « هكذا أحب الله العالم » ، **مؤكداً بذلك** حقيقة ثمينة ، هى أن خلاص البشر هو نتيجة محبة الله المثلث الأقانيم ... **كان هذا** الخلاص فى علم الآب السماوى الأزلى ، وأتمّه الابن الوحيد الجنس بالروح القدس فى قلب كل مَن يؤمن... وبعبارة أخرى ، **فإن خلاص البشر دبرّه الآب السماوى الذى هو محبة ، وأتمّه ابن الله الذى هو محبة ، ونلنا بركاته بالروح القدس الذى هو محبة. ما هى المحبة فى الذات الإلهية ؟ إنها سرّ لا تقوى اللغة البشرية على شرح كنهه. وإذا استطاعت كلمات البشر أن تفسر محبة الله ، لأمكنها أن تفسر الله ذاته.**

لا نعجب إذاً لوصف بولس الرسول لمحبة الله فى المسيح بأنها **« فائقة المعرفة »** (أف ٣ : ١٩) ، نفس المعنى الذى تُعبرّ عنه كلمات القداس الإلهى : « ليس شىء من النطق يستطيع أن يحدّ لجة محبتك للبشر » ... **وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس :**

[إن محبة الله لنا لا تُدرك ولا تتغيّر . ومحبته لنا لم تبدأ من الوقت الذى صولحنا فيه معه بدم ابنه ، لكنه أحبنا قبل إنشاء العالم ، قبل أن نوجد ، حتى بذلك نصير أبناءه مع ابنه الوحيد . يجب ألاّ نفهم حقيقة مصالحتنا مع الله بموت ابنه على أن الابن صالحنا معه من هذه الوجهة ، وبدأ الآن يحب أولئك الذين ابغضهم قبلاً ، بنفس الطريقة التى يُصَالح فيها عدو مع عدو ، لكى يصبحوا بعد ذلك أصدقاء ، وتحلّ المحبة غير المتغيّرة محل بغضتهم الثابتة . **لكننا صولحنا مع مَن كان يحبنا ، بل مَن كنا معه فى عداوة بسبب خطايانا ... يقول الرسول : « لكن الله بيّن محبته لنا ، لأنه ونحن**

بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥ : ٨) . لقد كان الله يحبنا حتى حينما كنا نجأر بالعداوة ضده ونصنع الشر. كل ذلك على الرغم مما قيل عنه بملء الحق : «أنت يارب تبغض كل فاعلى الإثم» (مز ٥ : ٥) . **وعلى ذلك فلقد أحبنا الله ـ بطريقة عجيبة ومقدسة ـ حتى حينما ابغضناه فإنه أحبنا .** لأنه أبغضنا بقدر ما تغيّرنا عن الصورة التى خلقها ... لقد أبغض فى كل منا ما فعله ، وأحب فيه ما كان قد عمل . وحقاً يمكن فهم ذلك مما قيل : «أنت لا تبغض شيئاً مما صنعت» (حكمة ١١ : ٢٥) ... فالله لا يبغض شيئاً مما صنع ، لأنه كجابل الخلائق دون الآثام ، لم يكن هو صانع الشر الذى يبغضه . ومن نفس هذه الشرور فإنه يصنع كل ما هو حَسَنٌ ، سواء بشفائهم برحمته أو بتنظيمهم بعدل . **وإذ نرى أنه لا يبغض شيئاً مما صنع ، فمَن يقدر أن يصف مقدار محبته لأعضاء ابنه الوحيد !!]** .

فى أى الأمور نلمس محبة الله للإنسان :

لا يمكن أن نحصى المظاهر التى تتجلى فيها محبة الله للإنسان ... فمحبة الله للإنسان كائنة قبل أن يخلقه . ألم يقل السيد المسيح للأبرار: «رثوا الملكوت المعدّ لكم **منذ تأسيس العالم»** (مت ٢٥ : ٣٤) ، أى قبل خلقة الإنسان... ومحبة الله تحوط الإنسان وتعتنى به من أول السنة إلى آخرها (تث ١١ : ١٢) ، بل لقد أعلن أن مَن يمسّ أولاده يمسّ حدقة عينه (زكريا ٢ : ٨)... **وإلى أى مدى يحبّ الله الإنسان ؟ لقد أحبه إلى المنتهى كما قال السيد المسيح :** «أما يسوع ... إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣ : ١) . ونحاول هنا أن نعدّ بعض الأمور التى نستطيع أن نلمس من خلالها محبة الله للإنسان...

١ ـ فى خلقة الإنسان :

قبل أن يخلق الله الإنسان ، سبق وهيّأ له كل شىء . خلق النور، النيرين العظيمين الشمس والقمر وكل الأجرام السمائية ، الأرض وكل ما فيها ، البحر وكل حيواناته . الكل خلقه لأجل الإنسان...ولم يخلق هذه الكائنات لأجل الإنسان ، **بل لقد جعله سيداً للخليقة كلها ... وحينما خلقه لم يخلقه كسائر المخلوقات ، بل**

خلقه على صورته ومثاله ، كائن عاقل حرّ طاهر...

الله حب ... وفى حبه خلق عنصر الحياة فى الإنسان ، نسمة صادرة منه ... از صورة الثالوث القدوس وعلى مثاله ... الإنسان مخلوق خالد ... ولأن الإنسا مخلوق على صورة الله ومثاله فإن نفسه تنجذب إلى الله وتتوق إليه ولا تجد شبعها إلاّ فيه. لقد خلق الله الإنسان لا لحاجته إليه أو إلى عبادته . فإن الله لا يحتاج حتى إلى الملائكة وكل الخلائق السمائية . إنما خلق الإنسان على صورته ومثاله وجعل لذت معه « لذاتى مع بنى آدم » (أم ٨ : ٣١) .

وما أصدق القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فيما قاله فى قداسه :

« قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس فى كل شيء . وبالأكثر مختار هو نور جوهريتك . وغير موصوفة هى قوة حكمتك . وليس شيء من النطق يستطيع أن يحدّ لجة محبتك للبشر. خلقتنى إنساناً كمحب للبشر. ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى ، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك . من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن ، أقمت السماء لى سقفاً ، وثبتّ لى الأرض لأمشى عليها . من أجلى ألجمت البحر. من أجلى أظهرت طبيعة الحيوان . أخضعت كل شيء تحت قدمىّ . لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك . أنت الذى جبلتنى ، ووضعت يدك علىّ ، وكتبت فىّ صورة سلطانك . ووضعت فىّ موهبة النطق . وفتحت لى الفردوس لأتنعمّ . أعطيتنى علم معرفتك . أظهرت لى شجرة الحياة . عرّفتنى شوكة الموت » ...

وفى هذا المعنى **يقول القديس أغسطينوس : [إلهى ... لقد أخضعت كل شيء تحت قدمى الإنسان ، حتى يمكنه أن يتكرّس بكليته لك . لهذا لم تُقِمْ عليه سيداً سواك ، بل جعلته هو سيداً على خليقتك . خلقت كل شيء من أجل جسده . وأوجدت جسده من أجل روحه ، وروحه من أجلك أنت ... كم أنت طيب يا إلهى . كم أنت رؤوف . تعرف جسدى معرفة جيدة لأنك أنت جابله] .**

٢ ـ فى التجسد والفداء :

ليس من المبالغة القول إن قمة محبة الله للإنسان تظهر فى تجسد ابنه وفدائه

للبشر... لقد سقط الإنسان وطُرّد من الفردوس ، لكن الله فى محبته دبرّ لخلاصه لكى يردّه إلى رتبته الأولى ثانية ... ولم يكن هذا ممكناً إلاّ بطريقة واحدة، هى أن يتجسد ابن الله الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس ، أى يأخذ جسداً بشرياً كاملاً ، يُوفى ـ نيابة عن الإنسان ـ عقوبة الموت التى استحقها بالمعصية . وهذا ما تمّ بالصليب .

وبعبارة أخرى نقول إن الله ـ فى سبيل تحقيق هذا الهدف ـ كان لا بد وأن يلتقى بالإنسان. ليس التقاء خارجياً، بل شاركه فى اللحم والدم، وشاركه آلامه وأتعابه، وكفكف دموعه ... وهكذا أصبح هذا الالتقاء ـ بهذا المفهوم ـ تجسيداً لاسم « عمانوئيل » الذى تفسيره « الله معنا » .

وعلى ذلك فإن التجسّد كان أهم اعلانات الله عن محبته للإنسان . ذلك ان الله ارتضى أن يتّحد هو نفسه بالعنصر الإنسانى بكل ما فيه من جسد ونفس ناطقة... **والدور الذى قام به الله نحو الإنسان بالتجسّد لم يكن كدور موسى وباقى أنبياء العهد القديم. فلقد جاء بعلاقة جديدة لا يمكن للشرّ أن يهددّها ، ولا الخطية أن تقوى عليها «لأن الخطية ليست مثل النعمة»** (رو ٥ : ١٥) .

لقد شرّف الله الإنسان حينما خلقه « على صورته ومثاله » ، **لكنه زاده شرفاً حينما صار الله نفسه ـ ليس على صورة الإنسان ومثاله ـ بل إنساناً حقيقياً!!** يقول **القديس جيروم** مناجياً الله : [أنا مديون لك يا سيدى لأجل الاهانات التى بها افتديتنى أكثر مما أنا مديون لقدرتك التى بها خلقتنى. لأنك خلقتنى بكلمة ، **لكن خلاصك لى استوجب اهانات وأوجاع]... نفس المعنى يورده القديس أغسطينوس** فيقول : [إن خلقة العالم لم تكلّف الله شيئاً ، فقد كان يقول للشيء كن فيكون . **أما خلاص العالم فكلّفه أن ينزل من السماء ويحتمل الهزء والعار، وأخيراً يموت على الصليب لأجلنا]** . يقول **القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات** فى قداسه : « حوّلت لى العقوبة خلاصاً ... أنت الذى خدمت لى الخلاص لما خالفت ناموسك... **وضعت ذاتك وأخذت شكل العبد ، وباركت طبيعتى فيك .** أكملت ناموسك عنى . أريتنى القيام من سقطتى » . **نعم إن التجسّد والفداء هما ذروة محبة الله للبشر «لكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥ : ٨) . هذا عين ما يؤكده المسيح «ليس حب أعظم من هذا أن يضع**

أحد نفسه لأجل أحبائه » (يو ١٥ : ١٣) . .

وثمة بركات أخرى ثمينة صارت للإنسان من قبل تجسّد ابن الله وفدائه. لعل أثمن هذه البركات هى عطية الروح القدس - روح الله المعزّى - الذى وعد به السيد المسيح المؤمنين انه يمكث معهم إلى الأ بد (يو ١٤ : ١٦ ؛ ١٦ : ١٣) ، و يعلّمهم كل شيء و يذكرهم بكل أقوال المخلّص وتعاليمه و يرشدهم إلى كل الحق (يو ١٤ : ٢٦) ... هذا الروح القدوس هو الذى يجددّ الخليقة ، فيصبح مَن يؤمن بالمسيح و ينال المعمودية المقدسة ، خليقة جديدة (٢ كو ٥ : ١٧) . إنها معجزة المسيحية الكبرى ...

هذا فضلاً عن أن الروح القدس - روح الله - ينقل للمؤمن بالمسيح بركات الخلاص الذى تفجرّ بموت المسيح على الصليب عن طريق أسرار الكنيسة السبعة المقدسة . لأن الروح القدس يأخذ مما للمسيح و يعطيهم (يو ١٦ : ١٥) ... وعلى سبيل المثال فإن الروح القدس هو الذى يقدّس مياه المعمودية لتلد الإنسان ولادة جديدة فيصبح ابناً لله . وهو الذى يقدّس الخبز والخمر فى سر الافخارستيا ليصبحا جسد الرب ودمه الأقدسين. وهو الذى يوحدّ الرجل والمرأة فى سر الزيجة المقدسة ليجعل منهما جسداً واحداً ...

وثمة بركة عظمى من بركات التجسّد والفداء ... لقد صار المؤمن بالمسيح هيكلاً للروح القدس ومسكناً لله ... « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى ، وإليه نأتى وعنده نجعل مقامنا » (يو ١٤ : ٢٣) ... « أما تعلمون **أنكم هيكل الله** وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) ... **لقد صار الإنسان ابناً لله** « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (١ يو ٣ : ١) ، **كما صار قديساً فى المسيح** « كما اختارنا (الآب) فيه (المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة » (أف ١ : ٤) .

٣ - فى عنايته بالإنسان :

إن أسفار العهد القديم حافلة بالقصص التى تسجل عناية الله بأولاده شعباً وأفراداً. وهى مليئة بأقوال الأنبياء والكتبة الملهمين التى تعبرّ عن هذه العناية .

وعلى سبيل المثال نذكر تخليص نوح من الطوفان، ولوط من سدوم، وحفظ يوسف فى مصر، والكيفية التى أخرج بها بنى إسرائيل من مصر، وقيادته لشعبه بعمود الغمام، وهلاك فرعون وجيشه، وتحويل مياه مارّة من المرارة إلى العذوبة... وعنايته بشعبه فى البرية مدة أربعين عاماً أطعمهم المن من السماء، وتغلبهم على شعوب أقوى منهم وأكثر عدداً كما حدث فى الحرب مع عماليق. دخولهم أرض كنعان وسقوط أسوار أريحا بدون حرب. عناية الرب بايليا وإعالته هو والأرملة وابنها، حفظه دانيال من الأسود والثلاثة فتية من نار الأتون...

أما عن أقوال الرب التى سجلها الوحى الإلهى فى أسفار العهد القديم فما أكثرها:

يقول أيوب البار: «منحتنى حياة ورحمة، **وحَفِظَتْ عنايتك روحى**» (أى ١٠: ١٢).. كما يقول: «لا يحوّل عينيه عن البار» (أى ٣٦: ٧)... ويتكلم موسى النبى عن حفظ الله لشعبه: «**أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه**» (تث ٣٢: ١٠)... ويقول داود النبى: «لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن اتقيائه» (مز ٣٧: ٢٨)... «لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تَصْدِم بحجر رجلكَ» (مز ٩١: ١١، ١٢). ويقول المرتل: «ارفع عينىَّ إلى الجبال من حيث يأتى عونى. معونتى من عند الرب... لا يدع رجلك تزل. لا ينعس حافظك. انه لا ينعس ولا ينام» (مز ١٢١: ١-٣)...

ويقول السيد الرب لشعبه إسرائيل فيما يختص باعطاء سبت للأرض: «وتعطى الأرض ثمرها فتأكلون للشبع وتسكنون عليها آمنين. **وإذا قلتم ماذا نأكل فى السنة السابعة إن لم نزرع ولم نجمع غلتنا. فإنى آمر ببركتى لكم فى السنة السادسة فتعمل غلة لثلاث سنين**» (لا ٢٥: ٢٠، ٢١)... ويكمل كلامه السابق فيقول: «إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها، أعطى مطركم فى حينه وتعطى الأرض غلتها، وتعطى أشجار الحقل أثمارها... تأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون فى أرضكم آمنين. وأجعل سلاماً فى الأرض فتنامون وليس مَن يزعجكم، وابيد الوحوش الرديئة من الأرض، ولا يعبر سيف فى أرضكم» (لا ٢٦: ٣-٦).

ويقول المرتل داود عن عناية الله بالنفس البشرية : « **الذى يشفى كل أمراضك، الذى يفدى من الحفرة حياتك، الذى يكللك بالرحمة والرأفة. الذى يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك** » (مز ١٠٣ : ٣ - ٥) ... ويقول : « **ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيّهم** » (مز ٣٤ : ٧) ... ويذكّر شعبه بعنايته بهم مدة غربتهم فى البرية أربعين سنة بقوله : « **لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان. ثيابك لم تَبْلَ عليك، ورجلك لم تتورّم هذه الأربعين سنة** » (تث ٨ : ٣ ، ٤) ... ويقول إشعياء النبى : « فى ذلك اليوم غنّوا للكرمة المشتهاة أنا الرب حارسها ، اسقيها كل لحظة لئلا يوقع بها . احرسها ليلاً ونهاراً » (إش ٢٧ : ٢ ، ٣) .

وإذا أتينا إلى العهد الجديد نجد السيد المسيح يوضح عناية الله بالإنسان بأجلى صورة ... يقول : « **انظرو إلى طيور السماء. أنها لا تزرع ولاتحصد ولاتجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ... تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم انه ولاسليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح فى التنور يلبسه الله هكذا. أفليس بالحرى جداً يُلبسكم أنتم ياقليلى الايمان** » (مت ٦ : ٢٦ - ٣٠) ... « **أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا أنتم أفضل من عصافير كثير** » (مت ١٠ : ٢٩ - ٣١) . ويسأل السيد المسيح تلاميذه الذين أرسلهم فى إرساليات تدريبية « **حين ارسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شىء. فقالوا لا** » (لو ٢٢ : ٣٥) .

وكتاب العهد الجديد وتاريخ الكنيسة وسير القديسين وأولاد الله على اختلاف مراتبهم وأوضاع حياتهم مليئة بقصص توضح عناية الله بكافة البشر فى كل زمان ومكان . وليست عناية الله وقفاً على الأبرار والأتقياء بل هى تشمل جميع البشر، فإن هذا يليق بمن قيل عنه إنه « يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (مت ٥ : ٤٥) ...

٤ ـ فى محبته للخطاة :

قدوسٌ هو الله الذى خلق الإنسان الأول على صورته ومثاله ، ولأنه قدوس فإنه يطالب الإنسان بحياة القداسة... قال الله لموسى : « كلّم كل جماعة بنى إسرائيل وقل لهم **تكونون قديسين لأنى قدوس** » (لا ١٩ : ٢) . ونفس المعنى يؤكد عليه بطرس الرسول : « **نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة** » (١بط ١ : ١٥) . **لذلك فإن الله يكره الشر والخطية**. قال يشوع للشعب الذى انحرف عن عبادة الله : « لا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس وإله غيور هو. لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم » (يش ٢٤ : ١٩)... ويقول الوحى الإلهى فى سفر أيوب : « مَن هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر. هوذا قديسوه لا يأتمنهم ، والسموات غير طاهرة بعينيه . فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء » (أى ١٥ : ١٥ ، ١٦)... وكنتيجة للخطية يقول الرب لشعبه قديماً : « اسلّط عليكم رعباً وسلاً وحمى تفنى العينين وتتلف النفس . وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم ، وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس مَن يطردكم » (لا ٢٦ : ١٦ ، ١٧) .

ومن شدة كراهية الله للشر والخطية قال لموسى : « مَن أخطأ إلىَّ أمحوه من كتابى » (خر ٣٢ : ٣٣) . وأعلن أنه يفتقد إثم الآباء فى الأبناء ، وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع (خر ٣٤ : ٧)... **ولذا قال داود لله : « ابغضت كل فاعلى الإثم »** (مز ٥ : ٥) . ويقول المرتل : « **يا محبى الرب ابغضوا الشر** » (مز ٩٧ : ١٠)... **وكمثال لكراهية الله للشر اهلاكه العالم القديم بالطوفان ، واحراق مدينتى سدوم وعمورة بنار وكبريت من السماء**. ويقول فى ذلك القديس بطرس : « لأنه إن كان الله لم يُشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلّمهم محروسين للقضاء . ولم يُشفق على العالم القديم ، بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبرّ، إذ جلب طوفاناً على عالم الفجّار. وإذا رمّد مدينتى سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب ، **واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا** . وانقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة... يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، **ويحفظ** الأثمة إلى يوم الدين معاقبين » (٢بط ٢ : ٤ـ ٩) . **لنتأمل فى كلمات بطرس**

الرسول : « **واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا** » !!

وعلى الرغم من شدة كراهية الله للشر والخطية ، فنحن نرى عجباً فى محبة الله للخطاة فى شخص المسيح . بل نقول إن عمق محبة الله للبشر، تظهر فى محبته للخطاة هذا ما يعلنه رب المجد يسوع « **لم آت لادعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة** » (مت ٩ : ١٣) ... « **يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب** ، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥ : ٧) ... « **لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى** » (مت ٩ : ١٢) .

والآن نستعرض صوراً من معاملات السيد المسيح مع بعض الخطاة .

أ ـ المسيح مع المرأة السامرية (يو ٤) :

كانت المرأة السامرية واحدة من النساء الخاطئات اللائى التقى بالمسيح بهنّ ، وكان لقاؤه سبباً لخلاصها . أما عن كونها خاطئة فيتضح ذلك من قول المسيح لها : « كان لكِ خمسة أزواج والذى لكِ الآن ليس هو زوجكِ ، هذا قلتِ بالصدق » (يو ٤ : ١٨) . إن لقاء المسيح مع السامرية لقاء يكشف عن أعماق قلب الرب يسوع من جهة محبته للخطاة . يقال إن السيد المسيح سار ست ساعات مشياً على قدميه ليخلص هذه النفس الخاطئة ..

« فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر . وكان نحو الساعة السادسة » لقد تعب هو ليريحنا نحن . إن ما يتعبه حقاً هو خطايانا ثم إنه ليس عبثاً ذكرت الساعة السادسة ... إنها الساعة التى عُلّق فيها المخلّص على الصليب من أجل خلاصنا وخلاص العالم كله ... « يا مَن فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سُمرّت على الصليب من أجل الخطيئة التى تجرأ عليها أبونا آدم فى الفردوس » .

ثم لننظر كيف بدأ الحديث ودار مع هذه المرأة الخاطئة ... بادرها الرب يسوع بالقول : « **أعطنى لأشرب** » ... **إنه يتكلم كمَن هو محتاج ليشرب ... لكنه فى حقيقة الأمر محتاج ومتعطش إلى دموع توبتها** ... لكن المرأة فى حياتها حسب الجسد

انكرت على المسيح هذا الطلب إحساساً منها انه يطلب ماءً عادياً « كيف تطلب منى لتشرب ، وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية » **!!**

بعدها بدأ المسيح يتدرج معها فى الحديث رافعاً مشاعر قلبها وروحها ... « لو كنتِ تعلمين عطية الله ومَن هو الذى يقول لكِ اعطنى لأشرب **لطلبتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيّاً** » ... ولما ابدت المرأة دهشتها لهذا الماء الحى (الماء الجارى) ، أوضح لها ان « كل مَن يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً . **ولكن مَن يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية** » . وحينما طلبت تلك المرأة من السيد المسيح أن يعطيها هذا الماء ، قال لها : « **إذهبى وادعى زوجكِ وتعالى إلى ههنا** » ... وحينما انكرت ان لها زوجاً ، كشف لها خبيئة نفسها انه كان لها خمسة أزواج والذى معها الآن ليس هو زوجها ، وقال لها : « هذا قلت بالصدق » . **وكون المسيح يطلب إليها أن تحضر زوجها ، معناه انه يطلب منها أن تعترف بخطيئتها** ... ثم شرع المسيح بعد ذلك يكلمها عن أن الله روح وعن السجود لله بالروح والحق ... وانتهى الأمر بأن كشف السيد المسيح لها عن حقيقة شخصه انه هو المسيا الذى ينتظرونه ... تركت المرأة جرّتها ونسيت كل شيء بعد أن تفتَّح قلبها ، واسرعت إلى أهل مدينتها وقالت لهم ، وكأنها مبشرة المسيحية الأولى : « هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت . العل هذا هو المسيح » ... **وآمن به فى تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام هذه المرأة ... والعجيب أن المسيح دُعى لأول مرة « مخلص العالم » من أفواه هؤلاء السامريين الذين كانت بينهم وبين اليهود عداوة تقليدية شديدة !!**

لقد حوّل السيد المسيح هذه المرأة الخاطئة بحبه وحنانه إلى مبشرة نشيطة ، نسيت جرتها التى لأجلها ذهبت إلى البئر ، وذهبت تذيع بين الناس أن المسيح قال لها كل ما فعلت ... إنه المسيا التى ظلت الأجيال تنتظره ... **لم يُعَنِّفها بكلمة قاسية على سلوكها المنحرف رغم بغضه للخطية ، لكنه بحبه وحنانه جذبها لمعرفة الإله الحىّ الحقيقى ...**

ب ـ المسيح مع المرأة التى أمسكت فى ذات فعل الزنا (يو ٨) :

وهذا مثل صارخ ... امرأة امسكت متلبسة بخطيئة الزنا ... احضرها الكتبة والفريسيون إلى السيد المسيح وقالوا له : « يا معلم هذه المرأة امسكت وهى تزنى فى ذات الفعل . وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت » ... كان الموقف صعباً وحرجاً بالنسبة لتلك المرأة المسكينة ، التى امعاناً فى التشهير بها « أقاموها فى الوسط » على مشهد من الجميع ...

ماذا فعل المسيح فى هذا الموقف ؟ لم يقل كلمة واحدة لمَن أحضروا المرأة لكنه فى صمت « انحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض » ... لكنهم فى ريائهم وتظاهرهم بالتمسك بالناموس ، استمروا فى سؤاله عن حكمه على المرأة ... **أما هو فقد « انتصب وقال لهم مَن كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر »**. ثم عاد وانحى إلى أسفل وكان يكتب على الأرض ... أما النتيجة من كلامه وكتابته على الأرض ، فإن هؤلاء المشتكين على المرأة بدأوا ينسحبون الواحد وراء الآخر ، وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط ...

قال المسيح لمَن أحضروا المرأة : « مَن كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر » ... لكن ماذا كان يكتب على الأرض ... لقد اتفق جميع مفسرى الكتاب على أن المسيح كان يكتب خطايا كل واحد ممن أحضروا المرأة ... تلك الخطايا التى ما كان يعرفها أحد إلاَّ الله ... خجلوا من أنفسهم ، واسرعوا بالانسحاب خشية افتضاح أمرهم ...

ثم ماذا كان حكم المسيح على هذه المرأة التى امسكت فى ذات فعل الزنا ؟ لم يوبخها ولو على انفراد على زناها ، بل كان رقيقاً شفوقاً ، وهو الذى لا يشاء أن يهلك أحد بل أن يقبل الكل إلى التوبة ... قال لها : « يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ. أما دانكِ أحد . فقالت لا أحد يا سيد » . فقال لها الرب يسوع : « ولا أنا آدنيكِ. إذهبى ولا تخطىء أيضاً » ... المسيح الذى سيدين العالم فى النهاية ، والذى قال إن الدينونة كلها قد دُفعت للابن ، لم يَدنْ المرأة الزانية ، لكنه بلا شك جذبها إلى طريق البرّ ... **لا شك إن كلمات المسيح المملوءة حباً وحنواً على هذه المرأة الخاطئة كانت أشد وقعاً عليها من الحجارة التى أوجبت شريعة**

موسى أن ترجم بها. وماذا كان يفيد لو قُتلت المرأة وماتت بخطيئتها ..؟!

وفى الوقت الذى لم يَدنْ فيه المسيح هذه الخاطئة، كال الويلات للكتبة والفريسيين بسبب ريائهم (مت ٢٣)، لأنهم عاشوا حياة التظاهر لكى يمدحهم الناس ويمجدوهم ... كان هذا هو جزاؤهم لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله ... **لقد كانت هذه المرأة الخاطئة بتوبتها أفضل منهم ببرهم الذاتى، على نحو ما كان العشار الخاطىء أفضل من الفريسى وهما يصليان فى الهيكل.**

جـ - لقاء المسيح مع زكا (لو١٩):

كان زكا رئيساً للعشارين ... وكانت كلمة عشّار فى مصطلح اليهود فى زمن المسيح مرادفة لكلمة خاطىء ... وكان الكتبة والفريسيون دائمى التذمر من محبة المسيح للخطاة ومجالستهم. **وكان الاتهام التقليدى الذى يوجهونه لتلاميذه «لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة» (مت ٩ : ١١)... وكان جواب المسيح على هذا التذمر «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو إنى أريد رحمة لا ذبيحة. لأنى لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩ : ١٢، ١٣).**

وتتلخص قصة زكا فى انه سمع أن السيد المسيح سيجتاز فى مدينة أريحا. وكانت تعتمل فى قلب زكا رغبة ملّحة فى أن يرى يسوع مَن هو... كان الزحام شديداً، وبسبب قِصَر قامة زكا أدرك أن فرصة رؤية المسيح سوف تفوته، لذا فكّر فى كيف لا يدع هذه الفرصة تفوته. فركض وصعد إلى جميزة لكى يتمكن من رؤيته ...

وفيما كان الرب يسوع مجتازاً وقف أمام الجميزة التى يختبىء زكا بين أغصانها ... **ترك الجموع ونظر إلى زكا بين أغصان الجميزة وقال له: «يا زكا اسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك» ... كم كانت دهشة زكا الرجل الخاطىء؟!... لقد تمنّى أن يرى الرب يسوع، وهوذا يكلمه ويدعوه أن يسرع وينزل ... لماذا؟ لا لأنه سيزوره مجرد زيارة عابرة، بل لأنه سيمكث ذلك اليوم فى بيته** ... عجباً، ما هذا ... إنه أمر غير مألوف فى المجتمع اليهودى آنئذ ... لقد كان الأبرار - فى نظر أنفسهم - لا يتعاملون مع مَن يعتبرونهم خطاة وأشراراً ... كيف إذن سيمكث المسيح

يوماً فى بيت رجل خاطىء ؟! وهذا ما حدث بالفعل ... فلما رأى الجمع أن المسيح قبل زكا فرحاً **« تذمروا قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطىء » !!**

لكن لننظر ماذا فعلت محبة المسيح لزكا الخاطىء ... « وقف زكا وقال للرب ها أنا يارب **أعطى نصف أموالى للمساكين ، وإن كنت قد وشيت بأحدٍ أردّ أربعة أضعاف »** . زكا الذى أمضى حياته فى الظلم والوشاية من أجل محبته للمال ، يصرّح انه يعطى نصف أمواله للمساكين ... ثم ماذا ؟ يرد إلى مَن وشى به أربعة أضعاف ... كانت شريعة موسى لا تطلب سوى الخُمْس زيادة على ما اختلس (عدد ٥ : ٦ ، ٧) ، لكنه سيرد لمَن ظلمه ووشى به أربعة أضعاف ... **لقد فعل المسيح بالحب ما عجزت عنه الشريعة بالأمر والنهى والصرامة .**

لا عجب إن رأينا المسيح يعلن « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلّص ما قد هلك » ... **هذه هى رسالة المسيح حتى الآن « يطلب ويخلّص ما قد هلك بالخطية » .**

د ـ مثل الابن الضال (لو ١٥) :

يُعتبر مثل الابن الضال قمة ما أعلنه المسيح عن محبة الله للخطاة ... وكان هذا المثل مع مثلين آخرين ـ هما مثل الخروف الضال ، ومثل الدرهم المفقود ـ رد المسيح على تذمر الكتبة والفريسيين من قبوله للخطاة والعشارين ومجالستهم ومؤاكلتهم (لو ١٥ : ١ ، ٢) .

ومثل الابن الضال كما قدمه المسيح يتضمن شقين . الشق الأول يشرح مراحل الخطية التى سلكها ذلك الابن إلى الحد الذى « كان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، فلم يُعطه أحد » ... وكونه وصل إلى أنه أصبح يرعى الخنازير، هذا معناه أنه وصل فى الخطية إلى مداها ، وصار خادماً لها ... **أما الشق الثانى فيشرح مراحل التوبة والرجوع إلى الله وهذا ما يهمنا ان نتحدث عنه .**

فحينما ضاقت الحياة بذلك الابن « رجع إلى نفسه » وفكر جدياً فى العودة إلى

أبيه الذى يرمز إلى الآب السماوى ... وبالفعل قام الابن وجاء إلى أبيه ... **وهنا لا نجد غرابة فى الأمر. إنما الغرابة فى أن ذلك الابن حالما رجع إلى أبيه وجده فى انتظاره** « وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن » ... **وتزداد دهشتنا حينما نرى الأب ـ الذى يرمز للآب السماوى ـ يتصرف تصرفاً كان يليق بالابن الشاب المخطىء وليس بالأب المسنّ المُخْطأ فى حقه** ... ماذا فعل الأب « ركض ووقع على عنقه وقبّله » . **كل ذلك حدث قبل أن يفتح الابن المخطىء فاه ويقدم كلمة اعتذار وندم !!** وحينما قال الابن لأبيه : « أخطأت إلى السماء وقدامك ولست متسحقاً بعد أن أدعى لك ابناً » ، **لم يَدَعْه الأب يكمل ما كان قد عقد العزم أن يقوله لأبيه : « اجعلنى كأحد أجراك » ...!! ومعنى ذلك انه بضلاله لم يفقد بنوته لأبيه ...**

ثم نرى فى هذا المثل الأب يفيض على الابن حباً وحدباً وحنواً ، حينما يقول الأب لعبيده : « اخرجوا الحلة الأولى والبسوه ، واجعلوا خاتماً فى يده ، وحذاء فى رجليه . وقدموا العجل المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح . لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد » .

هل يمكن أن نرى حباً للمسىء يفوق هذا الحب ؟! لكن المسيح بمحبته للخطاة جذبهم وكسبهم إليه ... كان البشر فى حالة عداوة مع الله حينما مات المسيح على الصليب لأجل خلاصهم ... ولم يكونوا فى حالة عداوة فقط ، بل فى حالة اصرار على الخطية والشر. هذا ما اعلنه اليهود أمام بيلاطس الوالى الرومانى الوثنى « اصلبه اصلبه . دمه علينا وعلى أولادنا » ... ومع ذلك أكمل المسيح مسيرة الصليب . ومن فوق الصليب طلب لهم المغفرة : « اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ... لقد نسى المسيح إساءاتهم وكل ما كان يطلبه هو خلاص أنفسهم ... **هذا هو مسيحنا الذى مازال يبحث عن الخروف الواحد الضال ، ومتى وجده يحمله على منكبيه فرحاً ...**

٥ ـ المجد الأبدى للإنسان :

إن محبة الله العجيبة ـ من خلال بركات الفداء وفعل الروح القدس ـ تقدّس

طبيعة الإنسان بعد تجديده، وتجعل منه إبناً لله بالتبنى «لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنّى، الذى به نصرخ يا أبا الآب» (رو ٨ : ١٥)... وهكذا بدالة هذه البنوة يهتف المؤمنون المفديون فى كل مكان قائلين: «أبانا الذى فى السموات»...

هذه المحبة العجيبة لا تجعل المؤمنين أولاداً لله فحسب، بل تجعلهم مشابهين صورة ابن الله «ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين» (رو ٨ : ٢٩)... **ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن الرسول يكشف لنا ما هو أبعد من ذلك «الذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضاً والذين برّرهم فهؤلاء مجدّهم أيضاً»** (رو ٨ : ٣٠).

نعم لقد مجدّ الله - فى المسيح - الإنسان بمحبته ... هذا ما يعلنه السيد المسيح فى مناجاته للآب: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى» (يو ١٧ : ٢٢)... أى شرف هذا ؟! **بل إن السيد المسيح فى هذه المناجاة يطلب إلى أبيه أن يكون هؤلاء المؤمنون معه «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى»** (يو ١٧ : ٢٤)... وهذا ما حدا بالرسول بولس إلى القول: «لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام» (عب ٢ : ١٠).

لقد أعطى الله الآب بمحبته أن يكون المؤمنون بأبنه يسوع المسيح ورثة للمجد الأبدى «إذاً لست بعد عبداً بل ابناً. وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح» (غل ٤ : ٧)... «وإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً. **ورثة الله ووارثون مع المسيح**» (رو ٨ : ١٧)... هذا هو ما دعا نفس الرسول إلى أن يقول: **«متى أظهر المسيحُ حياتُنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد»** (كو ٣ : ٤)، وأيضاً يكتب إلى أهل رومية قائلاً: «لكى يُبيّن غنى مجده على آنية رحمة **قد سبق فأعدها للمجد**» (رو ٩ : ٢٣)... نفس المعنى يؤكده القديس بطرس الرسول «وإله كل نعمة **الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع** بعدما تألمتم يسيراً، هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم» (١ بط ٥ : ١٠).

* * *

محبة الله للإنسان والضيقات التى تأتى عليه :

الضيقات والتجارب التى تأتى على الإنسان ليست دليلاً على غضب الله على هذا الإنسان. لذا يقول يعقوب الرسول : « احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً. وأما الصبر فليكن له عمل تام. لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » (يع ١ : ٢ - ٤)... **إن التجارب والضيقات والآلام لا تتنافى مع محبة الله للإنسان. بل إن هناك حكمة وراء الآلام والضيقات ... وإن كان هذا الموضوع يحتاج إلى بحث خاص، لكن نكتفى بالإشارة إلى بعض النقاط ...**

أ - الله يسمح بالآلام والضيقات للإنسان لكى يخلّصه من البرّ الذاتى... هذا الأمر واضح من سقطات بعض الأبرار كأيوب وداود وبطرس ... فأيوب تفاخر ببره الذاتى وأعماله مرات عديدة حتى انه قال : « **كامل أنا** » (أى ١٩ : ٢١)، فكف أصحاب أيوب الثلاثة عن مناقشته « **لكونه باراً فى عينى نفسه** » (أى ٣٢ : ١). وحمى غضب اليهو بن برخئيل البوزى على أيوب « **لأنه حسب نفسه أبرّ من الله** » (أى ٣٢ : ٢)... لكن أيوب بعد الآلام التى حلّت به قال مخاطباً الله : « **ها أنا حقير فماذا أجاوبك. وضعت يدى على فمى ... بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عينى. لذلك أرفض واندم فى التراب والرماد** » (أى ٤٠ : ٤ ؛ ٤٢ : ٥، ٦) ...

وداود الذى اشتهر بالعفة سقط فى خطية الزنا مع زوجة اوريا الحثى (١ مل ١٥ : ٥)، الأمر الذى لأجله تمرمر كثيراً وبكى بدموع سخينة ... « **خطيئتى أمامى فى كل حين** »، وقد قبل الله توبته، وصار هو رجل الصلاة ومرنم إسرائيل الحلو، ومن نسله حسب الجسد جاء المسيح ... **وبطرس الذى عرف عنه الإقدام جبن وخاف بصورة بشعة أمام جارية وانكر المسيح بقَسَم وجدّف عليه. هذه التجربة**

جعلته تصغر نفسه أمامه ويندم ويبكى بكاءً مرّاً...

نفس التجربة مرّ بها القديس بولس الرسول، وكان معرضاً لها. ألم يقل عن نفسه: «**لئلا ارتفع بفرط الاعلانات اعطيت شوكة فى الجسد. ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع**» (٢ كو ١٢ : ٧).

ب - والله يسمح بالآلام والضيقات للإنسان حتى يؤدبه، ويحرّره من قيود الخطية والعادات الرديئة... يقول المرتل: «**طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب، وتعلّمه من شريعتك لتريحه من أيام الشر**» (مز ٩٤ : ١٢، ١٣)... ويقول اليفاز التيمانى أحد أصحاب أيوب ناصحاً: «طوبى لرجل يؤدبه الله. فلا ترفض تأديب القدير. لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان» (أى ٥ : ١٧، ١٨)... ويقول القديس بولس الرسول إلى العبرانيين: «**لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين». ثم يقارن بين تأديب الآباء الجسديين وتأديب الله ويقول عنه إنه: «لأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته**» (عب ١٢ : ٦، ٧، ١٠). **ويؤكد هذا المعنى ما قاله الرب يسوع لملاك كنيسة اللاودكيين: «انى كل مَن أحبه أوبخه وأؤدبه» (رؤ ٣ : ١٩)...**

إن الثلاثة فتية الذين ألقوا فى أتون النار ببابل مثل يوضح ما نقول. فكل ما فعلته النار بهؤلاء الفتية هى انها حلتهم من قيودهم، وبعدها صاروا يمشون وسط نار الأتون كمَن هم فى نزهة (دا ٣ : ٢٤، ٢٥)... لقد قدمت النار للفتية الثلاثة خدمة وهى انها حلتهم من قيودهم لكنها لم تحرق ثيابهم ولا شعرة من رؤوسهم... هذا هو عين ما تفعله الآلام مع أولاد الله.

إن الذهب الذى يدخل النار له وقت معين ليتنقى من الشوائب. إذا زاد هذا الوقت تلف، وإذا قلّ لا يتنقى الذهب... هكذا الله لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع أو نحتمل (١ كو ١٠ : ١٣)... **ويقال إن علامة الذهب انه قد تنقى ان الصانع يرى صورته فيه بوضوح... هكذا نحن نظل فى التجربة إلى أن تظهر صورة الله فينا.**

جـ - والآلام تجعل الإنسان يختبر الله ومعاملاته وتقربه إليه... ففى التجربة

حينما يحسّ الإنسان انه عاجز عن الخلاص منها، يلجأ إلى الله لكى ينقذه. بل إن الله يحرضنا على ذلك «ادعنى فى يوم الضيق انقذك فتمجدنى» (مز ٥٠: ١٥)... ويقول داود النبى عن اختبار: «فى يوم ضيقتى أدعوك لأنك تستجيب لى» (مز ٨٦: ٧). والعجيب أنه حينما تُسَدّ أمامنا كل الأبواب، نجد باباً واحداً يظل مفتوحاً أمامنا، هو باب الله...

د - إن الضيقات والشدائد لا تتعارض مع محبة الله لنا بل إنها مجد القديسين فى السماء. يقول بولس الرسول: «لذلك أطلب أن **لا تكلّوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم**» (أف ٣: ١٣). ويقول: «**خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً**» (٢كو ٤: ١٧). ومعلوم إن الضيقات تحتاج إلى صبر... يقول بولس الرسول: «نفتخر أيضاً فى الضيقات، عالمين أن الضيق يُنشىء صبراً» (رو ٥: ٣)... **وماذا يفعل الصبر، وماذا يثمر..** يقول السيد المسيح: **«الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢)... «بصبركم اقتنوا أنفسكم»** (لو ٢١: ١٩) لذا لا نعجب مما كتبه يوحنا فى الرؤيا «**أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره**» (رؤ ١: ٩)... **هنا يتكلم يوحنا عن ملكوت المسيح وعن الضيقة والصبر!!**

وماذا أيضاً عن الصبر الذى يصاحب الضيقات والآلام والتجارب؟ بعدما يكتب يعقوب الرسول إلى المؤمنين ويقول: «احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة»... **أمام السبب فهو: «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً». وماذا عن الصبر، يقول يعقوب بعدها مباشرة: «وأما الصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء»** (يع ١: ٢- ٤).

يقول رب المجد يسوع لرسله وتلاميذه: «أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى. وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر» (لو ٢٢: ٢٨- ٣٠)... **وهذا ما حدا بالرسول بولس أن يقول: «إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه»** (٢تى ٢: ١٢).

محبـــة الإنســـان لله

- محبة الإنسان لله صدى لمحبته له .
- قيمة المحبة فى نظر الله ؟
- لماذا يجب أن يحب الإنسان الله .
- محبة الإنسان لله ومحبته للعالم .
- فى أى شيء تظهر محبة الإنسان لله ؟
- فضائل ترتبط بمحبة الإنسان لله .
- عشاء عُرْس الحمل .

إن محبة الله للإنسان عبر الأجيال التى تجلت فى عنايته بخليقته ، جذبت إليه نفوساً لا تحصى أعدادها ... كان لله فى كل جيل نفوس أحبته وعاشت فى طاعته، حتى فى الأزمنة التى كان العالم غارقاً خلالها فى ظلام الوثنية ...

فمن نسل آدم كان هابيل البار . ثم كان أخنوخ البار الذى ذكره الكتاب المقدس إنه « سار مع الله ولم يوجد لأن الله نقله » (تك ٥ : ٢٤ ؛ عب ١١ : ٥)... ومن بين شعب الله القديم ظهر أبرار أحبوه وعاشوا فى طاعته، وأرضوه بإيمانهم، كإبراهيم الذى ـ فى محبته وطاعته لله ـ قدم ابنه وحيده إسحق ذبيحة بالنية... ثم كان هناك إسحق و يعقوب أب الأسباط و يوسف الصديق، وموسى كليم الله الذى « أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون . مفضلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب ١١ : ٢٤- ٢٦)... **وبحسب تعبير الرسول «يعوزنى الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون و يفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدّوا أفواه أسود . أطفأوا قوة النار، نجوا من حدّ السيف . تقوّوا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب، هزموا جيوش غرباء... وآخرون عُذّبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل... هؤلاء لم يكن العالم مستحقاً لهم»** (عب ١١ : ٣٢- ٣٨).

بعض هؤلاء الأبرار الذين ذكرناهم عاشوا قبل عصر الناموس، ومع ذلك عاشوا أوفياء لله محبين له مطيعين لصوت ضمائرهم... وحينما أعطى الله للبشر وصايا مكتوبة على يد موسى، اختص نفسه بالأربع وصايا الأولى من الوصايا العشر. تلك التى لخصها السيد المسيح بقوله: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك» (مت ٢٢ : ٣٧). وقديماً قال الله : «يا ابنى اعطنى قلبك» (أم ٢٣ : ٢٦). ومعلوم ان القلب يكنى به عن المحبة والعاطفة . وفى المزمور الحادى والثلاثين، يفرغ داود النبى والمرتل مشاعر حبه وامتنانه وشكره لإلهه، و يدعو الجميع إلى محبة الله بقوله: «**احبوا الرب يا جميع اتقيائه**» (مز ٣١ : ٢٣). وفى

مزمور آخر يقول: **«تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك»** (مز ٣٧ : ٤) ... وفى ترنيمة حب يقول داود وكأنه يخاطب كل نفس بشرية: **«اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى أذُنكِ وانسى شبعكِ وبيت أبيكِ، فيشتهى الملك حسنكِ لأنه هو سيدكِ فاسجدى له»** (مز ٤٥ : ١٠، ١١) ... ويعود داود فى مزمور آخر يقول: **«كما من شحم ودسم تَشْبَعْ نفسى، وبشفتى الابتهاج يُسبحك فمى. إذا ذكرتك فى فراشى. فى السُّهْد الهج بك»** (مز ٦٣ : ٥، ٦) ... ويقول المرتل: **«امسكتَ بيدى اليمنى. برأيك تهدينى، وبعد إلى مجد تأخذنى. من لى فى السماء، ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض»** (مز ٧٣ : ٢٣- ٢٥) ... **«يا محبى الرب ابغضوا الشر. هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم. نور أشرق للصديقين وفرح لمستقيمى القلوب. افرحوا أيها الصديقون بالرب»** (مز ٩٧ : ١٠- ١٢). وسفر نشيد الأناشيد الذى يتحدث بكل وضوح عن محبة الله للنفس البشرية، ولكن فى صورة رمزية فى شخص الله كالعريس والنفس البشرية كالعروس.

كان هذا فى العهد القديم ... لكن ما أن أشرقت على العالم أنوار العهد الجديد، من قبل ظهور شمس البرّ يسوع المسيح ربنا المحبة المتجسّدة، واظهر الله محبته فى ملئها فى شخص ابنه ـ تلك المحبة التى سكبها بغنى بالروح القدس فى قلوب المؤمنين (رو ٥ : ٥)، **حتى كان لتلك المحبة أثر عميق لا يوصف فى الهاب قلوبهم نحو ذاك الذى أحبهم وبذل ذاته عنهم** (غل ٢ : ٢٠) ... نعم لقد كانت محبة المؤمنين صدى لمحبة الله لهم: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١ يو ٤ : ١٩).

والمحبة المسيحية فريدة فى نوعيتها وعمقها. إنها تختلف عن المحبة التى تعارف عليها أهل العالم... إن العالم يعرف المحبة كفضيلة، لكن شتان بينها وبين المحبة المسيحية. إن المحبة المسيحية كما نقصدها ليست وليدة عاطفة جسدية، بل هى من الله ذاته «محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رو ٥ : ٥) ... هذا هو الروح القدس الذى انسكب يوم الخمسين على المؤمنين الأوائل فى الكنيسة الأولى فألهب حياتهم إيماناً وحباً وقداسة. لقد حلّ عليهم فى شكل ألسنة كأنها من نار. والنار من بعض الأوجه رمز للقوة والمحبة المشتعلة **«لأن المحبة قوية**

كالموت ... لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٦ ، ٧) ... **كانت محبة الله قوية وما تزال ناراً تلهب قلوب المحبين، وتحصرهم في دائرته : «لأن محبة المسيح تحصرنا»** (٢ كو ٥ : ١٤) ... **وهذا مصداق لما قاله المسيح : «ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا»** (يو ١٤ : ٢٧) .

لا أجد كلاماً أكثر واقعية وتعبيراً عن شدة المحبة المسيحية فى قلب الإنسان المؤمن مما **قاله** الرسول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ... **«مَن سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سـيف ... فإنى متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة . ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا »** (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩) .

إن كان صاحب النشيد قال قديماً : « المحبة قوية كالموت » (نش ٨ : ٦) ؛ **لكنها** فى المسيحية - وفى شخص المسيح وبه وبعمل الروح القدس - صارت **أقوى** من الموت ... **فالمحبة فوق الصليب قهرت الموت** ... وحتى الآن ، أينما **وُجد الصليب وجدت المحبة**، لأنه هو علامة الحب الذى غلب الموت وقهر الهاوية، **واستهان بالخزى والعار والألم** ...

وبولس الرسول الذى امتلأ قلبه حباً نحو المسيح ، حينما توسل إليه **المؤمنون** فى مدينة **قيصرية** ألاَّ يصعد إلى أورشليم خوفاً على حياته، بعد أن تنبأ النبى **أغابوس بالشدائد التى** تنتظره هناك ، قال لهم ... « ماذا تفعلون ، تبكون وتكسرون **قلبى . لأنى مستعد** - ليس أن أربط فقط ، بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب **يسوع** » (أع ٢١ : ١٠ - ١٣) ... **نعم كانت المحبة فى قلب بولس أقوى من الموت الذى ينتظره، لأنه كان ميتاً عن العالم الذى وضع فى الشرير، وحيّاً للمسيح الذى يملأ كيانه ويشغل وجدانه** ...

وماذا أقول عن المعترفين والشهداء الذين أحبوا الله أكثر من أنفسهم (رؤ ١٢ : ١١) . إن شهادة الدم هى أعظم شهادة لأسمى حب « ليس لأحد حب **أعظم من هذا . أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » (يو ١٥ : ١٣) ... لم تُغرهم أعظم**

الوعود ، ولم يُرهبهم وعيد الحكام وبطش المعذِّبين ، وما ذلك إلاَّ بسبب عِظَم **محبتهم** في المسيح الذي أحبوه وهو حي فيهم ... لقد أظهروا **احتمالاً عجيباً ، واحتملوا آلاماً** تفوق الوصف . وكان ذلك برهاناً على الحب الذي فيهم يفوق كل حب أرضي ، بل يفضل العالم بكل ما فيه ...

وماذا أقول عن الآباء النسّاك والرهبان - الذين من أجل عظم محبتهم في المسيح - اماتوا ذواتهم وأعضاءهم وشهواتهم ، بل ماتوا بارادتهم عن العالم وكل ما فيه ... لنستمع إلى لحن عذب في المحبة من فم أحد النساك هو **الأب يوحنا سابا المعروف باسم الشيخ الروحاني** ، يناجي به الله :

[مَن لا يتعجب من حكمة أسرارك التي لا تُدرك ، إذ وأنت وحيد في ذاتك تسكن في الوف وربوات من قديسيك وصانعي إرادتك بغير انقسام أو تفريق . **كل حبيب لك يظن انك أنت له وحده ، لأنه يشعر انه هو ليس لأحد سواك . يظن أنك حالٌ فيه وحده ، وانه هو كفواً لسكناك ، مع أنك أنت مالىء السموات والأرض . فكل واحد يراك كامل فيه كما في مرآة** ... اعطنا أن ندخل بك إلى هيكل أنفسنا لكي ننظرك ونتنعم بك ، ونأكل من شجرة الحياة التي اثمرت داخلنا ... **إلهي أعطني محبتك ، وإن كنت أنا لا أستحق دالة المحبة التي بها أدعوك أبي** ... الباب مفتوح وليس مَن يدخل . مجدك واضح وليس مَن ينظر . نورك مشرق في عيوننا وليس مَن يتنعم . يمينك مبسوطة للعطاء وليس مَن يأخذ . تنادي بصوت عالٍ وليس مَن يسمع . تحذرّ وتنذر وليس مَن يرعوى ... اعطِ وقوداً لنار قلبي التي أشعلتها بحبك ... أيها الرب الصالح اقطع من قلبي محبة هذا العالم ، وابدل حبي له بحبي لك ... **أهلّني** يارب أن يذوب قلبي من حبك ومخافتك كما تفتتت الصخور ، وافتح قلبي كما انفتحت القبور ، وتقوم نفسي من رقادها كما قام الأموات في ساعة صلبوتك الرهيبة ... طوبى لمَن قطع حديث العالم من فمه ليتحدث معك ... يهرب من الشمس ليتمتع بنورك . ويُغلق بابه لتفتح أنت بابك ، وينقطع عن الناس ليجلس معك ... **اجعل يارب من قلبي الصغير سماءً لسكناك لأرفع صوتي بالتهليل كشبه السمائيين ، وأقدم لك كل حين على مذبح قلبي ذبائح الشكر والتسبيح** ...] .

ولنستمع أيضاً إلى لحن عذب في المحبة من أسقف خادم عاش حياة نسكية هو

القديس والفيلسوف أغسطينوس ...

[**إلهى عرفتك لأنك قد عرفتنى ، وأحببتك لأنك أحببتنى** ... أنت مسرة روحى اقترب منى لترتوى نفسى من ينبوع محبتك لأن فيك عزاء قلبى . **شوّقنى لحبك فأنت حياتى ... أيها العريس السماوى لا تبعدنى عنك إذا ما اقتربت منك وطوّقتك بذراعىّ** ... نقِّ يارب حواسى ، واجعلها جديرة بأن تتذوق وتحس حَلاَوَة اللذة لكل مَن يريد أن يرتشف من رحيق إحساناتك . اجعلنى شغوفاً بك على الدوام . **اعطنى قلباً ينبض بحبك. نفساً تشتهيك. روحاً تتعلّق بك. عقلاً يفكرّ فيك دائماً، ويتحدّ بحكمتك ويعرف كيف يحبك أيها الحب الزاخر بكل حكمة ... أنت الذى يكمن فيك الحب والكمال ... كل مَن يعرفك يحبك. ويحبك أكثر من ذاته. يترك كل شىء ويتبعك.** كما أن قطعان الوعل تندفع نحو جداول المياه العذبة لتروى ظمأها ، هكذا نفسى متعطشة إليك يا إلهى لتطفىء لهيب أشواقها . نعم إن نفسى ظمأى إليك يا ينبوع الحياة الدائم . متى تُسكرنى نشوة عذوبتك ؟!] .

* * *

وإذا كنا قد اسهبنا بعض الشىء فى الكلام عن محبة الإنسان لله بصفة عامة ، وقدمنا عينات من مناجاة بعض رجال الله الذين أحبّوه ، وكان حبه طعامهم وشرابهم وكساءهم ، نتقدم الآن إلى نقاط أخرى فى موضوع محبة الإنسان لله ...

قيمة المحبة فى نظر الله :

إذا كان الله هو المحبة ذاتها « الله محبة » ... وإذا كانت المحبة هى التى انزلت ابن الله من السماء إلى عالمنا ، وإذا كانت هى الوصية الأولى والعظمى ، وإذا كانت هى فضيلة المسيحية الأولى وأعظم من الإيمان الذى بدونه لا يمكن أن نرضى الله (عب ١١ : ٦) ، والرجاء الذى به نخلص (رو ٨ : ٢٤) ... **وإذا كانت المحبة بهذا الاقتدار، فلا شك انها الفضيلة التى تُسِرّ الله ، حتى ان مَن يثبت فى المحبة يثبت فى الله ، والله يثبت فيه. وكل مَن لا يحب لم يعرف الله** (١ يو ٤ : ٨ ، ١٦) ... لذا قال الله قديماً لشعبه : « فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلاّ

أن **تتقى الرب إلهك لتسلك فى كل طرقه وتحبه** » (تث ١٠ : ١٢). وقال الحكيم فى سفر النشيد: «**إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً**» (نش ٨ : ٧)... نعم هذه هى قيمة المحبة فى نظر الله.

فى حياة رب المجد يسوع نقرأ عن وليمة دعاه إليها فريسى يُدعى سمعان فى بيته. وإذا بامرأة خاطئة (زانية) معروفة فى كل مدينتها، جاءت إلى حيث الرب يسوع، ووقفت عند قدميه من ورائه، وأخذت تبكى بكاءً مراً، حتى انها غسلت قدمى المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها. وكانت تقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب... ثم كان اعتراض ذلك الفريسى على المسيح من أجل قبوله تصرفات تلك المرأة الخاطئة، بأفكار أخذت تجول بخاطره دون أن **يُفصح عنها !! فما** كان من السيد المسيح إلاَّ أن ضرب له مثلاً بدائن كان له مديونان. على أحدهما خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون. وإذا لم يكن لهما ما يوفيان دينهما سامحهما بما عليهما... ثم سأل السيد المسيح ذلك الفريسى: «**أيهما يكون أكثر حباً لهذا الدائن**». **فأجاب**: «**أظن الذى سامحه بالأكثر**». ثم بدأ المسيح يعقد مقارنة بين الأسلوب الذى تعامل به معه الفريسى من جهة واجبات الضيافة وما فعلته المرأة الخاطئة فى اظهار توبتها... **وختم كلامه بالقول**: «**من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً**» (لو ٧ : ٣٦- ٥٠)...

لقد أظهرت تلك المرأة الخاطئة حباً عجيباً للمخلّص الذى آمنت أنه يقدر أن يحررها من قيود خطاياها ويمنحها السلام... لم تتكلم كلمة واحدة، **لكنها عبرت** بدموعها و بقبلاتها لقدمى المخلّص و بالطيب الذى دهنتهما به عن حبها العجيب الذى نالت به الغفران والخلاص وسلامها الداخلى «مغفورة لكِ خطاياكِ... إيمانكِ قد خلصكِ. إذهبى بسلام».

كلنا يعلم **مأساة الرسول بطرس فى إنكاره للمخلّص بقَسِم ولعن وتجديف**... وبعد القيامة المقدسة عندما أظهر الرب ذاته لبعض تلاميذه ومعهم بطرس على بحر طبرية، قال الرب له: «**يا سمعان بن يونا أتحبنى ؟**». وكرر عليه هذا السؤال ثلاث مرات. وكان جواب بطرس فى كل مرة: «نعم يارب أنت تعلم انى احبك» (يو ٢١ : ١٥- ١٧)... إنه موقف عجيب من الرب يسوع إنه كمَن يستجدى محبة

بطرس !!... أيها الاخوة انه لا شيء يشبع قلب الله سوى المحبة.

يوجه السيد المسيح فى سفر الرؤيا رسالة إلى ملاك وخادم كنيسة أفسس يقول **له فيها**: «أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد احتملت ولك صبرٌ، وتعبت من أجل اسمى ولم تكلّ. **لكن عندى عليك انك تركت محبتك الأولى.** فذكر من أين سقطت وتُبْ واعمل الأعمال الأولى، وإلاَّ فإنى آتيك عن قريب وازحزح منارتك من مكانها إن لم تتب» (رؤ ٢ : ٢ ـ ٥) ... **انظروا أيها الاخوة إلى قيمة المحبة فى نظر الله ... لقد كان لخادم كنيسة أفسس أعمالٌ طيبة، وكان له تعب وصبر وجَلَد فى الخدمة من أجل الرب، لكن كل ما كان يأخذه الرب عليه انه ترك محبته الأولى !!**

وما هى المحبة الأولى يا ترى التى يشير إليها المخلص ؟ ... المحبة الأولى هى العلاقة الشخصية الوثيقة التى تربط الإنسان بإلهه ويكون أساسها وموضوعها وهدفها المحبة ... إن الأعمال لا قيمة لها بدون المحبة ... «كثيرون سيقولون لى فى ذلك **اليوم** يارب يارب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، **وباسمك** صنعنا **قوات** كثيرة. فحينئذ أصرّح لهم إنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى **يا فاعلى** الإثم» (مت ٧ : ٢٢، ٢٣) ... **إن الحب الحقيقى يبحث عن المحبوب. انه ينتظر محبة تبحث عنه، وعنه وحده، فلا شيء يمكن أن يشبع قلب المسيح سوى حبنا له ...**

يقول القديس أغسطينوس: [ما هو السؤال الذى وجهه الرب لبطرس بعد قيامته سوى اتحبنى ؟ ولم يكن كافياً أن يوجّه هذا السؤال مرة واحدة بل **مرتين وثلاث** مرات ... ثلاث مرات الخوف أنكر، وثلاث مرات الحب يعترف. هوذا **بطرس يحب** الرب. لكن ماذا يمكنه أن يعمله للرب ؟... ومهما قدمت من شيء **فهذا قد اقتبلته من** الله لتردّه].

ويجب أن نعرف أن الله يريد أن يُحَبْ لأجل ذاته وليس لأجل هباته ... يقول أحد الآباء: [مجدى يارب هو أن أرضيك، وجهنمّى هى أن أراك مهاناً منى ... إن كنت اشمئز من الجحيم، فليس ذلك لما فيه من عذاب، لكن لأن روّاده هم أعداؤك. وإن كنت أحب المجد السماوى فليس لأجل لذتى، بل لأن المتلذذين هناك

هم أحباؤك ... إن مجدك يارب هو لمحبيك ... يقول الرسول بولس : ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه » (١ كو ٢ : ٩) ... نعم إن أمجاد الله لمحبيه فقط] ...

إذا علمنا ذلك فكم كان قاسياً على قلب الرب يسوع خيانة يهوذا تلميذه ؟! ويزيد من قسوة الأمر أن يهوذا جعل من القبلة التى تعبرّ عن الحب، علامة يسلّمه بها لأعدائه !!... وكل ما عمله الرب انه اكتفى بكلمة عتاب ليهوذا : « يا يهوذا ابقبلة تسلّم ابن الإنسان » (لو ٢٢ : ٤٨) .

في سيرة القديس الأنبا بيمين - وهو أحد آباء البرية الكبار - ان بائع سمك كان يتردد عليه ، واعتاد أن يمضى كل يوم أحد معه فى البرية ... وفى أحد الأيام طلب أنبا بيمين إليه أن يكلم الاخوة كلمة منفعة ... وبعد خجل وتمنع قبل الرجل من أجل الطاعة ... قال :

[كان لرجل ثلاثة أصدقاء . اراد هذا الرجل أن يذهب لمقابلة ملك البلاد لكنه لم يكن كفءً لذلك . فطلب إلى صديق منهم أن يصحبه ، لكنه وعده بمرافقته إلى منتصف الطريق ... ذهب إلى الصديق الثانى فوعده بمرافقته إلى باب القصر الملكى . أما الصديق الثالث فرضى أن يسير معه الطريق كله ويدخل معه إلى الملك ويتكلم نيابة عنه ... ثم بدأ يفسرّ لهم كلامه ... قال لهم إن الصديق الأول يشير إلى النُسك بدون محبة « وإن سلّمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كو ١٣ : ٣) ... والصديق الثانى يشير إلى القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب ... **أما الصديق الثالث فهو المحبة أعظم الفضائل جميعاً ، والتى بدونها لن يستفيد إنسان من جهاده مهما كان ، ومهما بلغت تضحياته** ...

لماذا يجب أن يحب الإنسان الله ؟

أ - لأن سعادة الإنسان هى فى الله ، وروحه لا تستريح إلاَّ فيه :

إن محبة الإنسان لله هى مصدر سعادته ، بل سعادة المجتمع الإنسانى كله ..

إذا نزعنا المحبة من المجتمع الإنسانى ساده الظلم والخبث والفساد والنفاق والسلب والنهب والغش والخيانة والمكايد والحروب. وهذه ولا شك تسبب لأفراد المجتمع شدائد ومصائب وأخطاراً وشروراً ... والله بحكمته السامية دبرّ للإنسان كل ما يجلب له السعادة. وحين أمرنا بالمحبة، وان نحبه من كل القلب، ومن كل الفكر، ومن كل القدرة، فليس ذلك لأنه بحاجة إلى محبة الإنسان بل لكى يعطى الإنسان كل ما يُسعده. والتأكيد على هذه المحبة بكلمة « **كل** » فى كل مرة، إنما يبيّن لزوم هذه المحبة للإنسان.

يقول الجامعة : « يرجع التراب إلى الأرض كما كان ، **وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها** » (جا ١٢ : ٧) ... **وحيث أن الروح هى من الله، فهى لا تستريح إلاّ فيه ... يقول المرتل : «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك»** إن **القديس أغسطينوس** الذى عاش حياة الخطية والدنس فى أعماقها، وخَبَر حياة النعمة فى أوج سموّها، يقول فى اعترافاته مناجياً الله : [**لقد خلقتنا لك يا الله، ونفوسنا ستظل بلا راحة حتى تستريح فيك**] ... هذا الكلام يتمشى مع قول السيد المسيح : «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا اريحكم» ... المسيح له المجد الذى خلق الإنسان و يعرف طبيعته وانه لن يجد الراحة بعيداً عن الله، دعا جميع المتعبين أن يأتوا إليه لكى يريحهم، على اعتبار ان الراحة هى فى كنفه وتحت ظله وفى الحياة معه ...

ليس للإنسان راحة إلاّ فى الله خالقه ، وروحه لا تستريح إلاّ فيه ... إن الحمامة التى أرسلها نوح من الفلك ليكتشف جفاف مياه الطوفان، لمّا لم تجد مقراً لرجلها رجعت إلى نوح فى الفلك (تك ٨ : ٩). هكذا النفس الوديعة المخلوقة على صورة الله فى البرّ وقداسة الحق، لا تجد راحتها إلاّ فيه.. إنه هو شبعنا إذ هو خبز الحياة، وهو ارتواؤنا إذ هو الماء الحىّ، وهو الطريق الوحيد إلى الآب. إنه هو ضياء حياتنا إذ هو نور العالم، وهو الراعى الصالح الذى يقتادنا إلى ينابيع الماء الحىّ ...

ب ـ من أجل احساناته الدائمة :

يقول المرتل داود النبى : « باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته » (مز ١٠٣ : ٢) ... بعدها يعدّد بعض هذه الاحسانات : «**يغفر جميع ذنوبك. يشفى كل**

أمراضك. يفدى من الحفرة حياتك. يكللك بالرحمة والرأفة. يشبع بالخير عمرك فيتجدّد مثل النسر شبابك... لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه» ... و يقول المرتل: **«ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لى. كأس الخلاص أتناول وباسم الرب ادعو»** (مز ١١٦ : ١٢ ، ١٣)... و يعلّق القديس أغسطينوس على كلام المرتل هذا بقوله: [إن ذاك الذى قال هذا فى المزمور أبان كم هى عظيمة الأعمال التى صنعها الرب معه. وبحث ماذا يجب عليه أن يردّه لله، ولكنه لم يجد شيئاً **!! لأنه مهما** قدمت من شيء فهذا قد اقتبلته من الله لترده. وماذا وجد المرنم ليقدمه للرب مقابل احساناته؟ كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو. ومَن الذى أعطاه كأس الخلاص إلاَّ ذاك الذى أراد أن يرد له شيئاً مقابل احساناته]...

يقول ارميا النبى: « اردد هذا فى قلبى. من أجل ذلك أرجو. انه من احسانات الرب أننا لم نَفْنَ **لأن مراحمه لا تزول هى جديدة فى كل صباح. كثيرة أمانتك»** (مراثى ٣ : ٢١ : ٢٣)... **إنه يعطينا حياة ونفساً وكل شيء. وبه نحيا ونتحرك ونوجد** (أع ١٧ : ٢٥ ، ٢٨)... ومنذ البداية أعلن الله لموسى عن نفسه انه **«إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء. حافظ الاحسان إلى ألوف. غامر الإثم والمعصية والخطية»** (خر ٣٤ : ٦ ، ٧)... وقال بلسان إشعياء النبى: **«الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما احسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب»** (إش ٥٤ : ١٠)... وداود النبى يناجى الله قائلاً: **«أذكر مراحمك يارب واحساناتك لأنها منذ الأزل هى»** (مز ٢٥ : ٦).

جـ - من أجل حنانه العجيب:

حنان الله العجيب يسبى الإنسان ويأسره. إنه كأب يحنو على أولاده، وكالطير الذى يجمع فراخه... قال رب المجد فى حزن على أورشليم: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (لو ١٣ : ٣٤)... إنه لا يعامل الإنسان حسب خطاياه ولا يجازه حسب آثامه... يقول بلسان إشعياء النبى: « **لحيظة تركتك وبمراحم**

عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبتُ وجهى عنك لحظة، وباحسان أبدى أرحمك» (إش ٥٤ : ٧)... ويقول لموسى النبى: «لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك» (تث ٤ : ٣١)... وقال سليمان فى صلاة تدشين الهيكل: «أيها الرب... ليس إله مثلك فى السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم» (١مل ٨ : ٢٣)... ويقول المرتل: «رضيت يارب على أرضك... غفرت إثم شعبك. سترت كل خطيتهم. حجزت كل رجزك. رجعت عن حمو غضبك» (مز ٨٥ : ١-٣)... والله فى حنانه يقول: «بسطت يدىَّ طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره» (إش ٦٥ : ٢).

ويقول السيد المسيح عن الله فى حنانه إنه: «منعم على غير الشاكرين والأشرار» (لو ٦ : ٣٥) ويقول بولس الرسول: «حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه» (تى ٣ : ٤)، ويدعوه بولس فى موضع آخر: «أبا الرأفة» (٢كو ١ : ٣)... وحينما تُسَدّ جميع الأبواب فى وجوهنا يظل باب الله مفتوحاً دائماً لن يغلق فى وجه أشر الخطاة «مَن يقبل إلىَّ لا أخرجه خارجاً»...

إن مريض بيت حسدا الذى ظل ثمان وثلاثين سنة يعانى من مرضه العضال، حينما سأله المسيح إن كان يريد أن يبرأ، كان جوابه: «ليس لى إنسان» لذا جاءه المسيح (يو ٥)... إن المسيح هو معين مَن ليس له معين له ورجاء من لا رجاء له... والمرأة نازفة الدم التى انفقت كل معيشتها على الأطباء ولم تستفد شيئاً، بل كانت تصير إلى حال أردأ، حالما لمست هدب ثوب المسيح برئت من دائها (مر ٥)... حينا يتعبنا العالم ويضايقنا من أى زاوية، نجد اذرع المسيح الأبدية مفتوحة لحملنا واحتضاننا...

إن الله يقابل خطايانا بحب وعطف ورحمة. ولا عجب فهو لا يصنع معنا حسب خطايانا ولا يجازنا حسب آثامنا (مز ١٠٣ : ١٠)... لقد أنكره بطرس وأقسم انه لا يعرفه ولعنه وجدّف عليه. فماذا كانت النتيجة؟ بعد أن حدث كل ذلك صاح الديك فتذكر كلام المخلّص فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً... ثم ماذا بعد هذا. يلتقى به المسيح بعد قيامته المجيدة عند بحر طبرية ويسأله ثلاثاً «يا سمعان بن يونا

أتحبنى »، وعندما أجاب بالايجاب قال له : «ارع خرافى» (يو ٢١) ... لقد رده المسيح إلى رتبة الرسولية مرة ثانية بعد أن انكره ... فهل هذا هو الجزاء المناسب لتلميذ أنكر وجدّف ولعن ؟!!

وشاول الطرسوسى (بولس الرسول) الذى كان يضطهد كنيسة الله بافراط ويخرّبها، والذى كان يجر المسيحيين إلى السجون، والذى قال عن نفسه إنه كان مجدفاً ومضطهداً ومفترياً، عامله المسيح برفق حينما التقى به قرب دمشق وقال له : « لماذا تضطهدنى ؟ » ... وحينما قال له شاول : « ماذا تريد يارب أن تفعل » ، جعل منه إناءً مختاراً يحمل اسمه أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل بل جعل منه رسولاً للعالم أجمع (أع ٩)... هذا هو إلهنا الحنون الذى لا يعاملنا بحسب أعمالنا وكثرة خطايانا ...

د ـ لأن عدم محبتنا لله إهانة له :

إن عدم محبتنا لله مقابل محبته تعتبر اهانة له ... فى أكثر من موضع فى العهدين القديم والجديد يقدم المسيح ذاته كالعريس والنفس البشرية كالعروس . لقد تضمن الكتاب المقدس سفراً بأكمله هو سفر النشيد فيه يوضح الله محبته لنا بصورة رمزية كالعريس والعروس . واوضح ذلك فى العهد الجديد فى أكثر من موضع منها مثل العشر عذارى ...

لقد خطبنا المسيح لذاته عروساً : « خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢)... إن العريس يريد من عروسه أن تكون له، وله وحده. لا تنظر لسواه، ولا تعطى محبتها لغيره ... وإذا حدث ما هو على خلاف ذلك، واكتشف الخطيب أن خطيبته تعطى محبتها لإنسان آخر أعتبر ذلك اهانة له، وفسخ هذه الخطبة ... هكذا فإن الله كعريس نفوسنا يريدنا بالتمام له، وهو يعتبر عدم محبتنا له إهانة له ...

ومن التعبيرات التى استخدمها الله فى العهد القديم عن شعبه حينما كان ينحرف عن عبادته إلى عبادات أخرى قوله : «شعبى زنى وراء آلهة أخرى» (قض ٢ : ١٧) ... والزنا هنا معناه انهم أعطوا محبتهم لآلهة أخرى، أو صاروا لآلهة أخرى

على نحو ما يقول بولس الرسول إن المرأة تدعى زانية إن صارت لرجل آخر غير زوجها وهو على قيد الحياة (رو ٧ : ٣).

هـ ـ محبة الإنسان لله تشعره بفناء العالم وتفاهته :

ولأن الإنسان الذى يحب الله ينشغل به دائماً ، فإن أشواقه تكون فى السماويات، وبالتالى فإنه يشتهى عالماً أفضل أى سماوياً (عب ١١ : ١٦)... يقول بولس الرسول : «فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب... نثق ونُسَرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (٢ كو ٥ : ٦، ٨)... كما يُعبرّ عن أشواقه بقوله : «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣)...

وسمعان الشيخ حينما حمل الطفل يسوع فى الهيكل بارك الله قائلاً : «الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام، لأن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو ٢ : ٢٩، ٣٠)... والمرتل يقول : «ويلى فإن غربتى قد طالت علىَّ» (مز ١٢٠ : ٥)، كما يقول : «غريب أنا على الأرض فلا تخفى عنى وصاياك» (مز ١١٩ : ١٩)... وحينما مثل يعقوب إسرائيل أمام فرعون مصر الذى كان معاصراً ليوسف سأله : «كم هى أيام سنى حياتك»، فأجاب مستدركاً «أيام سنى غربتى مائة وثلاثون سنة قليلة وردية» (تك ٤٧ : ٩).

وسليمان أحكم أهل زمانه بعد أن اختبر كل أمور العالم الحاضر قال باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس (جا ١)... من أجل كل ذلك ـ من أجل الاحساس بفناء العالم الحاضر، زهد القديسون والأبرار فى العالم وكل ما فيه وعاشوا كغرباء ونزلاء فيه، محبة فى الملك المسيح... إنه بقدر ما تنمو محبة الإنسان للمسيح بقدر ما يحتقر كل ما فى العالم. **بهذا نفهم كلمات الرسول : «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم»** (١ يو ٢ : ١٥).

و ـ محبة الإنسان لله تنقذه من الوقوع فى الخطأ :

إن المحبة من شأنها أن تشغل الإنسان بمَن يحبه، سواء كان المحبوب حاضراً أم

غائباً . وكلما زادت المحبة كلما تعمّق هذا الاحساس لدى المحب بحيث يملك عليه مشاعره واحاسيسه ... **فإذا كانت هذه المحبة بين إنسان وبين الله وبعمق، فإن الإنسان المحب يشعر بوجوده الدائم فى حضرة الله فى أى مكان وزمان، يناجيه ويحرص على فعل ما يرضيه وتجنب ما يُغضبه** ... هذا فضلاً عن فوائده الإيجابية، إذ يحول بين الإنسان والوقوع فى « الخطية المحيطة بنا بسهولة » (عب ١٢ : ١) .

ولعل كلمات داود النبى « **جعلت الرب أمامى فى كل حين** لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » (مز ١٦ : ٨) تعبرّ عن محبته العميقة لله، و بالتالى الاحساس الدائم بالوجود فى حضرته... **وكذلك كلمات إيليا النبى كان يقولها : « حىّ هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه »** (١ مل ١٨ : ١٥) ... **وكذلك كلمات يوسف الصديق حينما ضغطت عليه امرأة سيده فوطيفار أن يخطىء معها « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله »** (تك ٣٩ : ٩) ...

والحق ان الإنسان تتملكه الدهشة من كلمات يوسف هذه !! **كان من المنتظر** ـ بعد كل الذى حلّ به على أيدى اخوته ـ أن يقول : أين هو الله ؟ **لو كان هناك إله** موجود فلماذا تخلى عنى وترك اخوتى يفعلون بى ما فعلوا حتى يبيعوننى عبداً **وأنا ابن** يعقوب وسليل إبراهيم وإسحق... لكن يوسف كان من طراز آخر، **وكان إحساسه** بوجوده فى حضرة الله عظيماً ... وهكذا نجا من تجربة قاسية، وخطيئة أكيدة **مميتة ...**

ونود هنا أن نضيف شيئاً ، وهو أن ظروف الحياة القاسية وتياراتها العنيفة، وشهواتها واغراءاتها الصعبة تجرف كثيرين من غير المتأصلين فى محبة الله، فيتخلون عن المبادىء المقدسة، و يلجأ البعض إلى السرقة أو الرشوة أو النصب والاحتيال . و يلجأ البعض إلى الارتداد عن الإيمان كلية خوفاً من شىء ما أو سعياً وراء شىء جسدى أو عالمى... على أن الذى يقود أمثال هؤلاء لأفعالهم الشائنة، ليست ضغطات الحياة وحدها بل بالأكثر عدم محبتهم للمسيح .

ومنذ عهد الرسل تعرض المؤمنون لأمثال هذه الضغطات وأكثر منها، ومع ذلك لم يستطع شىء أن ينال من إيمانهم أو يزحزحهم عن محبتهم لله التى فى المسيح ... لنستمع إلى بولس الرسول وهو يقول لأهل كورنثوس... « **إلى هذه الساعة** نجوع ونعطش ونعرّى ونُلكم وليس لنا إقامة . ونتعب عاملين بأيدينا . نُشتم فنبارك،

نضطهد فنحتمل. يُفترى علينا فنعظ» (١ كو ٤ : ١١- ١٣)... وقال عن ذاته وعن المؤمنين: «نخاطر كل ساعة» (١ كو ١٥ : ٣٠)... وقال إنه يموت كل يوم (١ كو ١٥ : ٣١)... **ولا تعليل لكل ذلك إلاَّ في المحبة التي تحتمل كل شيء من أجل المحبوب وتصبر على كل شيء... بل إن هذه الضعطات والشدائد تؤول لمحبي الله إلى نصرة «لكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا»** (رو ٨ : ٣٧).

ز- محبة الإنسان لله تخلصه من السرقات الروحية :

والمقصود بالسرقة الروحية، أي شيء يستطيع أن يسرق محبتك لله حتى لو كان هذا الشيء طيباً ومشروعاً!! وهذه نقطة دقيقة وحساسة. والسارق لا يسرق إنساناً إلاَّ بخفة دون أن يشعر. ولا ينهب بيتاً إلاَّ إذا تأكد أن أصحابه أما نياماً أو غائبين. والسارق هنا هو إبليس.

ولا يجب الاستهانه بهذا الأمر، فقد يكون ما يسرق محبتنا شيء مشروع كمحبة الوالدين أو الزوجة أو الأولاد... يقول رب المجد: «مَن أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني. ومَن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني» (مت ١٠ : ٣٧)... احترس مما وممَن يسرق محبتك لله... قد يكون أحد أفراد أسرتك أو مالاً أو منصباً أو درجة علمية تسعى للحصول عليها. وقد يكون صديقاً ترتبط به بصداقة قديمة... وقد يكون شيئاً من ضغطات الحياة، وما أكثرها في هذه الأيام الصعبة...

يقول القديس أغسطينوس : [احترس لئلا يسرقك الشيطان فيقول لك إن الله خلق كل الأشياء لتتنعم بها. لقد نسى الناس خالقهم الواحد وازدروا به حينما لم يستعملوا الأشياء المخلوقة بتعفف بل بشهوة. وعن مثل هؤلاء قال الرسول: «واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد» (رو ١ : ٢٥)].

محبة الإنسان لله ومحبته للعالم :

لكلمة العالم ثلاثة معانٍ : العالم بالمعنى الجغرافي أي المسكونة كلها. والعالم

بمعنى الخليقة على نحو ما يقول السيد المسيح لتلاميذه : « إذهبوا إلى العالم أجمع اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ... والعالم بمعنى الشهوات الشريرة وشرور العالم على نحو ما يقول يوحنا الرسول : « لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم » (١ يو ٢ : ١٦) ... وما نعنيه هنا هو هذا المعنى الشرير الأخير، كما يقول الرسول أيضاً : « نعلم أننا نحن من الله والعالم كله قد وُضِعَ فى الشرير» (١ يو ٥ : ١٩) .

ويتكلم الكتاب المقدس بغاية الوضوح عن خطورة محبة العالم ... « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة . ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢ : ١٥- ١٧) ... ويقول يعقوب الرسول متسائلاً : « أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمَن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) .

يقول القديس أغسطينوس : [هناك نوعان من الحب : محبة العالم ومحبة الله . إن سكنت فينا محبة العالم ، فليس هناك سبيل لمحبة الله أن تدخل . فدَعْ عنك محبة العالم لتحلّ محبة الله ... لا يقل أحد فى قلبه أيها الاخوة إن هذا غير صحيح . لقد قالها الله . لقد تكلم الروح القدس بواسطة الرسول ، فليس شىء أكثر صدقاً من قوله : « إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب » . فليتكم تقتنون محبة الآب حتى يمكنكم أن تشاركوا الابن فى الميراث . انكم إناءٌ، فَرّغوا ما فيه حتى تقتبلوا ما ليس فيه . جيّد ألاّ نحب العالم لئلا تبقى أسرار الكنيسة المقدسة فينا للهلاك الأبدى . ولا تصبح وسيلة لتقويتنا للخلاص . إن ما يقوينا للخلاص أن يكون لنا أصل المحبة و « قوة التقوى » ، لا الصورة فقط (٢ تى ٣ : ٥) . إن الصورة حسنة ومقدسة ، ولكن بماذا تنفع الصورة إن لم يكن لها الأصل . ألاَ يُلقى الفرع المقطوع فى النار؟ لتكن لك الصورة لكن بالأصل . ولكن بأية طريقة أنتم متأصلون حتى لا تُقلعوا ؟ باقتناء المحبة كما يقول الرسول بولس : « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة » (أف ٣ : ١٨) . ولكن كيف تتأصل المحبة وسط برية العالم المقفرة . وكل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من

العالم ... والسؤال لماذا لا أحب ما عمله الله ؟ إما أن تحب الأشياء الزمنية وتمضى مع الزمان ، وإما أن لا تحب العالم وتحيا إلى الأبد مع الله ... هل محبة العالم تطويك فى دوامتها ؟ امسك المسيح بسرعة . لأجلك صار زمنياً حتى يمكنك أن تصير أبدياً . لقد أضيفت إليه بعض الأشياء من الزمان ، دون أن يفقد شيئاً من أزليته . لكن أنت ولدت زمنياً وبالخطية صرت زمنياً . لقد صرت زمنياً بالخطية ، ولكنه هو صار زمنياً بالرحمة لغفران الخطايا . ما أكثر الفارق بين اثنين فى سجن واحد . بين المجرم ومن جاء لزيارته !! يحدث أحياناً أن يأتى شخص ويدخل السجن لزيارة صديقه المسجون . الاثنان فى سجنٍ . ولكنهما يختلفان اختلافاً كبيراً . احدهما تحتم عليه قضيته ، بينما الثانى ساقته إنسانيته . وهكذا نحن فى حالتنا المستحقة الموت . لقد أمسكنا بذنبنا ، وهو فى رحمته نزل إلينا . ودخل إلى الأسر فادياً] .

والكتاب المقدس يضع حداً فاصلاً بين محبة الله ومحبة العالم ... بين النور والظلام، كما بين الخير والشر. ولا يجب الخلط بين محبة الله ومحبة العالم. وسلوك الإنسان وحده هو الذى يحدّد نوعية محبة الإنسان، هل هى لله أم للعالم ... يقول صاحب النشيد بلسان العروس مخاطبة عريسها : « اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك . لأن المحبة قوية كالموت » (نش ٨ : ٦) .

إن وصية المسيح له المجد أن نحب الله من كل القلب والفكر والقدرة . ولا ينبغى أن نشرك آخر أو آخرين ، أو أى أمور عالمية مع الله فى محبتنا . بل لتكن محبتنا للآخرين من خلال محبتنا لله ، فإن ذلك يقدّس هذه المحبة ويقويها وينقيها ...

أتت إلى سليمان ملك إسرائيل امرأتان مختلفتان على طفل . كل منهما تدّعى بنوته لها ، لأن الاثنتين ولدتا فى وقت واحد تقريباً . وإذ أراد سليمان بما أوتى من حكمة معرفة الأم الحقيقية ، أمَرَ أن يؤتى بسيف ، وأمر أن يشطر الطفل اثنين لتأخذ كل إمرأة نصفاً . تهللت إحداهما لهذا الحلّ ، بينما قالت الأخرى : « استمع يا سيدى . أعطوها الولد الحىّ ولا تميتوه » . فعلم سليمان أن هذه هى الأم الحقيقية (١ مل ٣ : ١٦ - ٢٧) ... إن الأم غير الحقيقية لا يهمها أن يموت الطفل . أما الأم الحقيقية فلا ترضى إلاّ بالابن حياً وكاملاً ... **هكذا الله لا يرضى إلاّ بقلب الإنسان ومحبته كاملة . أما عدو الخير فلأنه سارق وليس مالكنا ، فإنه يُسَرّ بما يستطيع أن يحصل عليه منا .**

لكن ربما بدا الأمر صعباً بالنسبة لكثيرين . إنهم يتساءلون كيف يكون الإنسان عائشاً فى العالم ولا يحبه أو يتعامل معه ؟... **يقول القديس اغسطينوس : [حبّ الله وافعل ما شئت]**. لكن فى هذه الحالة سوف لا تعمل ما تريده أنت ، بل ما يريده الله **لأن محبة** المسيح تحصرك كما يقول الرسول بولس (٢ كو ٥ : ١٤)... **اجعل محبة الله هى الأولى** ، وبعد ذلك ستعرف ما يمكنك أن تعمله دون أن تخطىء إلى هذه المحبة أو تهينها ... إن محبة العالم عداوة لله ... وكثيراً ما يجرح المسيح فى بيت أحبائه (زك ١٣ : ٦)... ولنحذر الخطية فإنها سبب فتور المحبة « لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » (مت ٢٤ : ١٢).

فى أى شىء تظهر محبة الإنسان لله ؟

أ ـ فى محبته لله أكثر من أى شىء أو أى أحد ، حتى لو كانت محبة طاهرة ومشروعة . وهذه قد تكلمنا عنها قبلاً فى ثنايا حديثنا .

ب ـ فى محبته لكل الخليقة لا سيما الإنسان . وقد اشرنا إلى ذلك قبلاً وسنتناول موضوع محبة الإنسان للإنسان فى الموضوع المقبل ...

جـ ـ فى مشاركة المسيح آلامه ... ليس أدل على محبة إنسان لآخر من مشاركته آلامه وضيقاته ... أو فى احتماله للآلام من أجله ... والسيد المسيح وإن كان قد أكمل الفداء على الصليب ، لكن آلامه لم تكتمل ومازالت حتى الآن . يقول الرسول بولس لأهل كولوسى : « أفرح فى آلامى لأجلكم ، وأكملّ نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤)... **والمؤمنون بالمسيح يكملون آلامه حتى الآن** ... لذا فى رسالته إلى خادم كنيسة أفسس يقول السيد المسيح : **« أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد احتملت ولك صبر وتعبت من أجل اسمى ولم تكلّ »** (رؤ ٢ : ٢ ، ٣)... ولقد جعل المسيح حمل الصليب علامة من علامات التلمذة له **وتبعيته** ... ومتى يحمل الإنسان الصليب ... يقول المسيح « كل يوم » (لو ٩ : ٢٣)... وأين نحمل الصليب بالمفهوم الحقيقى والروحى ... فى كل مكان وفى كل مناسبة . انها الشهادة الحية أننا تلاميذه واتباعه « تكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل **اليهودية** والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨)...

إن كل ما يأتى على المؤمن من ضيقات - طالما أنها ليست بسبب أخطائه - فإنها تكون من أجل المسيح ، سواء كانت ضيقات روحية من عدو الخير، أو مضايقات أخرى يثيرها علينا عدو الخير أيضاً ... تكفى كلمات المسيح التى أنبأنا بها عما سيحل بنا «تكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى» (مت ١٠ : ٢٢) ... وواضح هنا أن البغضة ليست بسبب خطأ ارتكبناه ، بل «من أجل اسمى» !!

د - فى خدمة المسيح :

الخدمة بصفة عامة فى المفهوم الروحى ، هى التعبير العملى عن محبة الإنسان لله ... **فلقد** أتم المسيح فداءه للبشر على الصليب ، وأسس الكنيسة فى يوم الخمسين ، لكنه ترك مهمة امتداد ملكوته على الأرض لتلاميذه وكل مَن يتتلمذون على أيديهم ... ومازلنا كل يوم نطلب إلى الله فى الصلاة التى سلمنا إياها المسيح قائلين : «ليأتِ ملكوتك» ...

والخدمة ليست وقفاً على جماعة من البشر ، كما أنها ليست من نوع واحد . لذا يقول الرسول بولس : «أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد . وأنواع خِدَمٍ موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد» (١ كو ١٢ : ٤ - ٦) ... ليست خدمة التعليم إلاَّ نوعاً من أنواع الخدمة الكثيرة والمتنوعة ... **ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه لا يمكن إحصاء أنواع الخدمة ... قد تكون كلمة طيبة تريح إنساناً خدمة ، وقد تكون تعزية إنسان حزين خدمة ، وقد تكون فك ضيقة إنسان محتاج خدمة ، وقد تكون النصيحة المخلصة خدمة ... هذا ناهيك عن أنواع الخِدَم المتعارف عليها بين الناس ... لنفهم جيداً أن الخدمة فى أى صورة من صورها هى تعبير عن حب . لذا فالإنسان المحب يعرف كيف يخدم جيداً ، بعكس الإنسان الذى تنقصه المحبة وتتوفر له مواهب كثيرة** ... لذا يقول القديس بولس لأهل غلاطية : «**بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً**» (غل ٥ : ١٣) ، و يشير فى رسالته إلى أهل تسالونيكى إلى عمل إيمانهم وتعب محبتهم (١ تس ١ : ٣) ... **وفيما نحن نخدم اخوتنا فإننا نقدم الخدمة له «بما إنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم»** (مت ٢٥ : ٤٠) .

فضائل ترتبط بمحبة الإنسان لله :

سبق القول ان الفضائل جميعاً ترتبط بالمحبة ، وقد شبهنا المحبة بالنسبة لبقية الفضائل بخيط المسبحة الذى يمرّ و ينفذ فى كل حبات المسبحة ، ويجعل منها وحدة واحدة ، ولذا دعاها الرسول بولس : « رباط الكمال » ... لكننا نخص بالكلام هنا بعض الفضائل الأساسية كالإتضاع ونقاوة القلب والصبر والاحتمال والعطاء ...

أ ـ الإتضـــــاع :

الإتضاع والحب يتعاضدان ويؤازر كل منهما الآخر ... يقول القديس أغسطينوس : **[حيث المحبة هناك السلام. وحيث التواضع نجد المحبة]** ... **ويقول القديس يوحنا الدرجى :** [لا شىء أفضل من الإتضاع والحب. لأن الاتضاع يرفع كما قال الرب ، والحب يمسك فى الارتفاع كما قال الرسول إن المحبة لا تسقط أبداً ولا تبطل] .

إن محبتنا لله يقوّمها الإتضاع ويقوّيها . فحينما يشعر الإنسان بكثرة خطاياه ورداءة سيرته ، و يشعر إلى جانب ذلك بأن الله مازال أميناً فى محبته له والعناية به ، تكون مشاعر الإتضاع والإنسحاق هذه سبباً فى اضرام قلبه بمحبة الله ... هذه المشاعر هى التى اضرمت نار محبة الله فى قلوب القديسين ، ومازالت تحرك كثيرين نحو هذا الهدف السامى ...

وإذا كان الاتضاع عامل هام فى تدعيم المحبة ، فإن المحبة بدورها تقوّى الإتضاع وتدعمه . ويبدو هذا فى علاقتنا بالله والناس ... فاحساسنا بشدة وعمق محبة الله لنا يزيدنا إنسحاقاً ، ومن الناحية الأخرى فإن إتضاعنا يجذب محبة الله نحونا . ونفس الشىء يحدث فى علاقاتنا بالآخرين ...

ب ـ نقاوة القلب :

السيد المسيح فى عظته على الجبل يطوّب أنقياء القلب لأنهم يعاينون الله (مت ٥ : ٨) ... و يقول المرتل : « مَن يصعد إلى جبل الرب ، ومَن يقوم فى موضع قدسه . الطاهر

اليدين والنقى القلب » (مز ٢٤ : ٣ ، ٤) ... والقلب النقى هو القلب الذى تنقى من الخطية ومن الأ باطيل ، وبدأ يثمر ثمار الروح . وأول ثمرة من ثمار الروح القدس هى المحبة (غل ٥ : ٢٢) ... **وإذا كان السيد المسيح قد طوّب أنقياء القلب فلأنهم يعاينون الله ... ومعاينة الله تحتاج أول ما تحتاج إلى المحبة ، لأن الله محبة .**

جـ - الصبر والاحتمال :

إن محبة الإنسان لله - وحتى محبتنا للآخرين - لا تظهر إلاّ بالصبر والاحتمال ، فالمحبة تحتمل كل شيء (١ كو ١٣ : ٧). فضلاً عن أن المحبة تهوّن علينا الشدائد والآلام والضيقات . فمن أجل محبة الله يكون الإنسان مستعداً لتقبلّ الآلام وكل ما يأتى عليه ، حتى أن الرسول بولس يقول : « من أجلك نُمات كل النهار . قد حُسبنا مثل غنم للذبح . ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٦ ، ٣٧) ...

ولدينا مثل رائع فى العهد القديم فى قصة زواج يعقوب أب الآباء براحيل ... حينما طلب يعقوب يد راحيل ليتزوج منها ، اشترط عليه خاله لابان أن يخدمه سبع سنين مقابل زواجه منها . ونفذ يعقوب ما تعهد به لخاله وخدمه سبع سنين . و يقول الكتاب : « كانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها » (تك ٢٩ : ٢٠) ... لكن القصة لم تكتمل ، فلقد خدعه خاله لابان وزوّجه من ليئة شقيقة راحيل الكبرى . وحينما طالب براحيل اشترط عليه أن يخدم سبع سنين أخرى . و بالفعل خدم يعقوب خاله لابان أربع عشرة سنة لكى يفوز براحيل من أجل عظم محبته لها ...

د - العطـــــاء :

يرتبط العطاء بالمحبة ... وحينما نقول العطاء فنحن لا نقصد إلى الناحية المادية فقط ، بل العطاء فى كل صوره . وليس من المبالغة إن قلنا إن العطاء المادى هو أدنى أنواع العطاء ... فالإنسان فى عطائه يتدرج من العطاء المادى إلى عطاء الوقت والجهد ، حتى يصل بالنسبة للبعض إلى عطاء النفس حينما يكرّس حياته تكريساً كاملاً لله على نحو ما يفعل من يعيشون حياة التبتل فى الرهبنة ، أو

الخدمة الكهنوتية فى العالم أو المكرسون فى أية صورة من صور التكريس .

والله لا يقبل عطايانا وتقدماتنا إلاَّ إن كانت عن حب فان « أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً » (نش ٨ : ٧) ... والرسول بولس يقول : « إن اطعمت أموالى وأسلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كو ١٣ : ٣) . والرسول يوحنا الحبيب يربط بين العطاء والمحبة حينما يقول : « **وأما مَن كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه ، فكيف تثبت محبة الله فيه . يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق** » (١ يو ٣ : ١٧ ، ١٨) .

يقول الرسول بولس : « كل واحد كما ينوى بقلبه ، ليس عن حزن أو اضطرار ، لأن المعطى المسرور يحبه الله » (٢ كو ٩ : ٧) ... **ولا شك أن السرور فى العطاء إنما يدل على ما يكنه قلب المعطى من محبة نحو الله** ، لأنه يحسّ وهو يُعطى إنساناً إنما يعطى الله ذاته ...

وثمة قصص كثيرة فى تاريخ الكنيسة توضح لنا أنه كلما زاد الإنسان فى محبته لله كلما زاد فى عطائه ، ونكتفى بذكر واحدة منها **وهى عن القديس بطرس العابد ...**

بدأ حياته قاسياً فى معاملته ، شديداً فى شّحه وبخله ، حتى لقبوه بمَن لا رحمة فيه . قَصَدَه فقير ذات يوم يسأل صدقة ، فلم يجبه إلى طلبه . لكن السائل استمر فى الحاحه . واتفق أن وصل غلامه يحمل خبزاً . فأخذ خبزة والقاها فى وجه الفقير، مريداً ضربه وليس بقصد الرحمة ... ولكن ذلك الفقير انحنى نحو الخبزة واخذها وانصرف ... أراد الرب أن يغيّر قلب ذلك الرجل من جهة محبته الشديدة للمال . فرأى بطرس فى تلك الليلة حلماً ، وكأنه فى يوم الدينونة واقف للمحاكمة أمام الملائكة . ولم توجد له حسنات سوى تلك الخبزة التى ضرب بها ذلك الرجل الفقير... استيقظ من نومه مذعوراً مرتجفاً ، وأخذ يفكر فى ذلك الحلم ، ومعه أخذ يلوم نفسه على شحه وبخله ... كان ذلك سبباً فى تحويله إلى إنسان رحوم . وزع ثروته على الفقراء ، ولما لم يجد شيئاً يتصدق به تصدق بثوبه الذى يرتديه فباعه وتصدق بثمنه ... وقيل إنه لما لم يبق له شيء ترك بلده ومضى وباع نفسه عبداً وتصدق بالثمن على الفقراء .

ولما شاع ذكره وذاعت فضيلته قصد برية شيهيت ، وأمضى بقية حياته فى عبادة ونسك ، أهلّته فى النهاية إلى أن يعرف ساعة انتقاله من العالم . وتعيّد له كنيستنا بتذكار نياحته فى الخامس والعشرين من شهر طوبة من كل عام .

عشاء عُرْس الحمل :

ونحن نتكلم عن محبة الإنسان لله ، نقول ما هى الغاية من هذه المحبة ، وهل لها من نهاية ... وما هى نهاية محبة الإنسان لله التى ظل يُغَذّيها ويضرمها حياته كلها بالجسد على الأرض ..؟

يقول يوحنا فى سفر الرؤيا : « وخرج من العرش صوت قائلاً سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفيه الصغار والكبار . وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا ، فإنه قد مَلَك الرب الإله القادر على كل شيء . **لنفرح ونتهلل ونُعطِه المجد لأن عُرس الخروف قد جاء ، وامرأته هيأت نفسها . واعطيت أن تلبس بزاً نقياً لأن البزّ هو تبررات القديسين . وقال لى اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف** » (رؤ ١٩ : ٥ ـ ٩) ...

ماذا يعنى الحضور إلى عرس الحمل ؟ انه يفوق تعبير الكلمات والأفكار... ان كل الفرح والسعادة فى هذا العالم لا يقارن بعشاء عرس الحمل . انه مهرجان المحبة العظيم . إن ملك الملوك ورب الأرباب يصنع وليمة عرسه مع عروس محبته التى هى الكنيسة بأعضائها . أعداد لا تحصى من الملائكة ... ألوف الوف وربوات ربوات ... وإذا كان الملائكة أرواحاً مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١ : ١٤) ... إذا كانوا قد خدموا الأمناء على الأرض فكم بالأحرى ستزداد خدمتهم لهم فى السماء ... **وما هذه العروس التى تجلس إلى جوار الرب يسوع الحمل المذبوح . كم هى جميلة وتفوق كل وصف ... لقد حول دم الخروف الخطاة إلى عروسه ، وهم يحملون صورته ويجلسون معه .**

ووسط هذا المجد الذى لا يُعبرّ عنه ستكون العروس وكأنها فى حلم . لكن لأنها تحب بالحق فهى لا تنظر إلاّ إلى محبوبها ـ الخروف الذى وسط العرش الذى هو عريسها ... إنها وسط تهليل الملائكة والخلائق السمائية لا تصغى إلاّ إلى صوت واحد

هو صوت عريسها ملك الملوك ... **انها الآن تستطيع أن تبقى معه إلى الأبد وتستطيع رؤيته وجهاً لوجه. إنها الآن تتبين مجده الذى كانت تنظره كما فى مرآة (٢ كو ٣ : ١٨)** ... كانت وهى على الأرض تنظر فى مرآة فى لغز، ولكنها الآن وجهاً لوجه (١ كو ١٣ : ١٢)... **لقد وصلت العروس إلى آخر محطة وهى تستقل قطار السماء** ... انها المحطة العظمى ، **محطة المحبة** ...

سترى العروس الملك فى بهائه - أبرع جمالاً من بنى البشر» (مز ٤٥ : ٢)... وسيقول لها : « ما أحسن حبكِ يا اختى العروس» (نش ٤ : ١٠)... **وعندما تتذكر العروس ماضيها** ، وتنتبه إلى مكانة عريسها انه هو ملك ملوك الأرض ، **تسقط عند قدميه مقدمه له العبادة** ، ولكنه يُقيمها ويُجلسها إلى جواره « **وأنا اعطيتهم المجد الذى اعطيتنى» (يو ١٧ : ٢٢)** ... انها عروسه التى قيل عنها : « **جُعلَت الملكةُ عن يمينك بذهب أوفير»** (مز ٤٥ : ٩)... **لقد حققت العروس كل ذلك بمحبتها لعريسها** ... آه ! مَن الذى يستطيع التعرّف على الخاطئة القديمة فى **شخص هذه العروس ؟!**... إنها ترتدى ثياب الملكة فى كتان أبيض ، **ومتوّجة بأكليل البرّ، مقابل الذل والعار** اللذين تحملتهما من أجل اسمه فى صبرٍ وتواضع ومحبة. **وحملت صليبه بفرح** وسارت خلفه المسيرة كلها ...

ويا لها من فرحة للآب السماوى عندما يرى ثمار آلام ابنه الحبيب. فعروسه هى مجموعة من الخطاة ، لكنهم الآن صاروا مشابهين صورة ابنه **الذى بذل ذاته عنهم ، وذاق الموت لأجلهم** ... لقد حرّرهم من قوة الخطيئة وسلطانها **حتى بذلك يعكسوا مجد الخالق ثانية** ... **إن هؤلاء جميعاً جماعة من الخطاة حولتهم محبة ابن الله إلى قديسين** فضيلتهم الأولى هى المحبة ...

مبارك مَن يستطيع المثول فى حضرة الرب فى ذلك اليوم ... **لقد أهّلته محبته العميقة الخالصة** لهذا المجد الذى لا يعبرّ عنه ، بقوة الفداء الذى أتمه ابن الله **على الصليب** فوق الجلجثة ... **إن مجداً لا يوصف سيكتنف هؤلاء المفديين** ... **لقد أتوا من الضيقة العظيمة** ، وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوها فى دم **الخروف ... من أجل ذلك** « هم أمام عرش الله ، ويخدمونه نهاراً وليلاً فى هيكله. **والجالس على العرش يحلّ فوقهم. لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس**

ولا شيء من الحرّ. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماءٍ حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٧: ١٥- ١٧)... ما هذا المجد كله يا إلهى... إنها الحياة الأبدية التى وعدت بها كل الذين يحبونك...

محبة الإنسان لأخيه الإنسان

- محبة الإنسان للإنسان فى تعليم السيد المسيح .
- محبة الإنسان للإنسان فى تعليم الرسل .
- المحبة الأخوية فى حياة الكنيسة .
- مفهوم جديد يقدمه المسيح لمحبة الإنسان للإنسان .
- تعليم المسيح عمن هو القريب .
- محبة الأعداء فى تعليم المسيح .
- سمات المحبة المسيحية فى محبة الإنسان للإنسان .

الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (عب ١٣ : ٢٨ ؛ يع ١ : ١٧) . **وإذا كان الله محبة كما أعلن فى العهد الجديد، لكنه محبة أيضاً** منذ القديم ، بل منذ الأزل ، فالله من صفاته الثبات وعدم التغير... **وإن كنا فى العهد الجديد نرى محبة الله فى ملئها وعمقها ، فليس معنى ذلك أنه لم يكن محباً منذ القديم .**

قال الله بلسان موسى النبى : « **تحب قريبك كنفسك أنا الرب ... كالوطنى منكم يكون الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر. أنا الرب إلهكم** » (لا ١٩ : ١٨ ، ٣٤) ... « **فاحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر** » (لا ١٠ : ١٩) ... ويقول الحكيم : « **البغضة تهيّج خصومات** ، والمحبة تستر كل الذنوب... **أكلة من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بغضة... مَن يستر معصية يطلب المحبة** » (أم ١٠ : ١٢ ؛ ١٥ : ١٧ ؛ ١٧ : ٩) . كما يقول أيضاً : « **لا تفرح بسقوط عدوك ، ولا يبتهج قلبك إذا عثر، لئلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه** » (أم ٢٤ : ١٧ ، ١٨) ... وحين أخطأ بنو إسرائيل وصنعوا لأنفسهم عجلاً من الذهب ليعبدوه ، اظهر موسى **محبته** لشعبه ووقف يشفع فيه وقال للرب : «آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة ، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . **والآن ان غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحنى من كتابك الذى كَتَبْتَ** » (خر ٣٢ : ٣١ ، ٣٢) ... ويقول المرتل : « هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الاخوة معاً . مثل الدهن الطيّب على الرأس النازل على اللحية لحية هارون النازل إلى طرف ثيابه . مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون . **لأن هناك أمر الرب بالبركة** حياة إلى الأبد » (مز ١٣٣ : ١ - ٣) .

قلنا إن تعليم محبة الإنسان لأخيه الإنسان موجود فى العهد القديم ، لكن الفهم الكامل والواضح لهذه الوصية لا نراه إلاَّ فى العهد الجديد ، حيث أظهر الله محبته فى ملئها سواء محبته هو للبشر أو فى تعليمه عن محبة الإنسان للإنسان فى شخص ابنه يسوع المسيح ربنا . وليس أدل على ذلك مما قاله الرسول بولس : « **أما** المحبة الأخوية **فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها ، لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً** » (١ تس ٤ : ٩) ... لنلاحظ التعبير الذى يستخدمه الرسول : « **لأنكم أنفسكم متعلمون من الله** » .

محبة الإنسان للإنسان فى تعليم السيد المسيح :

وما أكثر ما علّم السيد المسيح عن المحبة الأخوية :

« **تحب قريبك كنفسك** » (مت ١٩ : ١٩ ؛ غل ٥ : ١٤) ... وفى عظته على الجبل يقول : « مَن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه أثنين . مَن سألك فاعطه . ومَن أراد أن يقترض منك فلا ترده ... **وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا** » (مت ٥ : ٤١ ؛ لو ٦ : ٣١) ... « **هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم** ... أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيتكم به ... **بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً** » (يو ١٥ : ١٢ ، ١٤ ، ١٧) .

والإنسان الذى لا يحب يفصل نفسه عن الكنيسة ، ومعلوم أنه لا خلاص خارج الكنيسة ... يقول رب المجد يسوع : « إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . إن سمع منك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين ... **وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار** » (مت ١٨ : ١٥ - ١٧) ... بعد هذا القول يسأل بطرس الرسول السيد المسيح قائلاً : « كم مرة يخطىء إلىَّ أخى وأنا أغفر له . هل إلى سبع مرات » . فكان جواب الرب عليه : « **لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات** » (مت ١٨ : ٢١ ، ٢٢) ...

بعدها مباشرة يقدم لنا مثلاً يوضح به عاقبة مَن لا يحب أخاه ... يقول :

« يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده . فلما ابتدأ فى المحاسبة قُدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة . وإذ لم يكن له ما يوفى ، أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له و يوفى الدين . فخرّ العبد وسجد له قائلاً : يا سيد تمهّل علىَّ فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمائة دينار . فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفنى ما لى عليك . فخرّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهّل علىَّ فأوفيك الجميع . فلم يُرد ، بل مضى والقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً واتوا وقصّوا على سيدهم كل ما جرى . فدعاه حينئذ

سيده وقال له : أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليَّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا. وغضب سيده وسلّمه إلى المُعذّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (مت ١٨ : ٢٣-٣٥).

بل أكثر من هذا فإن السيد المسيح يجعل المحبة العملية هي المؤهل للملكوت السماوي :

« ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعّد لكم منذ تأسيس العالم ، لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريباً فآويتموني ، عرياناً فكسوتموني ، مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ، ومتى رأيناك غريباً فآويناك ، أو عرياناً فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار **اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعّدة لإبليس وملائكته ، لأني جعت فلم تطعموني ، عطشت فلم تسقوني ، كنت غريباً فلم تأووني ، عرياناً فلم تكسوني ، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا.** فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية » (مت ٢٥ : ٣١-٤٦).

ويقول السيد المسيح : « مَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسْم تلميذ فالحق أقول لكم انه لا يُضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٢)... ربما كان كأس الماء البارد تافهاً في نظر الناس ، لكنه متى قُدم بمحبة فقد صار شيئاً له أجر عند الله ، لأنه تنفيذ لوصيته.

محبة الإنسان للإنسان فى تعليم الرسل :

يقول معلمنا القديس بولس الرسول : « **لا تكونوا مديونين لأحد بشيء، إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس.** لأن لا تزنى لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشتهى ، **وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك** » (رو ١٣ : ٨، ٩) . ويضيف على ذلك قوله : « **المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هى تكميل الناموس** » (رو ١٣ : ١٠) . ويكتب إلى أهل كورنثوس ... « **اتبعوا المحبة ... لتصر كل أموركم فى محبة** » (١ كو ١٤ : ١ ؛ ١٦ : ١٤) . ويقول لأهل غلاطية : « **بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً. لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل تحب قريبك كنفسك** » (غل ٥ : ١٣، ١٤) ... **ويربط بين محبتنا بعضاً لبعض ومحبة المسيح لنا فيقول :** « **اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً** وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ١، ٢) ...

ويتكلم هذا الرسول عن الفضائل المسيحية ويتوّجها بالمحبة حينما يقول لأهل كولوسى : « فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى ، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً . **وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال** » (كو ٣ : ١٢ - ١٤) . **ويجعلها الغاية من جميع وصايا الله** « وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » (١ تى ١ : ٥) .

ويعقوب الرسول يدعو المحبة الأخوية الناموس الملوكى ... « فإن كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك فحسناً تفعلون » (يع ٢ : ٨) .

أما يوحنا الرسول ـ التلميذ الذى كان الرب يسوع يحبه ـ فيسهب فى الكلام عن المحبة الأخوية :

« **لأن هذا هو الخبر الذى سمعتموه من البدء أن يحب بعضنا بعضاً ... نحن**

نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة. مَن لا يحب أخاه يَبْقَ فى الموت. كل مَن يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه. بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا. فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة. وأما مَن كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه. يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق» (١ يو ٣: ١١-١٨)... كما يقول: «أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً. لأن المحبة هى من الله. وكل مَن يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله. ومَن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة» (١ يو ٤: ٧، ٨).

ومما يذكر عن يوحنا الرسول إنه ظل حياته كلها رسول المحبة فى كرازته ووعظه ورسائله وإنجيله... روى عنه انه لما شاخ ولم يعد قادراً على الوعظ، كان يُحمل إلى الكنيسة ويقف بين المؤمنين مردداً العبارة: «يا أولادى حبوا بعضكم بعضاً». فلما سأم السامعون تكرار نفس هذه العبارة، تساءلوا لماذا يعيد هذه الكلمات ويكررها. فكان جوابه لأنها هى وصية الرب، وهى وحدها كافية لخلاصنا لو اتممناها...

ويقول بطرس الرسول: «طهّروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء. فاحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة... والنهاية كونوا جميعاً متحدى الرأى بحسّ واحد ذوى محبة أخوية مشفقين لطفاء، غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة بل بالعكس مباركين عالمين أنكم لهذا دعيتم لكى ترثوا بركة... ولكن قبل كل شىء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا» (١ بط ١: ٢٢؛ ٣: ٨، ٩؛ ٤: ٨).

وبولس الرسول فيلسوف المسيحية يقارن بين العلم والمحبة فيقول: «العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى» (١ كو ٨: ١)... ويجعلها أول ثمار الروح القدس فى النفس المؤمنة «أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة. لطف صلاح. إيمان وداعة تعفف» (غل ٥: ٢٢). وفى مجال التعامل بين الأفراد ينصح أهل رومية قائلاً: «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا.

فليرضى كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان . لأن المسيح أيضاً لم يُرض نفسه ، بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت علىّ» (رو ١٥ : ١ ، ٢ ، ٣) .

المحبة الأخوية فى حياة الكنيسة :

لا قيمة للوصية الإلهية دون تنفيذها عملياً . فالغرض من الوصية هو أنه بتنفيذها تصبح جزءاً معاشاً فى حياة الإنسان ... و يعبرّ الرسول بولس عن ذلك بقوله : «إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطنّ أو صنجاً يرنّ» (١ كو ١٣ : ١) ، أى أن مثل هذا الإنسان يصبح كالطبل الأجوف ... لا قيمة للمعرفة النظرية ، فإنها لا تقدم الإنسان فى حياته الروحية أو العملية قيد شعرة !! وحسناً قال رسول المحبة يوحنا : «يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق» (١ يو ٣ : ١٨) ... لا غرابة إذن إن رأينا الكنيسة فى حياة رسل المسيح ـ الذين تسلّموا منه تعليم المحبة الأخوية ـ أن ينفذوه عملياً فى حياة الكنيسة الأولى ...

كان المجتمع المسيحى الأول ، معظم أعضائه من العناصر الفقيرة الكادحة . وكانت الكنيسة ترعى أعضاءها الفقراء من الأرامل وأمثالهن ، بتوزيع وجبة من الطعام عليهم يومياً . لذا فقد سميت هذه الخدمة ، خدمة الموائد (أع ٦ : ٢) ... بعد ذلك ـ حينما ازداد عدد المنضمين إلى الكنيسة الأولى ـ أقامت الكنيسة سبعة شمامسة كهيئة مسئولة عن خدمة الفقراء .

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل برهاناً عملياً على إيمان أعضاء الكنيسة الأولى بالمحبة الأخوية . فيذكر لنا مَن باعوا حقولاً وبيوتاً ، وقدموا اثمانها للكنيسة لتوزيعها على المحتاجين ... ومنهم برنابا الرسول وحنانيا وسفيرة (أع ٤ : ٣٤ ؛ ٥ : ٢) ... كما يذكر اسم طابيثا التى اهتمت بالفقراء وعلى الأخص الأرامل (أع ٩ : ٣٦ ـ ٣٩) ... ولما اتسعت دائرة المؤمنين بدأ يظهر تنظيم مالى فى الكنيسة الأولى عناية بالفقراء وتنفيذاً لوصية المحبة الأخوية . ويعبر عن ذلك سفر أعمال الرسل بقوله : «لم يكن فيهم أحد محتاجاً» (أع ٤ : ٣٤) ... كان المؤمنون يعيشون فى حياة وصية المحبة الأخوية ، فوجدت الحياة المشتركة أو الحياة الاشتراكية كما

تسمى : « **لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له ، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً**» (أع ٤ : ٣٢) ... **ونلاحظ على الاشتراكية المسيحية الأولى، انها مفهوم روحى بالدرجة الأولى نتيجة عمل النعمة فى القلب... لقد أصبح جميع المسيحيين أعضاء فى جسد واحد رأسه المسيح، وكان لهم قلب واحد ونفس واحدة** (أع ٤ : ٣٢؛ رو ١٢ : ٥؛ كو ١ : ١٨) ... فلا عجب إن كان لهم الاحساس الواحد بآلام البعض واحتياجاتهم ... ولم تطلب الكنيسة من أعضائها أن يقدموا ، بل قدموا هم من تلقاء أنفسهم ، بل أكثر من هذا ، كانوا يلتمسون من الكنيسة أن تقبل عطاياهم. هذا ما كشفه الرسول بولس بالنسبة للمكدونيين... «لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم. ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة، وشركة الخدمة التى للقديسين». أما السر فى ذلك، فيكشفه الرسول فى الآية التالية بعد الكلام السابق فيقول انه سبق وأعطوا أنفسهم أولاً للرب (٢ كو ٨ : ١ - ٥) ...

وبالاضافة إلى عناية الكنيسة بالمحتاجين من أعضائها ، فقد ظهرت المحبة الأخوية فى ميادين أخرى كإعالة المعلمين والخدام وقد أوصى بها الآباء الرسل فى تعاليمهم وقوانينهم، ورعاية المرضى والعجزة والمقعدين وغير القادرين وذلك من خلال صلوات الكنيسة وزيارات الخدام. وهذا واضح مما جاء فى رسالة كليمنضس إلى أهل كورنثوس وكتاب الراعى لهرماس. كما ظهرت فى العناية بالمحبوسين. كان هناك محبوسون لأجل إيمانهم، وآخرون محبوسون وفاء لديون عليهم. وكان يجب افتقاد النوعين بالصدقة والمحبة. وكان هذا يتم عن طريق شمامسة الكنيسة والمؤمنين العلمانيين ... ولعل هذا واضح فيما قاله الرسول بولس : «اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد» (عب ١٣ : ٣) ... وبداءة فقد كان هذا تعليم السيد المسيح «كنت محبوساً فأتيتم إلىَّ» ...

وقد كانت المحبة الأخوية تظهر كذلك فى العناية بمن تحل بهم الكوارث. وقد مُدحت الكنيسة منذ وقت مبكر لأنها وقفت بنبل إزاء الاضطهاد والكوارث التى حلت بها (انظر عب ١٠ : ٣٢- ٣٤) ... **كما ظهرت فى ضيافة الغرباء. وقد اظهرت الكنيسة الأولى اهتمامها بهم** (رو ١٢ : ١٣؛ ١٦ : ١ ، ٢؛ عب ٦ : ١٠؛

١٣ : ٢ ؛ ١بط ٤ : ٩ ؛ ٣يو ٥ - ٨)... فى رسائل ووثائق الكنيسة الأولى نجد صلوات وطلبات مقدمة من الكنيسة لأجل الغرباء والمعتنين بهم... ولعل هذا واضحاً فى القداس الباسيلى « بارك إكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك. **من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف** »...

كما ظهرت المحبة الأخوية منذ الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة فى العناية بالكنائس الفقيرة أو التى يحيق بها خطر. وهذا واضح فى سفر أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول. فقد كانت تجمع تقدمات لأجل فقراء أورشليم. وقد اهتم بولس نفسه بهذا الأمر، وجمع من كنائس انطاكية وغلاطية ومقدونية واخائية لهذا الغرض (أع ١١ : ٢٧ - ٣٠ ؛ ٢كو ٨ : ١ - ٥ ؛ رو ١٥ : ٢٦ ؛ غل ٢ : ١٠).

وثمة نقطة أخيرة فى موضوع المحبة الأخوية فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة فقد دعا المسيحيون بعضهم بعضاً اخوة واخوات تأكيداً لهذه الحقيقة. كان لهم قلب واحد ونفس واحدة (أف ٤ : ١ : ٦)، ويسلمون على بعضهم بعضاً بقبلة مقدسة (رو ١٦ : ١٦ ؛ ١كو ١٦ : ٢٠ ؛ ٢كو ١٣ : ١٢ ؛ ١تس ٥ : ٢٦ ؛ ١بط ٥ : ١٤)... لقد كانت محبة المسيحيين بعضهم لبعض تثير دهشة اليهود فيقولون : « انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً » !!... وحينما كان أى مسيحى غريب يصل إلى أية مدينة كان يُقبل فيها كأخ ويقدمون له المسكن. وكانت الأرامل التقيات يغسلن قدميه. وكان يعامل بكل ما يدل على المحبة الأخوية...

والموضوع عميق - لكن المجال لا يتسع للتوسع فيه ... يكفى أن نقول ان روح الأخوة حملت معها معنى المساواة، فلا تفرقه عنصرية بسبب لون أو جنس أو وطن. الجميع يتجهون إلى إله واحد، ويجلسون جنباً إلى جنب على موائد الأغابى، ويقفون للصلاة فى الكنيسة متجاورين سواء كانوا أحراراً أم عبيداً...
« ليس يهودى ولا يونانى. ليس عبد ولا حُرّ. ليس ذكر وانثى، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٨).

وإذا انتقلنا من الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة إلى ما تلاها، نجد نفس الروح الأخوية تسرى فى حياة آباء الكنيسة وتعاليمهم، بل نراها واضحة كل الوضوح فى **المؤمنين العلمانيين، وذلك من القصتين التاليتين...**

يذكر كتاب بستان الرهبان عن **القديس مقاريوس الكبير أب رهبان الاسقيط (وادى النطرون)**، أنه فى إحدى الفترات حُورب بأفكار العظمة انه صار أفضل أهل زمانه. واراد الله محب البشر أن يُلقنه درساً. فأعلمه أنه لم يصل بعد إلى فضيلة امرأة فى الاسكندرية تسكن مع نساء بنيها. كما أعلمه أنه يستطيع أن يشاهد ذلك عياناً... ولما سمع القديس ذلك اتقد بنار الغيرة المقدسة، إذ كيف وهو الرجل الناسك الذى هجر العالم وعاش فى البرية، لم يصل بعد إلى فضيلة امرأة متزوجة ومقيمة فى العالم!!... قام لوقته قاصداً الإسكندرية فوصلها صباح يوم الأحد. قصد الكنيسة، وفى نهاية الصلاة تقدم كواحد من الشعب لنوال البركة من الأب البطريرك. فشاهد امرأة تخلفت عن بقية النساء، وكانت تصلى بحرقة ودموع. فظن القديس أنها فى شدة، فأخذته الشفقة وأسرع نحوها لعله يستطيع مساعدتها. وفيما هو يسألها عن سبب حزنها، أعلن له الروح أن هذه هى المرأة التى قصدها الله... ولما سألها عن طريقة معيشتها ذكرت له ان لها ابنين متزوجين من غريبتين. وتعاهد الجميع أن يعيشوا بمحبة. وكانت هى لا تفضل واحدة من زوجتى ابنيها على الأخرى. وتعاهدن ألاَّ تخرج من فم احداهن كلمة تثير خاطر الآخرى. وان لهن زماناً طويلاً عائشات بهذه الطريقة. وأن لولديها صندوقاً واحداً لرزقهما، لا يعلمان قيمة الموجود فيه، موضوع تحت عناية وتصرف هذه المرأة... أما سبب صلاتها بدموع فلظنها أن الله غير راض عن بنيها لأن لهما فترة طويلة بلا تجربة!!... فانتفع القديس من كلامها وعلم قيمة المحبة الأخوية لدى الله...

والقصة الثانية هى قصة إيمان الأنبا باخوميوس أب الشركة الرهبانية، ذلك العملاق الذى بنى أول دير فى العالم بصورة الأديرة الحالية، والذى تتلمذ له آلاف من الرهبان، ووضع قوانين للرهبنة سار على منوالها رهبان العالم الغربى... ولد الأنبا باخوميوس من أبوين وثنيين ونشأ وثنياً. وانخرط فى سلك الجندية وهو فى سن العشرين تنفيذاً لأوامر الامبراطور قسطنطين الكبير فى الحرب التى أثارها عليه خصمه مكسيميانوس سنة ٣١٠م. لكن هذه الحملة لم تستمر طويلاً لاندحار قوات مكسيميانوس وقتله. وعاد باخوميوس إلى الحياة المدنية... وما يهمنا من قصة الحملة العسكرية انه تعرف خلالها على المسيحيين ودينهم. كانت الكتيبة التى كان هو

ضمن أفرادها قد عسكرت عند مدينة اسنا . ورغم ان الجنود فى ذلك الوقت كانوا مكروهين من سكان المدن والبلاد من أجل تصرفاتهم واعتداءاتهم على ما يملكه سكان تلك البلاد ، فقد خرج سكان مدينة اسنا إلى الجند يحملون إليهم الطعام و يقضون حوائجهم فى دعة ودماثة ، استرعت انتباه باخوميوس . فتساءل ما الذى حدا بهؤلاء الناس إلى إبداء العطف عليهم . فقيل له انهم مسيحيون ينفذون وصايا دينهم . فما كاد يُسَرح من الجندية حتى عكف على دراسة هذا الدين الجديد . وانتهى به الأمر إلى اعتناقه المسيحية سنة ٣١٤ . و بانضمام باخوميوس للمسيحية كسبت واحداً من أكبر زعمائها . ولم يقف الأمر عند حدّ إيمانه بالمسيح ، بل لقد قرر تكريس نفسه وترك العالم . وكانت هذه بداية الطريق الذى صار هو رائداً من أكبر رواده ...

مفهوم جديد يقدمه المسيح لمحبة الإنسان لأخيه الإنسان :

قال السيد المسيح لتلاميذه فى تعليمه عن المحبة : « **وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً** » (يو ١٣ : ٣٤) ... **ما معنى كلام المسيح هنا عن المحبة كوصية جديدة ؟ وهل المحبة وصية جديدة ، وقد سبق أن ذكرنا وجود هذه الوصية فى العهد القديم ... فماذا يقصد المسيح ؟ يجيب عن ذلك القديس أغسطينوس فيقول :**

[يعلن الرب يسوع انه يعطى تلاميذه وصية جديدة ان يحب الواحد الآخر... لكن أَلَمْ تُعْطَ هذه الوصية فى ناموس الله القديم حيث هو مكتوب « تحب قريبك كنفسك » (لا ١٩ : ١٨) ... فلماذا إذن يدعوها الرب وصية جديدة إذا كانت هكذا قديمة ؟! لأنه نقلنا من القديم والبسنا الإنسان الجديد . فليس حقاً أن كل نوع من الحب يجدّد من يستمع إليه أو يسلّم لطاعته . بل ذاك الحب الذى أشار إليه الرب ، لكى يميّزه من الحب الجسدانى . لذا فقد أضاف قائلاً : « كما أحببتكم أنا » ... فالأزواج والزوجات يحبون بعضهم بعضاً ، والوالدون أطفالهم ، وكل العلاقات الإنسانية الأخرى التى تربط الناس ببعضهم . فما بالكم بحب الزناة والزانيات ؟! ... **من أجل هذا أعطانا المسيح وصية جديدة أن يحب الواحد الآخر كما أحبنا هو. هذا هو الحب الذى يجدّدنا ، جاعلاً منا أشخاصاً جدداً ، ورثة العهد الجديد ، مرنّمى الترنيمة**

الجديدة ... هذا هو الحب الذى يُجَدّد الآن الشعوب . ومن بين الجنس البشرى الذى ينتشر فى العالم كله، يعمل ويجمع شعباً جديداً، هو جسد العريس الحديث الزيجة الذى للابن الوحيد ابن الله ... من أجل هذا، فإن أعضاء هذا الجسد لهم اهتمام مشترك كل بالآخر. وإذا تألم عضو تألمت معه سائر الأعضاء، وإذا كُرّم عضو، فإن كل الأعضاء تفرح معه (١ كو ١٢ : ٢٥، ٢٦) ... ليس كما يحب الفاسدون بعضهم بعضاً، وليس كما يحب البشر بعضهم بعضاً بطريقة بشرية. لكنهم يحبون بعضهم بعضاً كأناس الله، وجميعهم بنو العلىّ، واخوة لابنه الوحيد ... والإنسان الذى يحب قريبه بطريقة مقدسة روحية إنما يحب الله فيه. هذا هو الحب المميّز عن الحب العالمى الذى ميّزه الرب حينما أردف «كما أحببتكم أنا». لأنه ماذا أحب فينا غير الله ؟!] .

وخلاصة هذا الكلام أن الحب الأخوى فى المسيحية ليس على غرار حب أهل العالم الجسدى. فالحب المسيحى بالدرجة الأولى فى كل صوره وأشكاله هو حب انسكب فى قلوب المؤمنين المسيحيين بالروح القدس المنسكب من فوق (رو ٥ : ٥) ... إنه من نوعية الحب الذى أحبنا به المسيح ... ذلك الحب الذى لا يبغى شيئاً إلاَّ الحب ذاته، ولا يقف عند حد. بل كما أحبنا المسيح إلى المنتهى هكذا الحب المسيحى. انه ليس حب نَفْعىّ. بل هو حب خالص فريد متميّز «تحب قريبك كنفسك» !!

تعليم المسيح عمَن هو القريب :

قال الرب قديماً لشعبه بلسان موسى النبى : «لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك. **بل تحب قريبك كنفسك**» (لا ١٩ : ١٨) ... **وهكذا استقر فى أذهان بنى إسرائيل أن القرابة تقتصر على صلات الارتباط بحسب الجسد، سواء فى الأسرة الواحدة أو فى جماعة بنى إسرائيل كشعب انحدر عن أب واحد هو إبراهيم** ... كانت محبة القريب هى تلخيص للوصايا التى جاءت فى اللوح الثانى للوصايا العشر... وهذا واضح من كلام الرسول بولس : «لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن، لا تقتل، لا

تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته. إن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هى تكميل الناموس» (رو ١٣: ٨- ١٠).

ولكن السيد المسيح قدم مفهوماً جديداً للقريب ... فلم يَعُد القريب هو أخ الإنسان فى الأسرة الواحدة أو الشعب الواحد، لكنه يتعداه إلى المفهوم الإنسانى ... أى أن قريب الإنسان، هو أى إنسان، باعتبار أن البشر جميعاً انحدروا من أب واحد هو آدم ... يقول بولس الرسول إن الله «صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض» (أع ١٧: ٢٦) ...

قدم السيد المسيح هذا المفهوم الجديد عن القريب فى مثل السامرىّ الصالح ...

تقدم ناموسىّ إلى السيد المسيح، وسأله سؤالاً ليس بقصد الاستفادة بل بقصد تجربته. والسؤال كان: «يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية». أجابه: «ما هو مكتوب فى الناموس. كيف تقرأ. فأجاب وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك. وقريبك مثل نفسك. فقال له بالصواب أجبت. أفعل هذا فتحيا». لكنه لم يكتف بهذه الإجابة بل أراد أن يبرّر نفسه، فعاد وسأل الرب يسوع: «ومَن هو قريبى». أجاب يسوع وقدم مثلاً **هو ما يعرف باسم السامرىّ الصالح**، قال: «إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرّوه وجرّحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت. فعرض أن كاهناً نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله. وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله. ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن. فتقدم وضمد جراحاته، وصب عليه زيتاً وخمراً وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق واعتنى به. وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعتنِ به ومهما انفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك. **فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص. فقال الذى صنع معه الرحمة. فقال له يسوع اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا»** (لو ١٠: ٢٥- ٣٧).

مثل السامرى الصالح ملىء بالتأملات العميقة النافعة، ولكن ما يهمنا هنا هو

تعريف السيد المسيح للقريب... كان المفروض أن يحس اليهود أنهم جميعاً أخوة باعتبارهم من نسل إبراهيم، وكلهم يؤلفون شعب الله فى ذلك الوقت... فماذا حدث بالنسبة لذلك الإنسان اليهودى الذى كان مسافراً من أورشليم إلى أريحا ووقع بين اللصوص واعتدوا عليه اعتداء مُبرحاً. **مرّ به كاهن يهودى** فنظر إليه وعاين حالته التى تدعو إلى الشفقة والمساعدة، لكنه اكتفى بالنظرة ومضى فى حال سبيله. **ومرّ به أيضاً لاوى وهو من طغمة خدام الدين.** وما فعله الكاهن فعله اللاوى. وبعدهما مرّ به سامرى... كان هناك عداء تقليدى بين اليهود والسامريين، حتى أن اقسى شتيمة كان اليهود يوجهونها إلى أحد كانت هى القول انه سامرى. وهذه الشتيمة وجهها اليهود للسيد المسيح فى إحدى المرات، حينما قالوا له أليس حسناً أننا قلنا انك سامرى وبك شيطان (يو ٨: ٤٨)... ومع كل ذلك فإن هذا السامرى ما أن رأى اليهودى المجروح والعريان حتى تحنن عليه وضمّد جراحاته، وأركبه على دابته وحمله إلى فندق ليستريح. وأعطى أجراً لصاحب الفندق، وطلب إليه أن يعتنى به، وسيدفع إليه كل ما ينفقه عليه مهما بلغ... كان المثل بليغاً وواضحاً. وحينئذ سأل السيد المسيح ذلك الناموسى: «أى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص» فأجاب بدون تردد: «الذى صنع معه الرحمة»...

المسيحية تعلّم وتنادى بالمحبة. وإن كان أساس المحبة فى الفرد والأسرة، لكنها لا تقف عند هذه الحدود. انها تشمل كل البشر وتضمهم بين ذراعى حنوّها... فبينما أقامت الروح القومية قديماً حواجز ضخمة بين الشعوب المختلفة (يهود وأمم، رومان ويونان وبرابرة... إلخ) حتى كانوا كالغرباء بالنسبة لبعضهم البعض، إذ بالمسيحية تزيل هذه الحواجز جميعاً، وتعلّم أن الله «صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض» (أع ١٧: ٢٦)...

وبتمجيد فكرة الإنسانية ووضعها فوق القومية، غيّرت المسيحية بالتدريج وجه العالم القديم، وطعّمت فكرة الوطنية الجامدة بمشاعر أنبل وأفكار أرحب... لقد تغلغلت المسيحية فى حياة الناس المدنية والاجتماعية بفضيلتها وادبياتها، وقادتهم فى الطريق نحو التمدين الحقيقى... إن روح المسيحية روح مسكونية جامعة، تهدم فواصل البغضة والكراهية بين مختلف الأجناس والأمم

محبة الأعداء فى تعليم المسيح :

استحدثت المسيحية تعليماً جديداً لم يرد فى تعليم أى من الفلاسفة أو حكماء العالم... قال السيد المسيح فى عظته على الجبل التى تتضمن تعاليم المسيحية الأدبية... «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: احبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، احسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات. فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلّمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون. أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٣ - ٤٨).

لكن ما معنى قول المسيح: «سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك»؟... هل هذا هو ما علّمت به شريعة العهد القديم؟

كان تعليم العهد القديم لأبنائه اليهود ألاّ يعادوا من يعاديهم معاداة شخصية، لأن الناموس أمرهم أن يحسنوا معاملة مثل هذا... يقول الرب: «إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إليه. إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حلّه فلا بد أن تَحُلّ معه» (خر ٢٣: ٤، ٥ - أنظر تث ٢٣: ٧)... ويقول الحكيم: «لا تفرح بسقوط عدوك. ولا يبتهج قلبك إذا عثر» (أم ٢٤: ١٧)... كما يقول: «إن جاع عدوك فاطعمه خبزاً، وان عطش فاسْقه ماءً. فإنك تجمع جمراً على رأسه، والرب يجازيك» (أم ٢٥: ٢١، ٢٢). نفس هذا المعنى أورده القديس بولس الرسول فى (رو ١٢: ٢٠)...

لكن كان عدو اليهود الحقيقى هو مَن يعادى الله ويتحدّاه، ومن ثم يعاديه الله، ويأمر شعبه كحكومته على الأرض أن يقضوا عليه بلا شفقة (تث ٢٣: ٣ - ٦؛ يش ٦: ٢، ٢٠، ٢١)... لكن معلمى اليهود بعد انتهاء عهد الحكومات الإلهية، حولوا هذا الأمر إلى قانون للانتقامات الشخصية... وهذا ما أراده المسيح بتعليمه، وما كان ينقضه.

ولا شك أن محبة الأعداء هى درجة من درجات السمو والكمال المسيحى الذى يجب أن نجاهد للوصول إليه ... وقد دعانا السيد المسيح فى نهاية تعليمه عن محبة الأعداء أن نكون أبناء حقيقيين لله، متشبهين بأبينا السماوى الذى يشرق على الأبرار والأشرار. وختم تعليمه بقوله: «فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل».

والحق ان الإنسان يحتاج إلى عمل نعمة الله فيه لإتمام هذه الوصية. هى ليست وصية مستحيلة، بل وصية ممكنة عاشها القديسون وأظهروها فى حياتهم ... ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك ...

فاستفانوس أول شهداء المسيحية ـ فيما كان أعداؤه يرجمونه حتى الموت ـ كان يدعو و يقول: «**يارب لا تُقم لهم هذه الخطية**» (أع ٧ : ٦٠) ... **وما أكثر ما أظهر الشهداء والمعترفون من حب حقيقى نحو معذبيهم ومضطهديهم، ورفعوا صلوات من أجلهم جذبت بعضهم فيما بعد للإيمان.** وفى نفس الوقت كانت محبة هؤلاء الشهداء والمعترفين لأعدائهم برهاناً صادقاً على سمو الديانة المسيحية وصدق تعاليمها، وانها ليست تعاليم نظرية ... هذا الأمر دفع كثيرين من غير المؤمنين لإعلان إيمانهم وما يتبعه من تحمل الآلام كثمن للإيمان الجديد ...

لكننا لا ننكر أن تنفيذ وصية محبة الأعداء ليست سهلة، لكن تنفيذها يحتاج إلى عدة أمور:

أ ـ **معونة من الله معطى هذه الوصية**، تنفيذاً لقوله: «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» والمعونة الإلهية توافينا بالصلوات والتضرع ... ولا شك أن الله فى هذه الحالة سيعيننا لأنه يعلم ضعف طبيعتنا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعلم أننا نجاهد ضد طبيعتنا الجسدية التى تميل إلى الانتقام، وإلى الاحساس بالذات ...

ب ـ الامتلاء من المحبة نحو الله فننفذ وصيته «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى»، ثم الامتلاء من المحبة الأخوية نحو من يُضمر أو يظهر لنا العداوة، **والنظر إليه على انه إنسان مسكين خاطىء استحوذ الشيطان على أفكاره وسَلَبه محبته لله ولاخوته ...**

جـ - الاتضاع الحقيقى ... ويعيننا فى ذلك محاولة التشبه بسيدنا المسيح وتذكّر قوله: «ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد أفضل من سيده، يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده» (مت ١٠ : ٢٤، ٢٥)... وماذا فعل أعداء المسيح به؟! لقد افتروا عليه وشتموه واهانوه وهو الإله، وظلت عداوتهم تزداد حتى بلغت الذروة حينما صلبوا رب المجد... وإلى جانب ذلك نتذكر ماذا كان موقف المسيح منهم فى أحلك الأوقات، وهو معلّق على الصليب اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون (لو ٢٣ : ٢٤)... ربما قيل إن تسليم المسيح نفسه لأعدائه كان لوناً من الضعف، لكن ماذا يمكن أن يقال فى طلب المسيح المغفرة لصالبيه بعد أن صُلب وانتهى الأمر.

د - التفكّر فى أن مقابلة عداوة إنسان بعداوة مثلها، أى مقابلة الشر بشر مثله، من شأنه أن يزيد نار العداوة اشتعالاً، الأمر الذى يكون له أسوأ العواقب على الإنسان روحياً وصحياً. ومن هذا نفهم حكمة الرسول فى قوله: «لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢١) **. ومن الناحية المقابلة نقول إن مقابلة عداوة إنسان بمحبة أو بإحسان من شأنه أن يزيل هذه العداوة ويستأصلها** ... ذكر عن **المعلم جرجس الجوهرى** أن إنساناً تعرض له وأهانه، فذهب يشكو إلى أخيه **المعلم إبراهيم الجوهرى** - وكان أكبر موظفى الدولة فى عهد المماليك إبراهم ومراد بك فى أواخر القرن الثامن عشر. فقال المعلم إبراهيم لأخيه بعد أن استمع إليه، سأقطع لسان هذا الإنسان الذى اهانك، ثم استدعى خادمه وأمره أن يأخذ قمحاً وسمناً وجبناً وأشياء أخرى ويوصلها إلى منزل ذلك الشخص المعتدى... وفى اليوم التالى مرّ المعلم جرجس كعادته، وما أكثر دهشته حينما وجد نفس الإنسان الذى أهانه بالأمس يرحب به ويبجله. فتعجب جداً وذهب يروى لأخيه المعلم إبراهيم عما فعله مع ذلك الرجل، فروى له ما فعله وقال له لقد قطعت منه لسان الشر!!

سمات المحبة المسيحية فى محبة الإنسان لأخيه الإنسان:

كانت كنيسة كورنثوس ببلاد اليونان فى زمن الرسول بولس غنية بمواهبها

الروحية. ولكن سرعان ما بدأ بعض أعضاء هذه الكنيسة الناشئة يتفاخرون بهذه المواهب، أو يسعون من أجل اقتنائها كشيء هام... كان هذا التفاخر ومحبة أقتناء المواهب لذاتها من جانب هؤلاء الكورنثيين أمراً خاطئاً اهتم الرسول بولس أن يبيّنه

فضمّن رسالته الأولى التى كتبها إلى هذه الكنيسة ثلاثة اصحاحات تكلم فيها عن المواهب الروحية أو مواهب النعمة كما تُسمى. وهذه الاصحاحات هى الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من هذه الرسالة. وفى نهاية الاصحاح الثانى عشر كتب إليهم الرسول يقول: «لكن جدّوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل» (١ كو ١٢ : ٣١)... أما هذا الطريق الأفضل من المواهب فهو اقتناء المحبة، الذى تكلم عنه الرسول بالتفصيل فى الاصحاح التالى الثالث عشر من رسالته هذه.

فى هذا الأصحاح بعد أن عرض القديس بولس لأهمية المحبة كفضيلة المسيحية الأولى، وأبان أنها أهم من موهبة التكلم بألسنة، ومن النبوة التى تكشف الأسرار وتعلّم الإنسان ما لا يعلمه، ومن الإيمان الذى ينقل الجبال، ومن الصدقة والنسك الشديد، بدأ يتكلم عن سمات المحبة المسيحية... والمحبة كما أوضحها بولس فى هذا الاصحاح لها وجهان، أحدهما يهدم كل ركن من أركان الإثم والخطية وهو ما نسميه بالوجه السلبى، والآخر يبنى كل فضيلة فى الإنسان المسيحى على اعتبار أن المحبة هى فضيلة كل فضيلة وهو ما نسميه بالوجه الإيجابى... ونعرض فيما يلى لكل من الوجهين...

أولاً - الوجه السلبى:

ونعنى به أثر المحبة فى ملاشاة واختفاء كل ملامح الخطية فى حياة الإنسان المؤمن...

+ **المحبة لا تحسد :**

الحسد احساس بالنقص ، والمحبة احساس بالملء . الحسد عين ناظرة إلى أسفل أما المحبة فعين ناظرة إلى فوق ، إلى السماء ، وهذا سر فيضها وشبعها ... يكفى لمعرفة كم أن الحسد شر ، أن اليهود أسلموا المسيح حسداً (مت ٢٧ : ١٨ ؛ مر ١٥ : ١٠) . وان اخوة يوسف الصديق باعوه كعبد للإسماعيليين حسداً ...

استطاع الراهب **بفنوتيوس أو ببنوده تلميذ القديس مقاريوس الكبير أب رهبان الاسقيط ،** أن يصعد مسرعاً فى السلّم الروحانى وهو بعد شاب الأمر الذى أهلّه فيما بعد إلى أن يخلف القديس مقاريوس فى أن يكون أباً لرهبان الاسقيط ... دخل شيطان الحسد قلب أحد الرهبان الشيوخ ، ودفعه الحسد الذى تملّك عليه أن يسىء إليه ... ففى أحد أيام الآحاد بينما ترك جميع الرهبان قلاليهم ليذهبوا إلى الكنيسة ، تسلل ذلك الشيخ الحاسد إلى قلاية بفنوتيوس وخبأ إنجيله وهو بين سعف النخيل الذى بالقلاية ، وأسرع بعدها إلى الكنيسة . وفى الكنيسة أعلن أمام الجميع أن انجيله قد سرق وهذا ما لا يصح فى أماكن القديسين ... حزن الأنبا ايسيذوروس قس القلالى على حدوث مثل هذا الأمر المحزن ، وأمر بتفتيش جميع القلالى ... جلس الشيخ الحاسد شامتاً عالماً بما سيحدث ... ويحدث ما لا يتوقعه الاخوة يوجد الإنجيل فى قلاية بفنوتيوس ... وكان تصرفه الوحيد هو سكب الدموع وضرب المطانيات لكل الاخوة يسألهم الصلاة عنه ... تقبل الاتهام وهو برىء بالتسليم وضاعف صلاته وصومه وانسحاقه .

لم تكن هذه هى خاتمة القصة ... فقد صرع الراهب الحاسد روح شرير وبقى زماناً متألماً . وحمله الاخوة للأنبا ايسيذوروس ـ وكان قد اعطى موهبة اخراج الشياطين ـ لكنه عجز عن اخراج هذا الشيطان . ولما سأل الأنبا ايسيذوروس ذلك الراهب الحاسد اعترف بخطيئته . وأراد الله أن يكرم بفنوتيوس ، فلم يخرج الروح النجس إلاّ بصلاته ...

+ المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ :

الانتفاخ هو الكبرياء ، والتفاخر هو مظهر الانتفاخ وثمره ... المفتخر بنفسه وبمقدرته ومواهبه أو بشيء له هو إنسان فاته أن الله مصدر خيره وكل ما هو حسن فيه ... أما المحبة فلأن مصدرها الله فهي تفتخر بالله المعطى كما يقول الرسول : «مَن افتخر فليفتخر بالرب» (٢ كو ١٠ : ١٧) . أما المنتفخ فهو إنسان ذاته كبيرة فى نظره ، وهو بار فى عينى نفسه ، وأحب مجد ذاته أكثر من مجد الله... والحقيقة أنه إنسان لم يعرف حقيقة ذاته ، وانه حفنة من تراب الأرض . وان كل ما فيه من حسن هو من الله لأن «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار» (يع ١ : ١٧) .

ذكر عن **القديس العظيم الأنبا أرسانيوس المعروف باسم معلم أولاد الملوك** لأنه كان يعلم اركاديوس وهونوريوس ابنى الملك ثيئودوسيوس الصغير، ذكر عنه أنه شوهد مرة يجلس إلى شيخ راهب مصرى بسيط ، يسمع إليه و يستفيد من نصائحه ... رآه راهب وهو جالس يستمع إلى هذا الراهب البسيط فأبدى دهشته أن معلم أولاد الملوك يحاول أن يستفيد من مثل هذا الراهب . فقال الأنبا أرسانيوس لذلك الراهب انه اتقن العلوم اليونانية والرومانية ، أما الفا قيطا فى الروحيات التى اتقنها الراهب المصرى فهو يجهلها !!

+ المحبة لا تقبّح :

تقبّح أى تستهجن ، وتدين ، ويخرج ذلك الاستهجان إلى حيّز التقبيح ... **أما المحبة فلها العين البسيطة التى لا ترى إلاّ ما هو حسن . انها ترى الخالق فى خلقته ، ولأنها طاهرة فترى كل ما يحيط بها طاهراً** ... ذكر عن راهب قديس انه إذا دخل قلاية راهب ويجدها نظيفة ومرتّبه يقول لا بد وأن أخى الراهب حياته مرتبة

كقلايته . وإذا دخل قلاية راهب آخر ووجدها غير مرتبة يقول فى نفسه لا بد وانه مشغول بالعبادة عن أن يصرف وقتاً فى ترتيب قلايته .

+ المحبة لا تطلب ما لنفسها :

مَن يطلب ما لنفسه أنانى يعيش فى دنيا ذاته ... وأما المحبة فهى العطاء والبذل . انها لا تطلب ما لنفسها لأنها تعيش من أجل الآخرين ...

حدث فى زمان القديس مقاريوس الكبير أن الراهب المكلّف بالزراعة شاهد عنقود عنب يظهر فى غير أوانه . حمله إلى أبيه القديس مقاريوس ... لكن مقاريوس فكر فى راهب مُسِنّ ومريض فحمله إليه لأنه أحسّ أنه بحاجة إليه . أخذه الشيخ لكنه فكر فى راهب بسيط حديث الرهبنة فحمله إليه قائلاً فى نفسه انه لم يألف حياة التقشف . أخذه الراهب الصغير، لكنه لم يقربه وفكر فى آخر أحسّ أنه أكثر احتياجاً . وظل عنقود العنب ينتقل من شخص إلى آخر حتى وصل إلى القديس مقاريوس ثانية . شكر القديس الله لأنه أوجد محبة فى قلوب الاخوة ، ودق الناقوس واجتمع الاخوة يسمعون إلى رحلة عنقود العنب التى برهن فيها جميع الاخوة أن المحبة لا تطلب ما لنفسها ...

يذكر عن القديس الأنبا سرابيون انه أثناء سيره فى الطريق أبصر فقيراً عارياً من الثياب و يتلوى من البرد الشديد . فخلع القديس ثوبه وأعطاه لذلك المسكين . قابله أحد الأغنياء وسأله بدهشة : [مَن الذى عرّاك] . أجابه : [الإنجيل يا ولدى] . فما كان من ذلك الغنى إلاّ أن خلع ثوبه وأعطاه للقديس . ثم يعود سرابيون و يلتقى بآخر عليه دين ، والدائن ممسك به يعذبه ، يتألم القديس ، ماذا يمكن أن يفدى به هذا الرجل . لم يكن معه سوى الإنجيل الغالى الثمن فى ذلك الوقت ... ولم يتردد فى أن يبيع الإنجيل و يعطى ثمنه للدائن . واصل مسيرته بلا إنجيل وقابله مسكين آخر فخلع ثوبه واعطاه له . وعاد إلى قلايته بلا ثوب ولا إنجيل . فلما رآه تلميذه بلا ثوب سأله

عنه فقال : [لقد قدمته يا ولدى أمامنا حيث نحتاجه] وأشار إلى السماء . ثم عاد وسأله عن الإنجيل الذى يتعزى بكلامه فقال له : [لقد كان كل يوم يقول لى بع كل ما لك وأعطه للفقراء وتعال اتبعنى] ...

+ المحبة لا تحتد :

مَن يحتد يسلّم نفسه للغضب وضيق النفس ، أما المحبة فتوسّع القلب .

+ المحبة لا تظن السوء :

مَن يظن السوء قلبه غير نقى ، وعينه غير بسيطة . أول ما ينطبع فى ذهنه هو الشر. أما المحبة فلأنها من الله ، فهى نظيره تجعل كل الأمور تعمل معاً للخير، ولا تقبل إلاّ الحياة فى سلام ... وما أكثر الأبرياء الذين يظلمهم الناس بسبب سوء ظنهم .

قصد الأنبا دانيال ـ وهو أحد آباء الرهبنة الكبار ـ ديراً للعذارى كان يأخذ اعترافاتهن . وكان بهذا الدير عذراء دعوها الهبيلة لأن تصرفاتها كانت تحكم عليها بذلك . وما أن دخل الأنبا دانيال للدير حتى اسرعت الأم الرئيسة وبقية العذارى لنوال بركته ما عدا هذه الهبيلة . فاعتذرت الأم الرئيسة له واظهرت ضجرها منها وقالت له : [مراراً كثيرة أردت أن اطرحها خارج باب الدير، لكنى خشيت من الخطية] ...

تنهد الأنبا دانيال لأنه علم بالروح سرّ هذه الهبيلة ... فقال لتلميذه اسهر معى الليلة لترى عجائب الله فى قديسيه ... وفى الليل نهضت تلك الهبيلة لتصلى وتسكب الدموع ، وكان وجهها يضىء . كانت تصلى فى الخفاء ، فاذا احست بقدوم أحد تظاهرت بالنوم . أرسل الأنبا دانيال واستدعى الأم الرئيسة وعاينت ذلك بنفسها

فبكتت نفسها قائلة : [الويل لى أنا الخاطئة فكم صنعت بها من الشتم والإهانة والتعيير] ...

انتشر الخبر بين عذارى الدير ، وما أن أحست الهبيلة بأن أمرها انكشف حتى هربت من الدير وتركت ورقة كتبت فيها : [أهانتكن لى كانت ثمرة نفسى . بُعدكن عنى واستقلالكن (احتقاركن) لى كان ربحى . فمباركة تلك الساعة التى قيل لى فيها يا هبيلة . وانتن بريئات من الخطية من جهتى . وانى قدامكن أمام المنبر سوف أجاوب عنكن لأجلى . ليس فيكن مستهزئة ، بل كلكن نقيات] ... وعندما قرأن الرسالة مع الأنبا دانيال قال لهن : [ما كان مبيتى أمس هنا إلاَّ لهذا السبب] .

+ المحبة لا تفرح بالإثم :

مَن يفرح بالإثم هو أثيم ويشتهى أن يسقط كل الناس كما سقط هو... أما المحبة فتقيم الساقطين وتحل المربوطين وتستر على الأثمة ...

ذهب القديس بولس البسيط إلى الكنيسة يتأمل الاخوة الداخلين ، وكان قد اعطى نعمة نظر الخفيات ... كان يرى الملاك الحارس لكل أخ يتبعه مسروراً ، ما عدا أخ نظر ملاكه الحارس عابساً وشياطين كثيرة تُحيط به . وفهم أن هذا الأخ معذب من الخطية . بكى القديس بولس البسيط على هذا الأخ الذى دخل إلى الكنيسة . وفيها تحرك قلبه بالتوبة عند سماعه القراءات الكنسية وبالفعل قرر عدم العودة إلى الخطية ... وحال خروجه من الكنيسة رأى بولس البسيط الملاك الحارس لهذا الأخ متهللاً ... لقد استجاب الله لدموع القديس بولس الذى احترّ قلبه من أجل هذا الأخ .

+ المحبة لا تسقط أبداً :

الإنسان يسقط حينما يكون وحده ، وليس معه مَن يسنده أو يقيمه حينما

يسقط. **أما المحبة فالله يسندها، لذا فهى لا تسقط أبداً**... المحبة الحقيقية التى تستند إلى محبة الله لا تسقط أبداً مهما قابلها ومهما احتملت من شدائد وضيقات... أما العاطفة الوقتية فسرعان ما تزول... ولدينا مثل فى الإنجيل المقدس، ذلك الشاب الغنى الذى اظهر لهفة نحو الحياة الأبدية فركض نحو المخلص وسأله «أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»... ولما قال له السيد: «يعوزك شيء واحد. اذهب بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالَ اتبعنى حاملاً الصليب»... لما سمع هذه الكلمات: «اغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة» (مر ١٠: ١٧ - ٢٢)... مسكين ذلك الشاب الذى أظهر عاطفة فى الأول، لكن سرعان ما سقطت محبته لأن شهوة محبته للمال كانت أقوى من محبته لله...

ثانياً - الوجه الإيجابى:

ونقصد به الصفات الإيجابية التى تتصف بها المحبة...

+ المحبة تتأنى وتترفق:

لا عجب أن يضع القديس بولس هاتين الصفتين المتكاملتين على رأس قائمة صفات المحبة الإيجابية مشيراً إلى جوهرها الإلهى. فالله بطبيعته طويل الأناة جداً. وهكذا ينبغى أن يكون أولاده. **إن التأنى هو الصفة المتعلقة بمعاملة الضعفاء والخطاة، وإذا توفرت للإنسان توفرت له عوامل النجاح فى خدمته. والترفق صفة مكملة للتأنى**... يقول الآباء: [طول الروح هو فخر القديسين]. إن المحبة بطول أناتها وترفقها تكسب النفوس.

ذكر عن القديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس أب الشركة الرهبانية، انه

علم يوماً أن راهباً من رهبان الدير ينوى أن يترك الرهبنة لتضايقه من الأب الكبير أنبا باخوميوس . فذهب إلى أنبا باخوميوس واتفق معه سراً بأنه سيحضر مع هذا الراهب ويتظاهر أمامه بشدة تضايقه منه ومن معاملته ويظهر بذلك متضامناً مع ذلك الراهب ... ذهب تادرس والراهب إلى أنبا باخوميوس ، وأمامه أخذ تادرس يكيل الاتهامات لأبيه باخوميوس . أما باخوميوس ففى وداعة أخذ يستمع فى صمت ، حتى ان الراهب الآخر خجل من موقف تادرس وكان يمنعه عن الاسترسال فى الكلام . وأخيراً صنع ذلك الراهب مطانية لأنبا باخوميوس وعاد إلى حياته الأولى كما كان .

+ المحبة تفرح بالحق :

إذا كانت المحبة لا تفرح بالإثم فبالتالى هى تفرح بالحق ... والحق هو الله نفسه « أنا هو الطريق والحق والحياة » . إن الحق لا ينفصل عن الله لأنه من صفاته ، بل هو الحق ذاته ... وحينما يظهر الحق فى قضية ما يكون الله قد ظهر أو أظهر ذاته . وحينما يسود الحق بين جماعة ، يكون الله وسط هذه الجماعة ... وإذا كنت إنسان الله ـ حتى لو كان الحق ضدى ـ لفرحت به ...

+ المحبة تحتمل كل شيء :

هذه الصفة تؤمّن للمحبة وصولها إلى غايتها ، وهى تفيد احتمال الاساءة إلى اقصى حدودها بدون أى رد فعل حتى لا تفقد النفس سلامها .

كان **الأب جلاسيوس وهو أب لجماعة من الرهبان** يقتنى انجيلاً ثميناً ووضعه فى كنيسة الدير لمنفعة بقية الرهبان ... حرك الشيطان أحد زوّار الدير لسرقة الإنجيل . وخرج مسرعاً من الدير ليبيعه . عرضه على أحد المهتمين بالكتب فعرض عليه أن يشتريه منه بثمانية عشر ديناراً . لكنه أجل دفع الثمن حتى ما يستشير إنساناً له دراية

بالكتب المقدسة ... عرض الإنجيل على الأب جلاسيوس الذى تعرّف على انجيله فى الحال . ورغم ذلك لم يظهر بل شجعه على شرائه بهذا الثمن ...

عاد الرجل إلى السارق وقال له انه عرض الإنجيل على الأب جلاسيوس وقد نصحه بشرائه . صُدِمَ السارق حينما سمع اسم الأب جلاسيوس ، واستعلم منه إن كان قد قال له شيئاً آخر... فلما نفى الرجل ذلك ، مضى للتوّ إلى الأب جلاسيوس ومعه الإنجيل دون أن يبيعه . وخرّ عند قدمى ذلك القديس معترفاً وتائباً ... ولم يكتفِ بذلك بل مكث بجوار الأب جلاسيوس ونذر حياته للرهبنة .

+ المحبة تصدق كل شيء :

حدث أن ضبعة قطعت الطريق إلى أحد الأديرة . فاستدعى رئيس الدير راهباً بسيطاً وأمره أن يذهب ويحضر هذه الضبعة . أطاع الراهب . ولما وصل إلى حيث كانت الضبعة خضعت تحت قدميه ، فقال لها إن معلمى أمرنى أن أحضركِ . وبالفعل حملها إلى رئيس الدير... لكن رئيس الدير خاف على الراهب من المجد الباطل فأمره أن يطلق الضبعة قائلاً له : [لقد طلبت منك أن تحضر لى ضبعة فتمضى وتأتينى بكلب] . وللوقت اطلقها .

+ المحبة ترجو كل شيء :

المعلم فانوس هو أحد أراخنة الأقباط فى عهد حكم المملوكين إبراهيم ومراد بك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. وفى ليلة عيد من الأعياد الكبيرة كان أحد جيران المعلم فانوس من الأقباط مقبوضاً عليه ظلماً . فذهبت زوجة ذلك الرجل وشكت إلى زوجة المعلم فانوس . فما كان منها مشاركة لها إلاّ أنها لم تظهر أى مظهر من مظاهر ليلة العيد . ولما عد زوجها المعلم فانوس وجد بيته مظلماً فأخذته

الدهشة . لكن زوجته قالت له كيف نحتفل بالعيد وأخونا فلان محبوس !! خرج لوقته المعلم فانوس وأخذ يتصل ببعض كبار الحكم حتى تمكن من الأفراج عن جاره ... كل ذلك استغرق جزءاً كبيراً من الليل فنام متأخراً .

كانت العادة أن يذهب الأراخنة إلى الأب البطريرك لتهنئته بالعيد . وكان مرتب أن يمر المعلم فانوس على **المعلم إبراهيم الجوهرى** ليذهبا سوياً للبطريرك . لكن بسبب ظروف الليلة السابقة تأخر المعلم فانوس عن موعده ، واعتذر للمعلم إبراهيم الجوهرى ذاكراً له الأسباب . فلامه المعلم إبراهيم لأنه لم يشركه فى نوال هذه البركة ... ذهبا إلى البطريرك وعرضا عليه الخلاف . فقال البطريرك للمعلم إبراهيم الجوهرى : [هو أطلقه من حبسه وأنت أوجد له عملاً] .

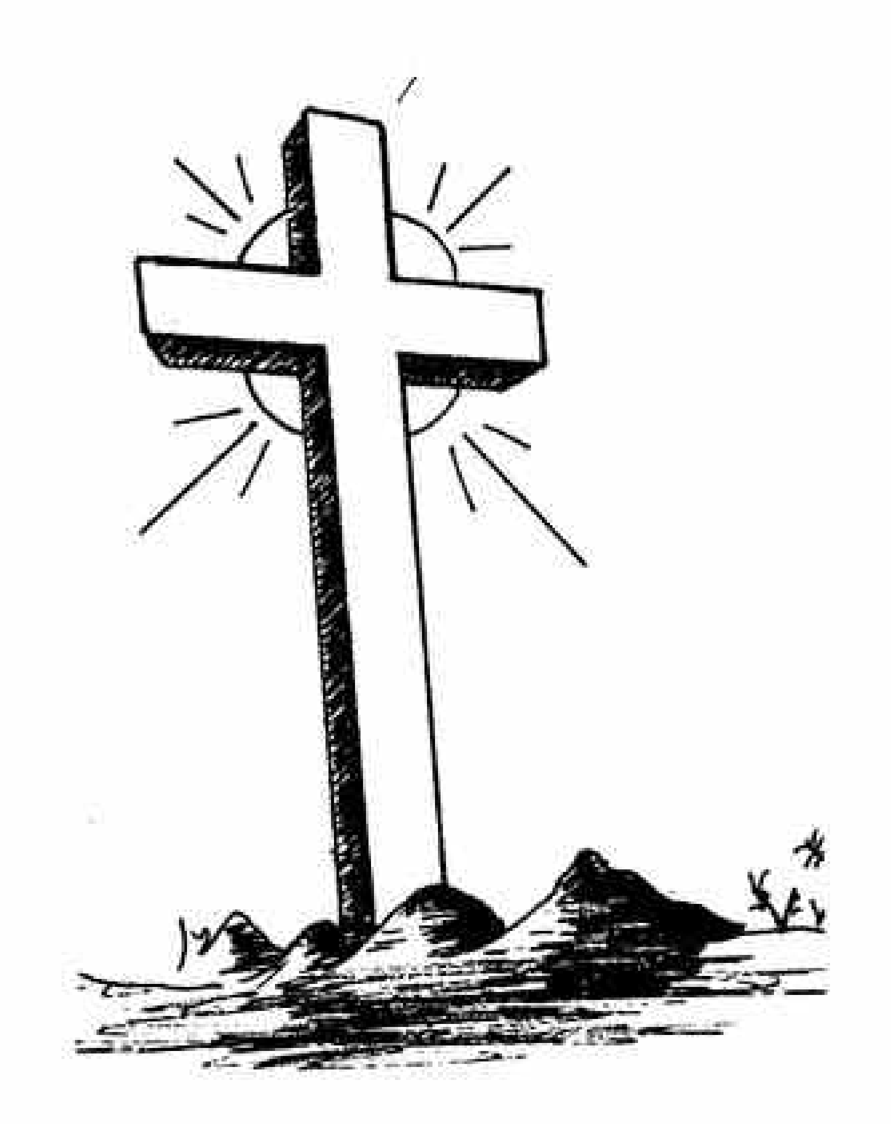
+ المحبة تصبر على كل شيء :

لا مفر من أن تصبر المحبة على كل ما يصادفها من ضيقات وشدائد وعقبات ... فالصبر هو الذى يوصل إلى المجد الأبدى « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . بصبركم تقتنون أنفسكم » ... والمحبة بطول اناتها قادرة على الصبر...

سكن أخوان البرية وعاشا معاً فى محبة . فلما ضجر الشيطان من محبتهما ـ وهو عدو كل خير ـ عوّل على التفريق بينهما . ففى ذات مساء أوقد الأخ الأصغر السراج ووضعه فى المكان المعتاد فأوقعه الشيطان فانطفأ ... احتد الأخ الأكبر على أخيه الأصغر وعنّفه وضربه . أما الأصغر فكان مملوءاً محبة . صنع مطانية لأخيه معتذراً وقال له : [لا تضجر يا أخى . طوّل روحك علىَّ وأنا أوقد السراج ثانية] . **ومن أجل صبر الأخ الصغير ومحبته عذب الرب الشيطان إلى الصباح .**

ذهب الشيطان إلى رئيسه فى هيكل للأوثان ليقص عليه ما حدث له . وكان هناك كاهن ذلك الهيكل الوثنى يستمع إلى حديث الشيطان الذى عُذّب من أجل صبر

ومحبة الأخ الصغير... اخذت الكاهن الدهشة من عظم هذه المحبة التى تغلب الشر وتهزم الشيطان. فقرر أن يصير مسيحياً ويصبح راهباً. وبالفعل سلك هذا الطريق ...



الإيمان بالله - فعاليته وثماره

- ما هو الإيمان ؟
- العقل والإيمان - الإيمان والأمور التى لا ترى .
- إيماننا المسيحى فى الله وهل يتضمن عقائد محددة ؟
- هل للإيمان درجات ؟
- علاقة الإيمان بالحياة الروحية .
- بعض ثمار الإيمان .
- مشجعات الإيمان ومعوّقاته ..

الإيمان هو المدخل لعلاقة سليمة تقوم بين الإنسان والله ... فكما يقول الرسول بولس انه **بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله . لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله ، يؤمن بأنه موجود ، وانه يجازى الذين يطلبونه** (عب ١١ : ٦) ... **ويضيف نفس الرسول : « كل ما ليس من الإيمان فهو خطية »** (رو ١٤ : ٢٣) ... وكون عدم الإيمان خطية ، فمعنى ذلك أنه لا يمكن أن تقوم علاقة بين الإنسان والله على أساس غير الإيمان ...

من هنا كان الإيمان شيئاً ثميناً جداً . هكذا يعبرّ بطرس الرسول حينما يوّجه رسالته الثانية **« إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً »** (٢ بط ١ : ١) ... وبالحق فإنه لا يوجد ما هو أثمن من الإيمان ، لأن به نقترب إلى الله ، بل ونرتبط به **« فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح ، الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون »** (رو ٥ : ١ ، ٢) ... **وبه يسكن المسيح قلب الإنسان** . هذا ما يقوله بولس الرسول صراحة إلى أهل أفسس : « ليحلّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم » (أف ٣ : ١٧) ... **وهو الوسيلة التى يحيا بها الأبرار** « أما البار فبالإيمان يحيا » (عب ١٠ : ٣٨) ، **فضلاً عن أنه احدى فضائل المسيحية الكبرى الإيمان والرجاء والمحبة** (١ كو ١٣ : ١٣) .

ولا شك أن الإيمان يعتبر أعظم عطية وهبها الله للبشر مجاناً . فبه نحصل على الخلاص من عبودية الخطية والموت الأبدى ... يقول رب المجد يسوع : « مَن آمن واعتمد يخلص ، ومَن لم يؤمن يُدان » (مر ١٦ : ١٦) ... وحينما سأل حافظ سجن مدينة فيلبى بولس وسيلا عما ينبغى أن يفعله لكى يخلص - وذلك بعد المعجزة التى حدثت بسبب وجودهما داخل السجن - كان جواب الرسولين : **«آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك»** (أع ١٦ : ٣٠ ، ٣١) ... ويختم الرسول يوحنا إنجيله بقوله : « كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . **ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه »** (يو ٢٠ : ٣١) ... وصدق القديس امبروسيوس إذ يقول : [**الإيمان نهار دائم لا يعقبه ليل**] .

ما هو الإيمان ؟

الإيمان هو حياة يحياها الإنسان « البار بالإيمان يحيا » ، وإلاّ صار إيماناً نظرياً يتلخص و ينحصر في اعتناق عقائد معينة يرددها الإنسان كما فى قانون الايمان... **ولا فائدة للإيمان** بالله بدون علاقة خاصة به، **تقودنا إلى محبته وطاعته، وتؤول إلى عشرة تبدأ هنا ونستكملها فى الملكوت الأبدى... ولا فائدة للإيمان بحياة بعد الموت إن لم نُعدّ أنفسنا لها بالتوبة والمحبة والجهاد. هذه هى حياة الإيمان. الإيمان العملى الذى يخلص النفس وتظهر ثماره فى حياتنا، وليس الإيمان** النظرى الذى لا يخلص النفس بل يجلب عليها دينونة...

الإيمان ليس بالادعاء أو الانتساب أو الوراثة ، كأن يدعى الإيمان حاملاً اسم مؤمن، أو ينحدر من أسرة مؤمنة تقية... **والإيمان ليس مجرد عقيدة نظرية بل هو حياة** « من ثمارهم تعرفونهم » (مت ٧ : ١٦ - ٢٠)... **وهو يختبر بحياة الطاعة لله** « بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه. مَن قال قد عرفته **وهو لا يحفظ وصاياه فهو** كاذب وليس الحق فيه » (١ يو ٢ : ٣ ، ٤).

والإيمان بالله لا يتطلب معرفة لاهوتية ، لكنه يتطلب بالدرجة الأولى ثقة فى الله وتصديقاً لأقواله ومواعيده... و يقدم لنا القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين والاصحاح الحادى عشر، نماذج من رجال الإيمان الذين ليس بينهم فيلسوف أو لاهوتى واحد... منهم **أخنوخ** الذى كل ما نعرفه عنه انه « سار مع الله » (تك ٥ : ٢٢ ، ٢٤)، وانه « أرضى الله » (عب ١١ : ٥)... ومنهم **إبراهيم** الذى « لما دعى أطاع ان يخرج إلى المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب »، وقدم ابنه إسحق الذى عنه قبل المواعيد « إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات » (عب ١١ : ٨ ، ١٧ - ١٩)... **وسارة** وضعت فى قائمة أبطال الايمان **لأنها** « حسبت الذى وعد صادقاً » (عب ١١ : ١١).

يعرّف القديس بولس الرسول الإيمان بأنه « الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى » (عب ١١ : ١)... فالإيمان والحال هذه هو ثقة فى الله وكلامه المقدس واعلاناته. لذا فإن نفس الرسول بعد تعريفه للإيمان يقول : « بالإيمان نفهم أن العالمين

أُتْقِنت بكلمة الله» (عب ١١ : ٣). ولأن الإيمان **هو ثقة مطلقة فى الله وكلامه** وإعلاناته، لذا «فكل ما ليس من الإيمان فهو خطية» (رو ١٤ : ٢٣). لأن عدم الإيمان يعنى انعدام الثقة فى الله وكلامه المعلن...

العقل والإيمان:

إن الإيمان والحال هذه ليس مجرد شعور أو إحساس أو عاطفة. كما أنه ليس دعوة مبهمة نحو أمور غامضة، أو ارغام للنفس للتسليم بغير المنظور، وما لا يُدرك بالحواس والإيمان ليس الغاءً للعقل، بل هو تصديقه للحقائق الإيمانية بقبول ورضى... **لكن العقل لكى يتقبل الحقائق الإيمانية، ويذعن للإيمان بدون مقاومة أو فحص، يحتاج إلى اتضاع فكرى من جانب الإنسان...**

يقول القديس والفيلسوف المسيحى أغسطينوس:

[إن شئت أن تبلغ إلى سمو الله، فابحث عنه أولاً فى تواضعه. اتضع إن شئتَ فالتواضع مفيد لك، لأن الله قد اتضع من أجلك وليس من أجل ذاته. خذ المسيح المتواضع وتعلّم منه الاتضاع. وحين تأخذ تواضعه ترتفع معه... آمن بوصايا الله، واعمل بموجبها حتى ما يعطيك القدرة على الفهم. لا تعتدّ بعلمك ولا تفضّله على وصية الله، لئلا تخسر قدرتك وتضعف... المسيح يسكن بالإيمان فى قلبك... تذكّر شهادة الرب يسوع: «احمدك أيها الآب رب السّماء والأرض لأنك اخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للأطفال» (مت ١١ : ٢٥)... لقد اخفاها عن الحكماء والفهماء، ولم يكشفها للجهال والبلهاء، **بل أعلنها للأطفال أى المتواضعين**... لا تطلب ما يرتفع فى قلبك، بل اطلب ما يستحق قلبك أن يسمو إليه. إن تعلمت أن تفتخر بالمصلوب أخذت المجد من الملك. **كثيرون رأوا الهدف وما اكتشفوا السبيل إليه وهو التوضع... لا تستكبر، فالإيمان نعمة من الله تعطى مجاناً، وليست أجراً على عمل، بل رحمة من قِبَل المعطى. إيمانك هبة من الله، وليس حقاً لك.** اسمع قول الرب يسوع: «لا يقدر أحد أن يأتى إلىَّ إن لم يُعْطَ من أبى» (يو ٦ : ٦٥)... آمن فتأتى، وأحبب فتُدعى. **هلّم إلى المسيح ولا تخف من طول** الطريق. آمن وتعالَ **]**.

وحينما يظهر العقل الخضوع ، ويقدّم التسليم الكامل للحقائق التى يعلن عنها الإيمان ، ففى هذه الطاعة المحبوبة ، التى تتولد عن الاتضاع ، يكشف الروح القدس للعقل كل ما يتعلّق بهذه الحقائق الإيمانية «الروح القدس ... يعلّمكم كل شيء» (يو ١٤ : ٢٦) ... يقود الروح القدس العقل فى ضوء المعرفة الروحانية الجديدة حتى يوصّله إلى الحق ... قال السيد المسيح لمرثا أخت لعازر: «ألم أقُلْ لكِ إن آمنتِ ترينّ مجد الله» (يو ١١ : ٤٠).

بعد ذلك يأتى دور العقل . فبعد أن يقبل الحقائق الإيمانية بخضوع وتسليم و يستنير بالمعرفة الروحانية ، يستطيع أن يفحص الحقائق الإيمانية . والفحص العقلى فى هذه المرحلة يزيد هذه الحقائق الإيمانية وضوحاً .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن **هذه الحقائق الإيمانية التى يُسلّم بها العقل بادىء ذى بدء هى أمور أعلنها الله . ولا أحد سواه يستطيع أن يكشفها أو يُعلن عنها ... فهى أمور فائقة لطبيعتنا البشرية ، لأنها تختص بغير المنظور وما وراء الطبيعة ... ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفتها المعرفة اليقينية بواسطة فكره وحواسه** ... يقول القديس بولس : «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذى فيه . **هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاّ روح الله .** ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانية ، بل بما يعلّمه الروح القدس ... ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه ، فأعلنه الله لنا نحن بروحه . **لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله**» (١ كو ٢ : ١١-١٣ ، ٩ ، ١٠).

وعن العلاقة بين العقل والإيمان يقول القديس والفيلسوف أغسطينوس :

[**آمن تصبح أهلاً لأن تفهم . على الإيمان أن يسبق الادراك ، ليكون الادراك جزاء الإيمان** ... من اللازم أن تؤمن بما تُبَشَّر به ببساطة ، لأن غاية العقل أن يناقش بدقة . بالإيمان تتحد ، وبالعقل تحيا . يجب عليك قبل كل شيء أن تتحد بواسطة الإيمان لتحيا بواسطة العقل . إن لم تتحد تقاوم . وإن كنت تقاوم فلست مؤمناً . وإن كنت تقاوم فكيف تحيا . إنك تجعل نفسك

عدواً لشعاع النور الداخل فيك... **يقول واحد أريد أن أفهم. من الواجب عليَّ أن أفهم حتى أؤمن. فأجيب آمن تفهم. الإيمان مرقاة، عليها تبلغ الفهم. والفهم جزاء الإيمان**... اعطاك الله عينين جسديتين وعقلاً باطنياً. ايقظ عقل قلبك، وارفع الساكن فى عينيك الباطنيتين، ليفتح نوافذه ويتأمل فى خليقة الله... آمن بما لم تَرَ من أجل الأشياء التى تراها... **الإيمان يدرك ما لا يدركه العقل البشرى. وحيث يعجز العقل ينجح الإيمان. وحيث يعجز العقل ينمو الإيمان].**

نخلص من هذا كله إلى أن للعقل تقديره، وبه ميّز الله الإنسان عن الحيوان. ومع ذلك فالعقل له حدود، ولا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى (رو ١٢ : ٣). والأمور التى هى فوق ادراكه يجب أن يُسلّم قياده للإيمان... فالعقل قد يوصلك إلى بداية الطريق، لكن الإيمان هو الذى يكمّل معك الطريق كله إلى الله. وعلى ذلك فالإيمان لا يتعارض مع العقل لكنه يتجاوزه إلى مراحل أبعد بما لا يقاس، ولا يستطيع العقل بمفرده أن يصل إليها...

الإيمان والأمور التى لا ترى :

فى تعريفه للإيمان يقول بولس الرسول عنه انه : « الثقة بما يُرجى، **والإيقان بأمور لا تُرى** » (عب ١١ : ١).. وكلمة الإيقان من اليقين ويفيد التأكد الشديد الذى لا يأتيه الشك... **وفى هذه المناسبة نقول ان ثمة فارق بين رجال الإيمان ورجال البحث العلمى**... رجال الإيمان يصدقون ما لا يرى ويثقون فيه، أما رجال البحث العلمى فإنهم يريدون أن يخضعوا كل شيء لما تقبله عقولهم... هنا نتذكر كلمات السيد المسيح لتوما بعد أن لحقه الشك عقب قيامته المجيدة : «لأنك رأيتنى يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠ : ٢٩)... لكن ما هى الأمور التى لا ترى التى يشير إليها بولس الرسول فى تفسيره للإيمان..؟

من الأمور التى لا ترى الله وصفاته « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨)... وحينما يقول داود مثلاً : « تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين »، فبلا شك ان الرؤية تمت بعين الإيمان. ومن الأمور التى لا ترى مواعيد الله. فرجال الإيمان « لم

ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها » (عب ١١ : ١٣) ... **ومن الأمور التى لا ترى انذارات الله بأمور ستحدث ،** كما فى حالة الطوفان وحريق سدوم وعمورة ...

ومن الأمور التى لا ترى بركات الله ونعمته فى داخل الإنسان ، كأن يصبح هيكلاً لله (١ كو ٣ : ١٦ ؛ ٦ : ١٩) ... **ومن الأمور التى لا ترى الخلائق العلوية ،** على نحو ما حدث فى حرب ملك آرام مع إسرائيل زمن اليشع النبى . فقد رأى جيحزى تلميذه جيشاً يحيط المدينة وخيلاً ومركبات . لكن حينما صلى إليشع إلى الله ليفتح عينى جيحزى ، فقد رأى الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حوله » (٢ مل ٦) . **ومن الأمور التى لا ترى كل ما يتعلق بالعالم الآخر** وما ينتظر المؤمنين من مجد ، والأشرار من ويلات ... ومن الأمور التى لا ترى عمل الروح القدس فى أسرار الكنيسة ... إلخ .

إيماننا المسيحى فى الله :

الله فى إيمان المسيحيين ليس مجرد قوة عليا خفية غير منظورة تدير الكون وتدبّر حياة البشر وحسب ... لكن المسيحيين يؤمنون بإله واحد مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس . ويؤمنون ان ابن الله ، الأقنوم الثانى فى الذات الإلهية ، فى ملء الزمان تجسّد وتأنسّ ، أى أخذ جسداً من العذراء الطاهرة مريم وصار إنساناً كاملاً ، بعد أن جعل هذا الجسد الذى أخذه من أحشاء البتول مريم واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ... وهكذا فإن الله الذى لم يكن منظوراً فى العهد القديم ، صار منظوراً فى المسيح فى العهد الجديد « الكلمة صار (اتخذ) جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقاً » (يو ١ : ١٤) .

ولا تعارض بين هذا الكلام وما قاله الله لموسى النبى قديماً حينما طلب أن يرى مجده **« لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش »** (خر ٣٣ : ١٨ ، ٢٠) ... بل إن يوحنا الإنجيلى الذى استفتح بشارته بالكلام عن أزلية ابن الله وتجسّده ، قد أكدّ على ذلك بقوله : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨) ...

لكن الأمر فى غاية البساطة ... فالمقصود هنا بعدم امكانية رؤية الله، عدم امكانية رؤية الإنسان للاهوت. وهذا صحيح. لذا حينما اراد ابن الله الكلمة الأقنوم الثانى، أن يتمم عمل الفداء للبشر، اتخذ جسداً اخفى به لاهوته، وقَبِلَ فيه الآلام نيابة عن البشر...

هذه عقيدة أساسية فى الإيمان المسيحى، بها يرتبط خلاصنا وغفران خطايانا، واستحقاقنا للحياة الأبدية فى السماء، ومفاعيل النعمة الإلهية بعمل الروح القدس الذى نقل وينقل للبشر بركات الخلاص من خلال أسرار الكنيسة المقدسة...

ويعلّق المسيحيون أهمية عظمى على عقيدة التجسد وإيمانهم به وببركاته... فبه (التجسد) تباركت طبيعتنا البشرية، وصرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤). بل إن الكنيسة المسيحية مؤسسة على صخرة الإيمان أن المسيح هو ابن الله الحىّ (مت ١٦ : ١٨).

فالإيمان المسيحى هو إيمان بالتجسد والفداء والبركات التى نتجت عنهما... «مَن آمن واعتمد يخلص» (مر ١٦ : ١٦)... «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣ : ١٦)... «الذى يؤمن به (المسيح) لا يدان. والذى لا يؤمن به قد دين» (يو ٣ : ١٨)... ووبخ السيد المسيح اليهود قائلاً: «إن لم تؤمنوا انى أنا هو تموتون فى خطاياكم» (يو ٨ : ٢٤)... المسيح فى عقيدة المسيحيين هو المخلص، لذا فالإيمان به وبعمله الفدائى هو الذى يخلّص... قال بولس وسيلا لحافظ السجن فى مدينة فيلبى حيث كانا مسجونين: «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك» (أع ١٦ : ٣١)... ومن أجل الإيمان بيسوع المسيح المخلّص كُتبت الأناجيل وكُرز بها، وكتبت رسائل الرسل... يقول يوحنا فى خاتمة إنجيله: «أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠ : ٣١).

هل يتضمن الإيمان المسيحى عقائد محدّدة ؟

نتساءل ، هل الإيمان المسيحى مجرد إيمان ساذج بشخص الرب يسوع المسيح وخلاصه ، قوامه حياة التعبّد والتقوى الخالصة ، ولا شيء غير ذلك ؟ والا توجد عقائد إيمانية محدّدة فى نطاق هذا الإيمان المسيحى ؟

الحق ان القول بعدم وجود عقائد محددة فى نطاق الإيمان المسيحى فهم خاطىء للمسيحية الأصيلة وإيمانها المسلّم مرة واحدة للقديسين (يه ٣)... فالكنيسة منذ البداية - منذ عصر رسل المسيح - كانت لها - إلى جانب الإيمان المسيحى العام - عقائد إيمانية أساسية محدّدة ، صاغتها فى قانون إيمان عُرف باسم قانون إيمان الرسل ، حفظه كل راغب فى نوال سرّ العماد المقدس ، وكان يعلنه لحظة عماده ، متعهداً التمسك به ... ولما ظهرت البدع والهرطقات فى عصور لاحقة ، صاغت الكنيسة فى مجامع مسكونية قانون الإيمان الذى يؤمن به كل مسيحى ، والذى مازلنا نردده حتى الآن ، ونعلن به عن حقيقة إيماننا ...

يقول أحد أساتذة اللاهوت غير الأرثوذكسى : [إن تصوير المسيحية الأولى على أنها مجرد طريق للحياة بدون عقيدة لاهوتية - على نحو ما تصورها العظة على الجبل ، ولا شيء غير ذلك - أمر ليس فيه انصاف ، ولا تؤيده الأسانيد التاريخية . لقد وُجد منذ البداية إيمان عام واحد ، كثيراً ما أشار إليه العهد الجديد تحت اسم « التقليد » (١ كو ١١ : ٢) ، « صورة التعليم التى تسلّمتموها » (رو ٦ : ١٧) « تعليم الرسل » (أع ٢ : ٤٢) ، « صورة الكلام الصحيح » (٢ تى ١ : ١٣) ، « الإيمان المسلّم مرة للقديسين » (يه ٣)] .

وقد دافع رسل المسيح عن هذه العقائد المسيحية فى نطاق الإيمان الواحد ، وحاربوا الخارجين عنها ، الذين وصُفوا بأنهم « يدسّون بدع هلاك » (٢ بط ٢ : ١) . بل أمر يوحنا الرسول المؤمنين بمقاطعتهم تماماً حتى لا يصيروا شركاء فى أعمالهم الشريرة (٢ يو ١٠ ، ١١) .

الإيمان العامل بالمحبة :

هناك نوعان من الإيمان : الأول إيمان عقلى نظرى يشترك فيه ملايين الناس ، بل وحتى الشياطين يشتركون معهم فيه ... يقول يعقوب الرسول : « **أنت تؤمن أن الله واحد ، حسناً تفعل . الشياطين يؤمنون ويقشعرون** » (يع ٢ : ١٩) . هذا الصنف من الإيمان هو ما يصفه هذا الرسول بأنه : « ميت فى ذاته » (يع ٢ : ١٧) ... **والنوع الثانى إيمان عملى ، وهو ثمين ونادر.** عن هذا النوع قال السيد المسيح : « الحق أقول لكم ، **لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** » (مت ١٧ : ٢٠) . وعنه كتب الرسول بولس إلى أهل غلاطية : « لأن فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، **بل الإيمان العامل بالمحبة** » (غل ٥ : ٦) ... **والمعنى الحرفى الدقيق « للإيمان العامل بالمحبة » انه هو الإيمان الذى يعبرّ عن ذاته بالمحبة ، أو الذى يعمل من خلال المحبة** ... لأن الإيمان إن لم يعبرّ عن ذاته ووجوده فى الإنسان صار إيماناً نظرياً لا قيمة له . وبتعبير آخر هو إيمان ميت ...

فالمؤمن الحقيقى سلوكه فى توافق تام مع إيمانه . وليس فى تصرفه تناقض البتة مع عقيدته . كما يكثر من أعمال المحبة لأن إيمانه حى ... فالإيمان الحىّ هو إيمان عامل ... وأما الإيمان الذى لا يعمل فهو إيمان ميت لا قيمة له « الإيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) وفى كل مرة يذكر الكتاب المقدس الإيمان ، إنما يعنى الإيمان العامل بالمحبة ...

وموضوع لزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان مع الإيمان هو مثار جدل عقيدى ، لكننا لن نتعرض لهذا الجدل هنا ... لكن نقول ببساطة إن الأعمال الصالحة هى بمثابة ثمار للإيمان الحىّ ، والشجرة تُعرف من ثمارها . وكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار هكذا قال رب المجد فى عظته الخالدة على الجبل (مت ٧ : ١٩) ... ويعقوب الرسول يتساءل : « ما المنفعة يا اخوتى إن قال أحد إن له إيماناً ، ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الإيمان أن يخلّصه » (يع ٢ : ١٤) . ويستطرد الرسول قائلاً : « ترون إذاً انه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده » (يع ٢ : ٢٤) ...

يقول رب المجد : « إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، **وحينئذ يجازى كل واحد حسب أعماله** » (مت ١٦ : ٢٧)... كما يقول : «**تأتى** ساعة **فيها يسمع** جميع الذين فى القبور صوته . **فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة** » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩)... والقديس بولس يتكلم عن الله الذى « **سيجازى كل واحد حسب أعماله** » (رو ٢ : ٦)... كما يقول : « **لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها** » (أف ٢ : ١٠)... ويختم رب المجد يسوع المسيح على كتاب العهد الجديد فى الرؤيا التى أعلنت ليوحنا و يقول : « **ها أنا آتى سريعاً وجزائى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله** » (رؤ ٢٢ : ١٢) .

هل للإيمان درجات ؟

يقول القديس بولس الرسول : « فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل مَن هو بينكم أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى ، بل يرتئى إلى التعقلّ **كما قسم الله لكل واحدٍ مقداراً من الإيمان** » (رو ١٢ : ٣) . **لعل هذا النصّ يوضح أن الإيمان يتفاوت من إنسان إلى آخر. وأن الأمر ليس كما يصوّره البعض حينما ينسبون عدم الإيمان إلى ضعيف الإيمان . أو يقولون إن هذا مؤمن وذاك غير مؤمن !!**

فالرسول بولس فى معرض حديثه عن الأسقف يشير إلى حداثة الإيمان ، فيشترط فيمَن يختار لدرجة الأسقفية ألاّ يكون « حديث الإيمان » **(١ تى ٣ : ٦)... والمسيح له المجد أشار إلى ضعاف الإيمان أو قليلى الإيمان .** ففيما يتكلم عن طيور السماء التى لا تزرع ولا تحصد وكيف أن الله يعتنى بها وزنابق الحقل وكيف يكسوها الله جمالاً قال : « أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم **يا قليلى الإيمان** » (مت ٦ : ٣٠) . ووبخ بطرس حينما لحقه الشك وهو يمشى على الماء بناء على أمر السيد بقوله : « **يا قليل الإيمان لماذا شككت** » (مت ١٤ : ٣١)... كما وبخ التلاميذ فى السفينة لما خافوا من الأمواج بقوله لهم : « **ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان** »... **وهنا نلاحظ أن الخوف والشك من مظاهر قلة الإيمان .**

ويشير بولس الرسول إلى نوع رابع يسميه « ضعيف الإيمان » (رو ١٤ : ١)

وذلك فى معرض حديثه عمّن يعثر من أكل ما يذبح للأوثان .

وهناك عينة من الناس إيمانهم غير مطلق أى محدود ... ومن أمثلة ذلك مريم ومرثا اللتان كانتا تؤمنان أن المسيح يقدر أن يشفى فقط ، هذا أقصى ما وصل إليه إيمانهما «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى» (يو ١١ : ٢١ ، ٣٢) .

وهناك عينة أخرى إيمانها بطىء نتيجة عدم الفهم والمعرفة . ومن أمثلته تلميذا عمواس اللذان قال لهما المسيح : «أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء» (لو ٢٤ : ٢٥) .

وثمة عينة أخرى من الناس إيمانهم فى حالة نمو . فيكتب بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى شاكراً الله من جهتهم لأن إيمانهم ينمو كثيراً (٢تس ١ : ٣)... ويكتب لأهل كورنثوس يصفهم بأنهم يزدادون فى كل شىء فى الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد (٢ كو ٨ : ٧) .

وهناك عينة أخرى من الناس يوصفون بأنهم مملوؤن من الإيمان كاستفانوس (أع ٦ : ٥ ، ٨) .

وأخيراً فهناك ذوو الإيمان الميت كما يصفهم يعقوب الرسول (يع ٢ : ١٧)... ومن يرتدون عن الإيمان كلية ... لكن الروح يقول صريحاً انه « فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلّة وتعاليم شياطين» (١ تى ٤ : ١) ...

علاقة الإيمان بالحياة الروحية :

ولأن الإيمان المسيحى مفروض فيه أن يكون إيماناً عاملاً بالمحبة ، فلا بد وأن يكون وثيق الصلة بحياة الإنسان الروحية ، أو كما يدعوه القديس أغسطينوس : [رأس الحياة الصالحة] ... يقول أحد الآباء : [إنى أعتقد أن لا شىء يُنمّى روحنا بقوة وسرعة ، أكثر من الإيمان وحده . ولا أقصد بالإيمان ، الإيمان النظرى بوجود الله ، بل الإيمان الحىّ القائم فى الداخل... ذلك الإيمان الذى يجعل النفس قادرة أن تؤمن ، وتشهد بامكان اكتسابها فى هذا الدهر حالة القديسين المغبوطة] ...

فى الإيمان الحقيقى يكون الإنسان خاضعاً لإيمانه ، لا الإيمان خاضعاً للإنسان ،

يتغيّر تبعاً لأهوائه وحالته النفسية وأفكاره... إلخ. وعندما يخضع للإيمان، **يعمل على** تطهيرنا تدريجياً. فنحن بالإيمان نتغيّر وننمو، بل بالإيمان نتجاوز أنفسنا... **ونقدم بعض الأمثلة على ذلك:**

أ - **الإيمان يؤثر على وعى الإنسان وإرادته** ... فالأهواء والشهوات تستعبد الإنسان. ومَن يخضع لها يصبح بصورة ما غير خاضع للعقل، بل يأتى أفعالاً لا عقلانية... له عقل ولكنه يجعله فى خدمة أهوائه، إذ تَستَعْبد الأهواء العقل فيعمل ويفكر فى خدمتها... وهنا فإن العقل يبرر الأهواء المنحرفة أو كما يقال: «العقل خادم أمين للنفس» ويُقصد بالنفس شهواتها وميولها المنحرفة...

أما الإيمان فهو يثبّت العقل، ويلقى فيه بذار زرع مقدس جديد، به يقاوم الإنسان تجربة إشباع الأهواء واخضاع كل شىء لها... وبالجملة فإن الإيمان يرقّى الإرادة ويسمو بها... يقول القديس اغسطينوس: [لن تحيا حياة صالحة إلاّ إذا بدأت تؤمن. ومتى رَعَيْتَ الإيمان زِيْد لك الباقى... إن كل عمل مستقيم يأتيه إنسان لا يمكن أن يكون مستقيماً إذا لم يرتبط بتقوى الله. وإذا لم يكن الإيمان سابقاً، فلا صلاح فى الحياة... **اسمع الرسول «بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله» (عب ١١: ٦)... إن لم يستقم إيمانك فلست باراً، لأن البار بالإيمان يحيا**]...

ب - والإيمان وثيق الصلة بالصلاة ... يقول القديس أغسطينوس عن علاقة الإيمان بالصلاة: [إن لم يكن فيك إيمان، فلا مجال للصلاة. إذ كيف تصلى لمَن لا تؤمن به. الإيمان هو ينبوع الصلاة. ويُظهر الرسول ان الإيمان هو ينبوع الصلاة بقوله: «كيف يدعون بمَن لم يؤمنوا به» (رو ١٠: ١٤). والنتيجة: آمن لكى تصلى، وصلّ حفاظاً على إيمانك الذى به تصلى، الإيمان يفيض صلاة. والصلاة المُفاضة تقوىّ الإيمان]... إذا كان هذا الكلام عن الصلاة بوجه عام، فإن الإيمان وثيق الصلة بالصلاة المقتدرة المقبولة... يقول رب المجد: «كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالون» (مت ٢١: ٢٢)... «لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون، فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم» (مر ١١: ٢٤)، ولذا يقول يعقوب الرسول: «صلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه» (يع ٥: ١٥).

جـ - **والإيمان يولدّ فينا الصبر** ... وما يناله الإنسان بالصبر لا يستطيع أن يناله بوسيلة أخرى. يقول يعقوب الرسول: «احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة. عالمين أن **امتحان إيمانكم ينشىء صبراً**. وأما الصبر فليكن له عمل تام. لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء» (يع ١: ٢-٤).

د - **والإيمان يمنحنا قوة زمن التجارب والشدائد** ... بقدر ما يضعف إيماننا بقدر ما تقوى علينا التجربة. وبقدر ما يكون إيماننا ثابتاً ووطيداً بقدر ما نقاوم التجربة وننتصر عليها ... **الإيمان النقى يحيا وسط التجارب وضيقات هذا العالم. العالم يهتز، أما الإيمان فلا يتزعزع، بل هو الإيمان الراسخ** كما يدعوه بطرس الرسول: «اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَن يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان» (١ بط ٥: ٨، ٩) ...

بالإيمان يعرف الإنسان انه ليس وحده فى حروبه وجهادته ... الإيمان يقوّى ثقة الإنسان فى جهاده، ويقوّى رجاءه فى الله. إن مسيحنا دُعى «عمانوئيل» أى (الله معنا). وإن كان الله معنا فمن علينا (رو ٨: ٣١).

هـ - إن الإيمان يزيدنا ثقة فى تصديق مواعيد الله التى تملأ أسفار الكتاب المقدس ... كل مواعيد الله هى لنا، وننالها بالإيمان ... الإيمان بمَنْ؟ «برئيس الإيمان ومكمّله يسوع» (عب ١٢: ٢) ... **وتعبير «رئيس الإيمان» يعنى بدء الإيمان. وعلى ذلك فإن المسيح هو أساس إيماننا، وبدء إيماننا، ومكمّل إيماننا ... وبالإيمان به ننال كل شىء حسب مواعيده الصادقة، إن حفظنا وصاياه، وعشنا فى طاعة الإيمان لله ولكنيسته «عمود الحق وقاعدته»** (١ تى ٣: ١٥).

و- وبالجملة فإن الإيمان له صلة بنواحى كثيرة فى حياة الإنسان الروحية ...

فمثلاً الإنسان يستحى أن يخطىء أمام إنسان كبير فى مقامه، كما يترفع عن الخطأ أمام مَن هو ادنى منه احتراماً لذاته ... وهكذا فإن الناس يرتكبون الخطايا فى الخفاء، لذا قيل عن الخطاة انهم: «أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو ٣: ١٩) ... إذن فالإنسان يخجل أو يخاف من إنسان يراه إنساناً يخطىء ... **إن الإيمان يجعلنا نحسّ أننا فى حضرة الله دائماً وانه يرانا**. هذا ما حفظ

يوسف الصديق فى تجربة امرأة فوطيفار، وهذا ما يحفظنا نحن أيضاً ، وما يمنح القلب اتضاعاً .

إن آمنا بالأبدية فلنضعها أمامنا انها تعطى ضمائرنا يقظة ، وإن كنا نؤمن بمحبة الله فلنحرص ألاَّ نجرحها . فأشد الجروح هى التى يجرح بها الله فى بيت أحبائه (زك ١٣ : ٦) ... وإن آمنا بالفضيلة كمنهج لحياتنا فلنسلك فى طريق التقوى والفضيلة . وإن آمنا بفناء العالم وتفاهته ترفّعنا عن الخطأ . إن الايمان يدفعنا إلى الزهد فى العالم « الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كو ٧ : ٣١) ... وبالإيمان نغلب العالم بكل ما فيه « وهذه هى الغَلَبَة التى تغلبُ العالم إيماننا » (١ يو ٥ : ٤) .

بعض ثمار الإيمان :

للإيمان ثمار روحية كثيرة ومباركة منها حياة التسليم ، والسلام والفرح ، والرضا والشكر، والتغلّب على الصعاب ...

١ ـ حياة التسليم ...

تأتى كثمرة للإيمان ... **إذا كان الإيمان بالله هو الثقة به ، فإن هذا الإيمان ، أو بالتالى الثقة تقودنى إلى تسليم حياتى لله الذى أثق به ... وما لم تتوفر الثقة لا يمكن أن يكون هناك تسليم ... إنه طاعة الإيمان .**

المؤمن يسلّم حياته لله بلا تحفظ ولا شروط أو ضمانات ... انه واثق فى محبته وحكمته وقدرته . كثيرون لا يسلّمون لله إلاَّ إذا فشلت أساليبهم البشرية . ليس هذا هو الإيمان . إنما هو الاضطرار إلى الله . يقول السيد المسيح : « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . **إن اخطر ما يهدد حياة الإنسان الروحية هو محاولة العمل مستقلاً عن الله ، والاعتماد على فكره وتدبيره بعيداً عن مشورة الله . انه لا يرى انه محتاج لأن يُشرك الله معه فى العمل** ... لقد وهب الله الإنسان العقل والارادة ، لكن ليس ليستقل بهما عنه ... يقول الحكيم : « **وعلى فهمك لا تعتمد** » (أم ٣ : ٥) ... إن خطية الإنسان الأولى كانت محاولة الحصول على المعرفة بعيداً عن الله .

والمؤمن الحقيقى لا يكتفى بالاعتماد على الله بل يسلّمه كل شىء، لأن معرفة الإنسان جهالة عند الله (١ كو ١ : ٢٠) ... والمعرفة الحقيقية هى من عند الله «المُدَّخرَ فيه كل كنوز الحكمة والعلم» (كو ٢ : ٣) ... **إن حياة التسليم تعنى اعتراف الإنسان بعدم معرفته.**

وحياة التسليم لا تعرف الشكوى والتذمر بل تقبل كل شىء برضى وفرح وشكر. ومَن يحيا حياة التسليم لا يخضع لمشيئة الله فى تغصّب واضطرار وحزن، بل انه من أعماقه يهتف برضى: «لتكن مشيئتك»، لأن ما أبعد احكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء (رو ١١ : ٣٣).

ونسوق بعض أمثلة لرجال الله الذين عاشوا حياة التسليم الكامل.

نوح لما أمره الله أن يصنع فلكاً لأنه آتٍ بطوفان الماء على الأرض ليهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما فى الأرض يموت (تك ٦ : ١٧)، أطاع نوح وفعل حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل (تك ٦ : ٢٢) ... فى تسليم كامل بنى الفلك عن أمر لا يرى له أثراً أمامه (عب ١١ : ٧).

وإبراهيم لما دعاه الله أن يخرج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه إلى الأرض التى يريه إياها (تك ١٢ : ١) لم يعترض بل أطاع فى تسليم كامل «وخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب» (عب ١١ : ٨) ... **ومرة ثانية حينما امره الله أن يقدم ابنه وحيده اسحق ذبيحة** أطاع فى تسليم كامل رغم أن الله وعده انه باسحق هذا يدعى له نسل «بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرّب. قدم الذى قبل المواعيد وحيده، الذى قيل له إنه باسحق يدعى لك نسل» (عب ١١ : ١٧، ١٨) ... **وإبراهيم لما أرسل عبده لعازر الدمشقى ليأخذ زوجة لابنه إسحق** قال له: «الرب إله السماء الذى أخذنى من بيت أبى ومن أرض ميلادى والذى كلمنى والذى أقسم لى قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض، هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابنى من هناك (تك ٢٤ : ٧).

وموسى فى عبوره وشعب الله البحر الأحمر سلك فى طاعة كاملة لله فى أمر خارق للطبيعة، إذ كيف يتحول الماء إلى يابس (خر ١٤) ... **ورحلة شعب الله فى**

البرية مدة أربعين سنة مثال لحياة التسليم فلم يفكروا إلى أين هم ذاهبون، أو ماذا يأكلون وكيف يشربون، وماذا سيلبسون فى هذه الرحلة الطويلة !!

والعذراء الطاهرة مريم مثال لحياة الطاعة والتسليم . فمع كل محبتها لحياة البتولية قبلت أن تخطب لرجل هو يوسف وتعيش معه فى بيت واحد... وحين بشرها الملاك بالحبل الإلهى قالت فى تسليم : « ليكن لى كقولك » (لو ١ : ٣٨) .

والتسليم والطاعة يظهران فى حياة رسل المسيح وتلاميذه ... فلاوى الجالس عند مكان الجباية حينما قال له السيد المسيح « اتبعنى »، قام وتبعه (مر ٢ : ١٤ ؛ لو ٥ : ٢٧)... ويلخص بطرس الرسول كل هذه القصص بقوله للرب : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا » (مت ١٩ : ٢٧ ؛ لو ١٨ : ٢٨) .

ومن أمثلة حياة التسليم يوسف الصديق الذى - رغم الأحلام وكل ما صادفه من شدائد - لم يشك بل كان يسلّم لله .

ومن أمثلة حياة التسليم داود الذى كان يرعى غنم أبيه ، وأرسل الله صموئيل ومسحه ملكاً، لكنه لم يُسلّمه من المُلك شيئاً . وبقى يرعى الغنم دون تذمر. ثم اختير خادماً لشاول الملك المرفوض من الله الذى كان يبغته روح رديء من قبل الرب (١صم ١٦ : ١٤)... لم يحتج داود ولم يقل أنا الملك المختار من الله، كيف اخدم هذا المرفوض. بل فى تسليم كامل قبل الوضع . وكان يهدىء شاول الملك حينما تبغته الأرواح الشريرة... وظل شاول يطارد داود من برية إلى برية يحاول قتله حسداً وغيرة . ولم يحدث أن داود اعترض على الله، ولم يقل له مثلاً ماذا فعلت من شر حتى استحق كل هذا، بل انتظر فى هدوء خلاص الرب... لقد كان لله حكمة فى كل ذلك . فلقد كان داود صبياً حين اختياره ومسحه ملكاً . وكان الانتظار نافعاً له حتى يكبر وينضج ويزداد الناس حباً له يوماً بعد يوم .

إن حياة التسليم الكامل - بدون أدنى مبالغة - هى حياة الكمال المسيحى ... ففيها يكون الله هو العامل بالإنسان وفيه... وهذا ما يعينه الرسول بولس بقوله : « مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ . فما أحياه الآن فى الجسد، فإنما أحياه فى الإيمان - إيمان ابن الله الذى أحبنى واسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ٢٠)... فى هذه

الحالة لا يتمم الإنسان مشيئته بل يصبح آلة برّ يتمم بها الله مشيئته تشبهاً برب المجد الذى قال : « نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٦ : ٣٨).

٢ ـ حياة السلام والفرح

السلام يصاحب الإيمان . فالشخص الذى يحسّ انه وحده يخاف ، أما مَن يؤمن أن الله معه فلا يخاف « إن حاربنى جيش فلا يخاف قلبى » (مز ٢٧ : ٣) ... « إن سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى » (مز ٢٣ : ٤).

إن السلام والفرح هما ثمرتان حلوتان من ثمار الإيمان ... يقول القديس بولس لأهل رومية : « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون » (رو ٥ : ١ ، ٢) ... و يقول القديس بطرس « يسوع المسيح الذى وان لم تروه تحبونه . ذلك وان كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به ، فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٧ ، ٨)... وحافظ السجن فى فيلبى بعد أن آمن واعتمد على يد بولس وسيلا « أصعدهما إلى بيته وقدّم لهما مائدة ، وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله » (أع ١٦ : ٣٤ط .

فى صلاة الشكر التى نتلوها فى صلواتنا الفردية والكنسية ، نذكر ثلاث صفات لله : فهو صانع خيرات ، وهو ضابط الكل أى كلّى القدرة ، وهو محب للبشر... إن الإيمان بالله وبصفاته هذه يمنحنا سلاماً وفرحاً ...

إيماننا بأن الله صانع خيرات معناه أنه لا يستطيع أن يصنع إلاّ خيراً ، ولا يمكن أن يصنع شراً بأحدٍ ، لأن الشر لا يتفق وطبيعته ... ثم هو يريد أن يصنع بك خيراً لأنه محب للبشر . وهو قادر على ذلك لأنه قادر على كل شىء . وغير المستطاع عند الناس مستطاع عنده ... إذا آمنت بهذا حقاً عشت مطمئناً ، واثقاً من أن الله سوف يدبرّ لك كل ما هو صالح ونافع . وسوف لا يلحق بك إلاّ ما هو مفيد ونافع لك . عندئذ يملك

السلام على قلبك ، ويزول منك القلق ، ويغمرك فرح عظيم ، لأنك واثق بمن بيده حياتك .

أما ان وقعت فى القلق والخوف ، فاعلم أن إيمانك ليس راسخاً . ومن ضعف إيمانك تخاف كما خاف بطرس وهو يمشى على الماء بأمر السيد المسيح . وحينما أحس بقدميه تغوصان فى الماء صرخ : « يارب نجنى » . فمد الرب يسوع يده وأمسك به وقال له : « يا قليل الايمان لماذا شككت » (مت ١٤ : ٣٠ ، ٣١) .

وإذا قلت إنك لا تخاف الله إنما تخاف الشياطين والأرواح الشريرة وشرورها ، فاعلم يقيناً أن هذه مجرد مخلوقات خاضعة لله ، ولا يمكن أن تصنع شيئاً إلاَّ فى حدود ما يسمح به الله. وهذا واضح من قصة أيوب وتجربته (أى ١ ، ٢) .

ومن أمثلة السلام وعدم الخوف لقاء داود مع جليات ... يقول داود : « مَن هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعيّر صفوف الله الحىّ ... لا يسقط قلب أحد بسببه » . وقال داود لجليات : « أنت تأتى إلىَّ بسيف ورمح وبتُرس . وأنا آتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم . هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى فأقتلك واقطع رأسك ، وأعطى جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض . فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل . وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلّص الرب لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥ - ٤٧) .

ومن أمثلة السلام وعدم الخوف لقاء إيليا بآخاب ملك إسرائيل . فبعد أن أغلق إيليا السماء بصلاته فلم يسقط مطر ولا طلّ على الأرض مدة ثلاث سنين ونصف ، أمر الرب إيليا أن يذهب ويتراءى لآخاب حتى يعطى مطراً على الأرض ... وما أن التقى آخاب بإيليا حتى قال له : « أأنت هو مكدّر إسرائيل . فقال لم اكدّر إسرائيل ، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم » (١ مل ١٧ ، ١٨) ... لنتأمل ثبات إيليا وعدم خوفه من الملك نتيجة السلام الذى يغمر قلبه نتيجة إيمانه بالله الذى كان يحسّ دائماً انه واقف أمامه ...

ومن أمثلة السلام الثلاثة فتية الذين أمر بنوخذنصر ملك بابل بإلقائهم فى أتون نار مُحمّى سبعة أضعاف ... كان تحدّى الملك لهم بقوله: « مَن هو الإله الذى ينقذكم من يدىَّ » ... أما الثلاثة فتية فكان ردهم على هذا الكلام: « هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن يُنَجّينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك » (دا ٣ : ١٥ : ١٧).

ومن أمثلة عدم الخوف والسلام نتيجة الإيمان، دانيال الذى القاه الملك فى جب الأسود. ولما ذهب الملك فى صباح اليوم التالى ليرى ماذا حدث لدانيال وناداه بصوت اسيف، كان جواب دانيال: « أيها الملك عش إلى الأبد. إلهى أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود فلم تضرّنى لأنى وُجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً أيها الملك لم أفعل ذنباً » (دا ٦ : ٢١، ٢٢).

ومن أمثلة السلام أيضاً نتيجة الإيمان، القديس بطرس الرسول فى السجن ... كان هيرودس مزمعاً أن يقتله فى اليوم التالى، أما بطرس فكان فى تلك الليلة « نائماً بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين » ... وهذا موقف يدل على نفس مملوءة من السلام ولا أثر للخوف فيها. أما بقية القصة فنحن نعلمها، وكيف أخرج ملاك الرب بطرس من السجن: ايقظه فسقطت السلسلتان من يديه وسار خلف الملاك وإذا بباب السجن ينفتح لهما من ذاته (أع ١٢).

٣ ـ الرضـا والشـكر:

الإنسان المؤمن يعيش فى رضى. هو راضٍ دائماً بحالته التى سمح الله له أن يوجد فيها، لأنه مؤمن بأنه لا توجد حالة أخرى أصلح له مما هو فيه ... لأنه لو كانت توجد حالة أفضل لكان الله ـ كصانع للخيرات وعالم بكل شىء ـ قد نقله إليها. لأن الله الذى قال على فم يعقوب الرسول: « مَن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٧)، ألاّ يُنفذ هو هذه الوصية على ذاته الإلهية؟!

ورجل الإيمان يعرف أيضاً أن الله كحكيم، إن أراد أن ينقله إلى حالة أفضل، يختار لذلك الوقت المناسب الذى يعرفه هو بالأكثر، ويختار الظروف المناسبة لصالحه ... ولذا فإنه يعيش فى رضى بحاله، إيماناً منه بمحبة الله وحكمته. وهو

لذلك يشكر الله دائماً على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال . و يتطور به الشكر حتى لا يصبح مجرد ألفاظ فى الصلاة ، وإنما هو شعور دائم فى القلب يفيض فرحاً وسعادة كل حين .

٤ ـ التغلّب على الصعاب :

الإنسان المؤمن لا يوجد شىء يقف أمامه ، ولا توجد صعوبة مهما بلغت تحول دونه وبلوغ ما يريده ، وهو لابد وأن يكون أمراً صالحاً ... الإيمان يصنع المعجزات ، ويجترح الآيات ... إنه ينتصر على قوى الشر « إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) ... و يكتب يوحنا فى رسالته الأولى عبارة جامعة عن قوة الإيمان ، يقول : « وهذه هى الغَلَبَة التى تغلب العالم إيماننا . مَن هو الذى يغلب العالم إلاّ الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (١ يو ٥ : ٤ ، ٥) . وغلبة العالم هنا تشير إلى النصرة فى كل شىء ، وعلى كل شىء ... إن هذا الكلام ـ كما ينطبق على الأفراد ينطبع أيضاً على الكنيسة التى ثبتت بإيمانهم إزاء كل المحاولات الغاشمة لتحطيمها ومحو الإيمان المسيحى .

مُشَجّعات الإيمان ومَعوّقاته :

الايمان كأى فضيلة ينمو و يقوى و يتدرج ، كما انه يضعف أحياناً و ينحلّ . له مقوّيات ومشجعات ، كما ان له أيضاً أسباباً تضعفه ، علماً ان لكل إنسان فى كل مرحلة من مراحل حياته درجة إيمان خاصة ...

أولاً ـ مشجعات الإيمان :

من مشجعات الإيمان المعرفة والبساطة والقراءة عن عجائب الله فى قديسيه ، والجرأة (الشجاعة) والصلاة ...

أ ـ المعـــرفة :

يقول مار إسحق إن هناك نوعين من المعرفة . إحداهما تسبق الإيمان ، والأخرى

تأتى نتيجة له... فالإنسان بحسب معرفته وصفاته وقدرته العقلية يؤمن بالله و يتكل عليه. وإذ يدخل فى حياة الإيمان العملية، وتمرّ عليه تجارب وخبرات، وهو ثابت يرى معونة الله له فى الضيقات والأحزان المتنوعة، حينئذ يكتسب من خبرات إيمانه لوناً آخر من المعرفة العملية غير تلك المعرفة النظرية التى بدأ بها... وهذه المعرفة الأخيرة أقوى وأثبت. وهى تشجّعه وتنمّيه أكثر فى الإيمان. وهكذا كلما تزداد معرفته العملية يزداد إيمانه. وكلما يزداد إيمانه يُلقى بنفسه فى أمور أعلى، وخبرات أصعب، تزداد بها معرفته، و يزداد بها إيمانه أيضاً.

ب - البســـــاطة :

وإذا كانت المعرفة من مشجعات الإيمان، فالبساطة أيضاً تشجعه. ولا تعارض هنا بين المعرفة والبساطة. فالمعرفة الإيمانية لا تتنافى مع البساطة، بل هى أيضاً بسيطة... ونقصد بالبساطة هنا بساطة الإيمان فى بعده عن شكوك العقل ودوام تساؤله: لماذا وكيف؟!... فرجل الله الذى فى بساطة يؤمن أن الله قادر على كل شىء، لا يسمح للحكمة البشرية - التى هى جهالة عن الله - أن تضعف إيمانه. فالله فوق هذه الحكمة، وفوق كل علم بشرى، و يستطيع ان يعمل أشياء كثيرة تفوق العقل. فكيف نجعل هذا العقل المحدود حاجزاً أمام الإيمان بها؟!

جـ - القراءة عن عجائب الله فى قديسيه :

مثل هذه القراءة تقوى الإنسان وتشجعه، وتلهب قلبه بالإيمان حتى يتكل على الله ويثق به. وعلى الإنسان فى كل أمر يمرّ به أن يتلّمس يد الله فيه. ربما حدث أمر واحد لشخصين. أحدهما يحلله عقلياً محاولاً أن يرجعه إلى أسباب طبيعية أو شخصية أو نتائج منطقية أو محض الصدفة. مثل هذا الإنسان لا يستفيد من هذا الأمر روحياً. أما الشخص الثانى فيأخذ الأمر من الناحية الإيمانية و يرجعه إلى عمل النعمة فيه. وهكذا يزداد إيمانه.

و- الجرأة والشجاعة :

هناك أمور إيمانية تحتاج إلى شجاعة وجسارة قلب . ونقصد بها جسارة القلب المبنية على الثقة بالله وتصديق مواعيده ... الرجل الخائف يجبن على الدخول فيها ، فيظل إيمانه على ضعفه . و يظل واقفاً على شاطىء البحر الأحمر خائفاً من أن يضع قدمه فى الماء لئلا يغرق . وإنسان آخر لا يخاف فيلقى بنفسه فى الأمور الصعبة - فى إيمان - فيكتسب إيماناً جديداً عملياً . وهكذا «فإن مَن له سيعطى و يزاد» (مت ١٣ : ١٢) . لكن الله لا يترك ضعاف الإيمان فى ضعفهم ، بل يُدَرِّجهم فى هذا السبيل . إن كانوا لا يستطيعون الاتكال عليه فى الأمور الخطرة ، ولا حتى فى الأمور الصعبة ، فإنه يبدأ معهم بأمور سهلة .

هـ- الصـــــلاة :

اشرنا ونحن نتكلم عن علاقة الإيمان بالحياة الروحية - أشرنا إلى الصلاة... **ونضيف إلى ما قلناه هنا ، إنه قد يضعف إيمان الإنسان ، فإما أن يتراخى فيخسر اكليله ، وإما أن يشعر بضعفه فتنسحق نفسه فى داخله و يطلب من الله المعونة .** وكما يقول مار إسحق : [إذا اتضع الإنسان ففى الحال تحيط به النعمة ، فيحسّ القلب بالمعونة الإلهية ، ويمتلىء القلب بالإيمان] ... لذلك يجب على الإنسان أن يطلب من الله باستمرار أن يعطيه إيماناً ، وأن يقوى هذا الإيمان ، لأن الإيمان قبل كل شىء هو هبة من الله ، وليس عملاً بشرياً «لا يقدر أحد أن يُقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى» (يو ٦ : ٤٤) ... كذلك فى كل عمل تعمله ابدأ بالصلاة ، حتى إذا ما اعانك الله واتممته تفرح بمعونة الله و يزداد إيمانك به . أما إذا عملت عملاً بدون صلاة ونجحت فيه ، فقد تنسب نجاحك إلى مجهودك الخاص أو إلى أسباب خارجية أخرى ، فتخسر إيمانياً بتجاهلك معونة الله التى كانت معك دون أن تدرى .

ثانياً - معوّقات الإيمان :

هناك ثلاثة معوّقات أساسية تعوق الإيمان ونموه : الأخذ بالمعرفة الطبيعية وحدها ، والخوف ، ثم الشك .

أ ـ الأخذ بالمعرفة الطبيعية وحدها :

الأخذ بالمعرفة الطبيعية وحدها يعطل الإيمان ... هناك مثلاً قوانين فى الطبيعة مثل عدم امكان المشى فى الماء أو نقل الجبال أو انتهار الريح والأمواج لتهدأ أو اقامة الموتى بكلمة ... أما الإيمان فلا يخضع لمثل هذه القوانين الطبيعية . وتمسّك الإنسان بها يعطّل عملَ الإيمان الذى يستطيع كل شىء ... « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

والمعرفة الطبيعية بالاضافة إلى كونها لا تسلّم بالمعجزات ، فهىَ تنشىء خوفاً فى النفس ، والخوف لا يدع مجالاً للإيمان ...

فى معجزة إقامة لعازر من الموت ، تقول مرثا للسيد المسيح حينما احسّت انه ينوى اقامته من القبر : « يا سيد قد انتن لأنه له أربعة أيام » ... أى لا فائدة . ربما لو اتيت عقب الوفاة مباشرة لكان هناك شبه احتمال لإقامته من الموت ... أما جواب المسيح عليها فكان : « ألم أقل لكِ إن آمنتِ ترين مجد الله » (يو ١١ : ٣٩ ، ٤٠) ... وبالفعل قام لعازر...

وبطرس الرسول مشى على الماء ، وهدأ البحر والريح بكلمة ...

معلوم أن الحيات والعقارب مؤذية جداً بل مميتة ، لكن الإيمان يبطل مفعول أذاها « ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شىء » (لو ١٠ : ١٩) ... العلم يقول إن السّم مميت ، لكن الإيمان يبطل مفعوله « هذه الآيات تتبع المؤمنين ... يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرّهم » (مر ١٦ : ١٧ ، ١٨) . **وكم من معجزات تجرى حتى الآن وكل يوم بفعل الإيمان ... للعلم دائرة خاصة لها قوانينها . والإيمان له دائرة أخرى لا تخضع لمنطق العلم أو قوانينه ...**

ب ـ الخـــــــــوف :

الخوف يقف ضد الإيمان الذى **يستند إلى قوة الله ذاته ومواعيده** ... لقد قدّم إبراهيم ابنهُ إسحق ذبيحة « إذ حسب ان الله قادر على الاقامة من الأموات » (عب ١١ : ١٩) ... **والثلاثة فتية الذين القاهم نبوخذنصر فى أتون النار ببابل** ، ارتفعوا

فوق الخوف ، وقالوا للملك : « يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن الأمر. هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة ، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك » (دا ٣ : ١٦ ، ١٧) ... **وهكذا دانيال الذى لم تُؤذه الأسود فى الجب بما هو خارج عن مألوف طبيعتها** « فأصعد دانيال من الجب ، ولم يوجد به ضرر لأنه آمن بإلهه » (دا ٦ : ٢٣) ...

ويشير يوحنا فى رؤياه إلى قائمة الذين لا نصيب لهم فى مُلك المسيح الأبدى ، فيقول : « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » (رؤ ٢١ : ٨) ... ونلاحظ أن الخائفين وضعوا على رأس هذه القائمة قبل القتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان !!

جـ ـ الشـــــك :

هو عائق شديد ضد الإيمان ... انه خطية موجهة ضد الله مباشرة. لأنه ـ أى الشك ـ عدم تصديق لوعود الله ... فبطرس الذى مشى على الماء بكلمة المسيح ، لما رأى الريح شديدة اعتراه الخوف فابتدأ يغرق . فقال له السيد المسيح : « يا قليل الإيمان لماذا شككت » (مت ١٤ : ٢٨ ـ ٣١) ... **ويجب أن نلاحظ هنا أن الخوف جاء نتيجة الشك ...**

يقول يعقوب الرسول : « لكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر ، تخبطه الريح وتدفعه . فلا يظن ذلك الإنسان انه ينال شيئاً من عند الرب » (يع ١ : ٦ ، ٧) ...

ويقول رب المجد يسوع المسيح : « لأنى الحق أقول لكم إن مَن قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ، ولا يشك فى قلبه ، بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » (مر ١١ : ٢٣) .

الإيمان فى معجزات السيد المسيح

- معنى المعجزة ـ اعتراضات ضد المعجزات .
- الشـــيطان والمعجـــــــزات .
- كيف نميّز بين المعجزة والضلالة ـ السحر وتحضير الأرواح .
- المؤمنون والسحر والسحرة .
- الإيمان فى معجزات السيد المسيح :

+ شفاء المفلوج .
+ تفتيح عينى بارتيماوس .
+ شفاء غلام قائد المائة .
+ شفاء نازفة الدم .
+ شفاء ابنة الكنعانية .

- قصص عن معجزات معاصرة .

قبل أن نتناول بالكلام موضوع الإيمان فى معجزات السيد المسيح ، نراه لزاماً علينا أن نتوقف بعض الشىء لنتكلم عن المعجزة ما هيتها ، والفرق بين المعجزة الإلهية وضلالات الشياطين ، الأمر الذى يقودنا إلى الكلام عن السحر وتحضير الأرواح . ثم نناقش موضوعاً كثر فيه الجدل عن المعجزات الإلهية وهل كانت قاصرة على الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية وتوقفت بعد ذلك . وما الحكم فى المعجزات التى تحدث الآن بشفاعات القديسين .

معنى المعجزة :

المعجزة هى الأعجوبة التى تثير الدهشة ، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها ... وهناك ثلاث كلمات ترادف معنى المعجزات فى كتاب العهد الجديد وهى « العجائب والقوات والآيات » ... يقول الرسول بطرس وهو يتحدث عن برهان رسالة المسيح : « يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده » (أع ٢ : ٢٢) ... وفيما يتحدث القديس بولس الرسول عن قانونية رسوليته يقول : « إن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صَبْرٍ بآيات وعجائب وقوات » (٢ كو ١٢ : ١٢) ... ونلاحظ أن الدهشة التى تثيرها المعجزة ليست هى المقصودة لذاتها ، بل المقصود انها العلامة التى تشهد عن حضور الله ووجوده ، وتدخله فى صنع المعجزة . وهى لا تتم إلاَّ بالقوة الخارقة الإلهية ، القوة التى لا يمكن أن تكون من صنع البشر أو من حيلة الإنسان ... ونلخص هذا الكلام بالقول إن المعجزة هى ذلك الحادث الإلهى الذى يصنعه الله مباشرة ، أو عن طريق واحد من أنبيائه أو رسله أو قديسيه بكيفية تعلو وترتفع وتسمو على كل نظام أو ترتيب أو مقدرة بشرية . وان هذا الحادث لا يمكن أن يكون المقصود به اللهو أو اثارة الفضول ، لأن الله له حكمة سامية فى كل معجزة يجريها .

إذن فالمعجزة هى كل تدخل خارق للعادة ونادر وغير مألوف . وقد تستخدم فيه وسائل طبيعية . لكن هذه الوسائل ما كانت لتأتى بأى نتيجة باهرة لولا تدخل الله الفعلى . والقصد من المعجزة إما تثبيت وتقوية الشهادة للدين أو الاغاثة

والمساعدة والانقاذ التى تعزّ فيها الوسائل العادية الطبيعية ...

وكتاب العهد القديم يقدم لنا عينات من المعجزات الإلهية مثل معجزات الضربات العشر على يد موسى النبى فى مصر، وعبور البحر الأحمر، وإعالة الشعب مدة أربعين عاماً فى البرية، ووقوف الشمس والقمر بكلمة يشوع خليفة موسى وتلميذه، واقامة ابن أرملة صرفة صيداء على يد إيليا النبى، وابن المرأة الشونمية على يد اليشع النبى، وضرب مائة وخمسة وثمانين ألفاً من جنود ملك آشور فى ليلة واحدة. وعدم احتراق الثلاثة فتية فى أتون نار بابل، وكذا عدم مساس الأسود لدانيال النبى فى الجب الذى القى فيه... أما عن العهد الجديد فهو ملىء بالمعجزات التى صنعها السيد المسيح ورسله وتلاميذه، وهو ما سنتحدث عن بعضها فيما بعد.

اعتراضات ضد المعجزات :

ومن الناس مَن لا يؤمن بالمعجزات على الاطلاق، إما لعدم إيمانه أساساً بوجود إله وهؤلاء هم الملحدون... والبعض لا يؤمنون لأنهم يعتقدون أن الله لا يمكن أن يغيّر نواميسه الطبيعية التى وضعها لسياسة الكون وخلائقه، بل انه يحترمها لأنه مبدعها وواضعها، ولذا فهى تسير سيرها المحتوم على الدوام... وهناك مَن يؤمن بالمعجزات كأمور حدثت فى الماضى ودونت فى الكتاب المقدس لإثبات تدخل الله وسيطرته على الكون وتأييد الحق الإلهى المعلن، وانها انتهت بثبات هذا الحق ووضوحه ورسوخ المسيحية فى العالم. وهى بذلك لا يمكن أن تتكرر مادامت قد أدت غرضها وغايتها. ومعنى هذا الكلام أن عصر المعجزات قد ولىّ وانتهى... بينما يوجد مَن يؤكد أن المعجزات حق، وانها ماتزال قائمة حتى الآن وان رسالتها فى الشهادة لله ووجوده وقوته لم تنتهِ بعد، وانه ليس فى الكتاب ما يقطع بأنها كانت هناك لفترة معينة أو زمن محدود.

ونعرض الآن للرد على هذه الآراء ...

أولاً - بالنسبة للملحدين، فنحن لا نحتاج لاثبات وجود الله فى هذا البحث لأنه ليس موضوع دراستنا، فضلاً عن ان اليقين بوجود الله اثبت وأقوى من أى زعم يتخيله أو يتوهمه هؤلاء الملاحدة...

ثانياً - أما عن الزعم بأنه لا يليق بالله أن يتدخل فى النواميس الثابتة التى أبدعها ونظمها، فهو زعم لا يليق. لأن معنى ذلك أن هذا الناموس قد غدا بمثابة إله آخر معادل لله ومستقل عنه، لا يخضع لأى اشراف ويعلو عن كل رقابة، ولا يجوز التدخل فى سيره... كما أن هذا الزعم معناه أن الله وضع الناموس ليقف منه موقف المتفرج أو العاجز عن أن يصنع إزاءه أمراً أو شيئاً. ومثل ذلك كمثل مهندس يصنع آلة ضخمة، وبعد أن حركها، وقف أمامها يتطلع إلى حركتها دون أن يملك القدرة على ايقافها أو حتى الاقلال من حركتها أو زيادتها، لغرض معين!!

وثمة أمر آخر فى غاية الأهمية، **وهو ان الناموس المادى هو أحد النواميس التى أبدعها الله، وليس هو الناموس الوحيد... فمثلاً يوجد الناموس الادبى، الذى يختص بالأخلاقيات وسلوكيات البشر سواء فى حياتهم الخاصة أو فى التعامل بينهم وبين بعضهم. هذا الناموس الأدبى اسمى وأعظم عند الله من الناموس المادى، بقدر ما تسمو الروحيات والأدبيات عن الماديات. وقد تدخل الله فى شتى العصور والأجيال لإصلاح ما طرأ على هذا الناموس الأدبى**... وليس أدل على ذلك من قول المسيح لليهود بعد معجزة شفاء مريض بيت حسدا فى يوم سبت: «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥: ١٧). وكانت كلماته هذه موجهة لليهود الذين اتهموه بكسر وصية حفظ السبت وهى إحدى وصايا الناموس الأدبى...

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ماذا يمكن أن يقال عن الاختراعات العلمية الجبارة التى وصل إليها العقل الحديث والتى تشبه المعجزات... فمثلاً إرسال صواريخ إلى القمر خارج نطاق الجاذبية الأرضية، ومشى الإنسان فى منطقة انعدام الوزن، ثم استعادة هذه الصواريخ فى الوقت الذى أرادوه والمكان الذى حددوه... **هل يمكن أن يقال فى هذه الحالات أن قانون أو ناموس الجاذبية الأرضية قد تحطم ؟!**... وثمة مثل آخر نوضح به ما نقول... إذا امسكنا قطعة صغيرة من الحديد وتركناها من بين أصابعنا، فإنها تسقط إلى أسفل بتأثير الجاذبية الأرضية. لكن لو قربنا من قطعة الحديد هذه مغناطيسياً قوياً من أعلى لانجذبت إليه إلى أعلا بما يخالف الجاذبية الأرضية...

فإذا كانت الإرادة البشرية بقدراتها تستطيع أن تعلو على الناموس المادى الطبيعى، أفلا يملك الله بإرادته وقدرته الكاملة غير المحدودة أن تعلو أو تسود على أى ناموس معروف أو غير معروف؟!... إن أية معجزة بالنسبة لله هى السيطرة البسيطة العادية على أى ناموس. والأمر كله يتعلق فى الفرق بين حكمة الإنسان وقدرته وحكمة الله وقدرته. إذ ما يعتبره الإنسان خارقاً إنما هو بالنسبة لمجال حكمته وقدرته، على العكس من الحكمة الإلهية وقدرتها بالنسبة لها هو يسير عادى وبسيط... **والخلاصة انه ليس ثمة تناقض أو تحطيم للنواميس فى صنع المعجزات، بل هو علو عليها أو تسخيرها بيد مَن يملك أمرنا وأمرها...**

ثالثاً - أما عن الاعتراض الثالث الذى يزعم أن عصر المعجزات كان قاصراً على الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية من أجل اثباتها وانتشارها، نقول انه لا يوجد فى الكتاب المقدس وبخاصة العهد الجديد نص يحدد زمناً للمعجزات، بل على النقيض من ذلك يقول السيد المسيح لتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. مَن آمن واعتمد يخلص، ومَن لم يؤمن يُدَنْ. **وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم. ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون»** (مر ١٦: ١٥- ١٨)... **وتاريخ الكنيسة بعد عصر الرسل وحتى الآن حافل بالمعجزات التى أجراها الله على أيدى قديسيه وابراره فى كل العصور...** وعلى ذلك نقول إن المعجزات باقية ما بقى على الأرض إنسان أو مؤمن إذ انها من جانب الله لمعونة الإنسان وانقاذه من شدائد، وتقويته وتشجيعه، فضلاً عن انها تحمل الشهادة لله وانه مازال يعتنى بخليقته تحقيقاً لمواعيده... وستبقى المعجزات ما بقى الإنسان بحاجة إليها، وهو بالفعل كذلك...

مَن ذا الذى يتردد فى الاعتراف إن هناك معجزات لا تعد ولا تحصى تجرى كل يوم، كمعجزات الشفاء التى تحدث بعد أن يفشل الأطباء فى شفاء أمراض مستعصية تحقيقاً للوعد ان غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله... وليس معجزات الشفاء هى الوحيدة التى يتمجد الله بها، بل هناك معجزاته مع شعبه ككنيسة التى نلمسها حتى اليوم... إن هذا دليل لا يدع مجالاً للشك إن إله

المعجزات مايزال يعمل إلى اليوم كما كان يعمل فى العهد القديم وفى فجر المسيحية على حد سواء، إذ هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ... وما يقوله القديس بولس الرسول: «استطيع كل شيء فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فى ٤: ١٣)، لا يختص ببولس وحده، بل بكل مَن يؤمن لأنه كما قال المسيح: «كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣).

الشياطين والمعجزات:

من المهم فى هذا الصدد أن نقول انه يخرج عن دائرة المعجزات كل ما يمكن أن يصنعه الإنسان عن طريق الحيلة أو الايحاء أو اساليب التنويم المغناطيسى أوتحضير الأرواح الأمور التى سنشير إليها فيما بعد. فأساس المعجزة يبدأ من حيث تتوقف كل قدرة بشرية على الاطلاق... والسؤال الآن هل يستطيع الشيطان أن يصنع عجائب ومعجزات؟

الشيطان باعتباره ملاك ساقط، فى قدرته أن يصنع عجائب. وقد حدث ذلك مراراً عديدة مقابل معجزات الله الحقيقية، من أجل اظهار قوته... لكن النصرة فى النهاية لله وقوته. ولدينا مثل واضح على صدق هذا الكلام فى المعجزات التى أجراها الله على يد موسى فى الضربات العشر. لكن السحرة المصريين فعلوا بسحرهم على نحو ما فعل موسى وهارون. لكن ماذا كانت النتيجة فى النهاية؟ فى الضربة الأولى، طرح السحرة عصيهم فصارت ثعابين «لكن عصا هارون ابتلعت عصيهم» (خر ٧: ١٢) وفى الضربة الثانية وهى تحويل الماء إلى دم «فعل عرّافو مصر كذلك بسحرهم» (خر ٧: ٢٢)... وفى الضربة الثالثة وهى ضربة الضفادع «فعل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا الضفادع على أرض مصر» (خر ٨: ٧)... وفى الضربة الرابعة الخاصة بالبعوض توقف السحرة واعلنوا عجزهم وقالوا لفرعون: «هذا اصبع الله» (خر ٨: ١٩)... كانت هذه هى النتيجة، عجز السحرة أمام قوة الله واعترافهم بذلك.

وما نود أن نوضحه هو أن الشيطان من حيث طبيعته، فى قدرته أن يصنع عجائب تدهش الناس... هذا ما يقوله الرب بلسان موسى النبى لبنى إسرائيل:

« إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلماً **واعطاك آية أو اعجوبة . ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلّمك عنها** قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونَعْبُدها ، فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » (تث ١٣ : ١ - ٣) .

كما قال السيد المسيح : « **كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة .** فحينئذ اصرّح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) ... وقال : « **لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً** » (مت ٢٤ : ٢٤) .

ويتحدث القديس بولس الرسول عن إنسان الخطية « **الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وآيات وعجائب كاذبة** » (٢ تس ٢ : ٩) ... ويتحدث يوحنا فى سفر الرؤيا عن الوحش قائلاً : « **ويصنع آيات عظيمة حتى انه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس . ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التى أعطى ان يصنعها** » (رؤ ١٣ : ١٣ ، ١٤) . وعن النبى الكذاب يقول : « فقُبض على الوحش والنبى الكذاب معه ، **الصانع قدامه الآيات التى بها أضلّ الذين قبلوا سمة الوحش** ، والذين سجدوا لصورته » (رؤ ١٩ : ٢٠) .

كيف نفرّق بين المعجزة والضلالة ؟

إذا كانت هناك ضلالات وخداعات من الشيطان ، فكيف نفرّق ونميزّ بين المعجزة والضلالة ؟ يجب دراسة الأمر الخارق الذى يحدث من ثلاثة جوانب : صانع الأعجوبة ، والوسيلة التى تمت بها ، ثم هدفها ...

من جهة صانع الأعجوبة يجب أن تكون حياته مقدسة ويحيا حياة تقوية ، فإذا كان شريراً اثيماً فهو كاذب وآلة فى يد الشيطان ، وعمله لا يمكن أن يصدر بحال من الأحوال عن شخص الله القدوس ... هذا والوسيلة المستخدمة فى اجراء هذه الأعجوبة تنبىء أيضاً وتكشف عن طبيعتها . فالسحر أو العرافة أو التعاويذ أو تحضير الأرواح وما إلى ذلك ليس إلاّ وسائل شيطانية ولا يمكن أن

تكون صادرة عن إرادة الله أو قداسته ... ولدينا الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ولدينا سير القديسين والأبرار المعترف بقداستهم. ومنها نستطيع أن نميز **كيف أجرى الله على ايديهم المعجزات والعجائب وهى لا تخرج عن الصلاة التى نعرفها جميعاً، أو بكلمة تخرج من فم القديس ... أخيراً فإن هدف الأعجوبة أو الغاية المقصودة منها تكشف إلى حد كبير هل هى من الله أم من الشيطان. فالمعجزات والعجائب والآيات لا يمكن أن يكون القصد منها ابهار الناس ولا شيء غير ذلك ... كل ما يبعد الإنسان عن الله أو الحياة المقدسة فلا يمكن أن يكون صادراً عنه. وكل ما يقود إلى الخرافات والضلالات والتسليات لا يمكن أن يكون صادراً عن الله ... هل يمكن أن الله الحكيم يجرى معجزة أو أعجوبة بدون هدف مقدس ... قطعاً لا. المعجزة إما أن يجريها الله من أجل تمجيد اسمه أو تشديد إيمان الناس أو رفع معاناتهم من الأمراض والمصائب وما إليها** ... ما أكثر الضلالات التى ظهرت وتظهر فى أيامنا هذه، وللأسف يصدقها لا بسطاء الناس والسُذَّج بل حتى المثقفون ... لذا أرى كتكملة للموضوع أن نتكلم باختصار عن السحر وتحضير الأرواح مع سرد قصص من التاريخ القديم وقصص معاصرة ...

السحر وتحضير الأرواح :

هل السحر شيء حقيقى وموجود ؟ الإجابة : نعم ... لكن بادىء ذى بدء يجب أن نفرق بين السحر والدَّجَلْ. فكثيرون من الدجالين يدّعون انهم سحرة. لكن هؤلاء الدجالين يعتمدون على الدهاء وينتهزون فرصة سذاجة بعض الناس والضوائق التى يكابدونها ويوقعونهم فى حبائلهم ... **والسحر الحقيقى هو اتيان أعمال غير عادية تفوق طاقة البشر، ولا يستطيع الإنسان أن يعملها إلاّ بقوة الشيطان، وهذا هو السبب فى أن السحر والالتجاء إلى السحرة خطية !!**

ويذكر العهد الجديد سيمون الساحر فى مدينة السامرة الذى كان « يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً انه شيء عظيم. وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة. وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره » (أع ٨ : ٩- ١١). **ويذكر سفر أعمال الرسل انه بسبب كرازة**

القديس بولس الرسول النشيطة فى مدينة أفسس «كان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع» (أع ١٩ : ١٩). ويذكر بولس الرسول السحر مقترناً بعبادة الأوثان ضمن أعمال الجسد (غل ٥ : ١٩، ٢٠)... **ويذكر يوحنا فى رؤياه السحرة مقترنين بعبدة الأوثان فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت** (رؤ ٢١ : ٨)، وانهم خارج أورشليم السماوية (رؤ ٢٢ : ١٥)... **وقد قاوم بولس الرسول عَلِيم الساحر فى مدينة بافوس بجزيرة قبرص.** وامتلأ بولس من الروح القدس وقال له: «أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا ابن إبليس يا عدو كل برّ. الا تزال تفسد طرق الله المستقيمة. فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة، فجعل يدور ملتمساً مَن يقوده بيده» (أع ١٣ : ٩- ١١).

وإذا كان هذا قد ورد فى العهد الجديد، فهناك نصوص كثيرة وردت فى أسفار العهد القديم. يقول الله لموسى: «والنفس التى تلتفت إلى الجان والتوابع ... أجعل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها» (لا ٢٠ : ٦). **وموقف الله وغضبه واضح وصريح فقد أمر موسى فى سفر الخروج: «لا تدع ساحرة تعيش»** (خر ٢٢ : ١٨).

هذا عن السحر، **أما عن تحضير الأرواح** فنقول إننا نؤمن بوجود الأرواح وبخلودها ونحن ننادى القديسين ونستغيث بهم ونسأل شفاعتهم فينا ومعونتهم لنا وصلواتهم عنا، لكن من دون أن نسأل ظهورهم لنا ليجيبوا على أسئلة لنا. فليست أرواح القديسين المنتقلين تحت سلطان الأحياء، إنما هى أولاً وأخيراً تحت سلطان الله ولا تنتقل إلاَّ تبعاً لإرادته المقدسة. **إذن ليس مباحاً لنا أن نحضر أرواح المنتقلين بصلاة أو بمزمور...**

لقد ظهرت روح النبى صموئيل فى العهد القديم لشاول الملك، لا بناء على وسائل عرّافة عين دور التى لجأ إليها شاول، ولكن بناء على أمر الله وإرادته ليضبط شاول متلبساً بجريمة التجائه لعرافة ضداً لوصية الله (تث ١٨ : ١٠، ١ صم ١٥ : ٢٣). حتى أن العرافة صرخت بشدة وبصوت عظيم (١ صم ٢٨ : ١٢) مما يدل على انها رأت روح صموئيل النبى بصورة مغايرة تماماً لسائر الأرواح الشريرة

التى كانت تحضرها بسلطان الشيطان أو الجان صاحبها .

نعود فنذكر انه إذا كان مباحاً لنا ان نتصل بأرواح القديسين فذلك عن طريق الصلوات وحدها . وهم قد يأتون إلينا و يكونون فى نجدتنا بحسب إرادة الله التى تحكمهم لا بحسب إرادتنا نحن . **لكن ليس لنا سلطان عليهم وليس فى مقدور أحد أن يحضرهم متى شاء ويصرفهم متى شاء على نحو ما يدعى بعض الأدعياء .**

ولقد أوضح مخلصنا له المجد هذه المسألة فى مثل الغنى ولعازر (لو ١٦) . فحينما أبدى الغنى فى موضع العذاب رغبته فى أن يرسل إبراهيم لعازر من عالم الأرواح إلى عالم الأحياء لينذر أخوة الغنى حتى لا يذهبوا إلى العذاب . قال له إبراهيم : « عندهم موسى والأنبياء وليسمعوا منهم . أى عندهم كتابات موسى وسائر الأنبياء وهى كافية أن يتلقوا منها التعليم الصحيح .

وليس مباحاً للقديسين أن يتحدثوا بشىء عن العالم الآخر خارجاً عن الحدود المرسومة لهم من الله والمعلنة فى الكتب المقدسة وقد اتيح للقديس بولس الرسول أن يختطف بروحه إلى الفردوس ، لكنه لم يسمح لنفسه أن يتحدث عن العالم الذى رآه . واكتفى بالقول بإنه : « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٤) .

وفضلاً عن ذلك فقد حذرنا الوحى الإلهى من أن نتلقى من الأرواح تعليماً أو معرفة خارجاً عن التعاليم التى أعلنت لنا فى الكتب المقدسة ، حرصاً على المؤمنين من الضلال ... يقول بولس الرسول : « إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيماً ... إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فلكين أناثيما (محروماً) » (غل ١ : ٨ ، ٩) ... والمعنى أن الوحى الإلهى يمنع المؤمنين من أن يتلقوا المعرفة عن غير طريقها الطبيعى المرسوم من الله ، أو يصغوا إلى ملاك أو روح يعلمهم تعليماً يغاير التعليم الذى تسلّموه من الكنيسة ...

ما أكثر الخداعات التى يقع فيها الإنسان لا سيما البسطاء منهم ... هذه الخداعات هى من الشيطان . والشيطان وجنوده أرواحٌ نارية قوية تتمتع بالقدرة

والمعرفة وسرعة الحركة. لقد ظهر الشيطان لقديسين كثيرين أحياناً فى صورة رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان وأحياناً فى صورة قديس أو ملاك طاهر. وإلى ذلك يشير بولس الرسول بقوله: «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢ كو ١١: ١٤).

وعلى أى حال فلا يحلّ لأبناء الإيمان أن يستشيروا الأرواح لمعرفة أمر أو اجابة على سؤال حسبما أمر الله «لا يوجد فيكَ مَن يُجيز ابنه أو ابنته فى النار. ولا مَن يَعرُفُ عرافة، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر. ولا مَن يَرْقى رُقية، ولا مَن يسأل جاناً أو تابعةً، ولا مَن يستشير الموتى. لأن كل مَن يفعل ذلك مكروه عند الرب» (تث ١٨: ١-١٢)...

وانتقام الله رهيب ممن يلجأون إلى السحر والعرافة. ولدينا مثل رهيب فى العهد القديم عما حدث لمنسى ملك يهوذا الذى «عبرَّ بنيه فى النار فى وادى ابن هنوّم، وعاف وتفاءل وسَحَرَ، واستخدم جاناً وتابعه وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته» (٢ أى ٣٣: ٦)... ماذا كان انتقام الله من منسى فى هذا العالم؟ لقد أخذ ملك آشور منسى بخزامة وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به أسيراً إلى بابل (٢ أى ٣٣: ١١)!!

وثمة خداع آخر يقال فى تبرير الالتجاء للسحرة ... يقولون هناك سحر للشر وهذا ممنوع ومرفوض، وسحر يقصد به الخير (فكّ عمل)، أو ايجاد محبة بين اثنين... أو... إلخ. وهذا كله شر ومرفوض من الله. القاعدة انه لا يجب الالتجاء لغير الله والاستعانة بسواه... وهذه وتلك من أعمال الشيطان.

وثمة سؤال هام نطرحه، هل للسحر سلطان على أولاد الله؟ ... والجواب إذا كان السحر هو من عمل الشيطان، فليس للشيطان سلطان على أولاد الله والمؤمنين. وإذا كان السيد المسيح قد أعطى المؤمنين سلطاناً أن يخرجوا الشياطين فهل من المعقول أن يكون لهم عليهم سلطان؟!... قال تلاميذ السيد المسيح له: «حتى الشياطين تخضع لنا باسمك» وقال هو لهم: «هذه الآيات تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمى... يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم» (مر ١٦: ١٧، ١٨).

المؤمنون والسحر والسحرة :

قلنا أنه لا سلطان للشيطان على المؤمنين « اعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضرّكم شيء » (لو ١٠ : ١٩) ... وطالما أن السحر يستند إلى قوة الشيطان ويتم بفعله ، فليس سلطان للسحرة على المؤمنين من أولاد الله ... **ونقدم بعض قصص قديمة ومعاصرة عن أن الشيطان - وبالتالى السحرة - لا سلطان لهم على المؤمنين ...**

أ - قصة كبريانوس الساحر ويوستينة :

كبريانوس هذا كان ساحراً بارعاً فى علمه وسحره والتقى به فى مدينة انطاكية شاب هام بحب فتاة مسيحية تدعى يوستينة . حاول الشاب أن يلفت نظر الفتاة إليه فلم يفلح . وكانت يوستينة فتاة مؤمنة . فلما فشل فى بلوغ مرامه لجأ إلى كبريانوس الساحر ، فوعده بأنه سيحقق له مراده ... بدأ كبريانوس فى أعمال سحره فلم يفلح على غير المألوف . فلما عجز قال لشياطينه : [إن لم تحضروا لى يوستينة اعتنقت المسيحية] ... وهنا حاول الشيطان أن يخدعه فظهر له فى صورتها . ففرح كبريانوس وهمّ ليعانقها ، وحالما ذكر إسمها انحلّ الشيطان المتشبه بها ، وفاحت رائحة نتنه ... كان هذا سبباً فى أن يفكر كبريانوس فى شياطينه التى لم تحتمل أن تثبت أمام ذكر اسم فتاة مسيحية . فأحرق كتب السحر وصار مسيحياً ... وتعيد الكنيسة بتذكاره فى الحادى والعشرين من شهر توت .

ب - الأعجوبة التى تمت على يد القديس باسيليوس الكبير :

هذه قصة واعجوبة حدثت بمدينة قيصرية كبادوكية على يد القديس باسيليوس الكبير... حدث أن شاباً أجيراً هوى ابنة سيده والتهب قلبه بحبها ... ولما كان أمر زواجه منها أو تمكنه منها مستحيلاً لجأ إلى أحد السحرة ، فكتب له ورقة وأمره أن يذهب فى منتصف الليل إلى قبور غير المؤمنين ويرفع يده بالورقة ... فعل ذلك وتناول الشيطان منه الورقة ، وطلب إليه أن يكفر بالمسيح ولا يرجع عن ذلك بعد نوال امنيته .

فلما وافقه الشاب أمره الشيطان أن يكتب له اقراراً بذلك على ورقة ... وبدأ الشيطان فى عمله فألهب قلب الفتاة بمحبة ذلك الشاب ، وكاشفت أباها بذلك وهددته بأنه إما أن يزوجها إياه أو تقتل نفسها ... خضع والداها لرغبة الفتاة خوفاً على حياتها ، لكنهما كانا يكثران التضرع بدموع أمام الله أن يترأف عليهما ويزيل حزنهما ... استجاب الله لهما وبدأ الله يزيل الغشاوة عن عقل الفتاة وعينيها ، واتضح لها كأن ذلك الشاب غير مسيحى لأنه لا يمارس أى عبادة ، فبدأت تندم وتبكى على ما فعلته ، فامتحنت الفتاة الشاب بما فى نفسها فأنكر فى بادىء الأمر لكنه عاد واعترف لها بكل ما فعله ... اسرعت الفتاة إلى أسقف مدينتها القديس باسيليوس وقصت عليه محنتها وطلبت منه نجدتها . فاستحضر القديس ذلك الشاب وسأله إن كان مشتاقاً أن يرجع إلى المسيح ... ثم استمع إلى قصته ... صلى عليه واستبقاه عنده ورسم له صلاة يصليها لمدة ثلاثة أيام . بعدها افتقده فأعلمه أن الشياطين يهددونه بالصك الذى كتبه على نفسه . شجعه واعاده إلى مكانه ... وفى كمال الأربعين يوماً ذهب ليفتقده وسأله عن حاله فأعلمه الشاب انه رآه فى تلك الليلة يقاتل عنه الشيطان وقد غلبه ... دعا باسيليوس الرهبان والكهنة وصلوا عليه تلك الليلة كلها . وفى الغد أحضره إلى الكنيسة واحضر شعب المدينة . وطلب إلى الجميع أن يصرخوا إلى الله كيريا ليسون ـ يارب ارحم . واستمروا فى صراخهم وفوجئوا بورقة تسقط من فوق ، وإذا بها الصك الذى اخذه الشيطان على ذلك الشاب . قرأه على الشعب وبارك على الشاب وناوله من الأسرار المقدسة ، وأعاده إلى زوجته وبارك عليهما ... وتعيد الكنيسة بتذكار هذه الأعجوبة فى الثالث عشر من شهر توت .

جـ ـ قصة أثناسيوس الساحر ومار جرجس :

اذهل احتمال الشهداء والمعترفين المسيحيين معذبيهم ، ونسبوا احتمالهم لقوة السحر . وفى قصة استشهاد البطل مار جرجس كلفوا ساحراً ماهراً يدعى أثناسيوس بأن يُعد سماً قوياً ليشربه مار جرجس وبذلك يقضون عليه ... قدموا لمار جرجس كأس السم فرشم عليها بعلامة الصليب فلم يَنَلْهُ أذى ، فنسبوا ذلك إلى العلامة السحرية ، يقصدون علامة الصليب !! ولكى يمنعوه من رشم هذه العلامة السحرية ربطوا يديه

وقدموا له كأساً من السمّ أقوى من الأول . ولإيمانه بقوة علامة الصليب ، حينما قدموا له كأس السم قال لهم مشيراً برأسه : أتريدونى أن أشربها من هنا أم من هنا أم من هنا أم من هنا ... وبحركة رأسه هذه رشم علامة الصليب على كأس السم ، وشربها فلم يَنَلْه أذى ... وبالاضافة إلى موضوع شرب السمّ ، أقام مار جرجس ميتاً توفى منذ وقت قصير. كان ذلك كله سبباً فى إيمان الساحر اثناسيوس بل واستشهاده على يد دقلديانوس .

د ـ فى هذا القرن مرضت سيدة من عائلة بدّار فى مدينة نقادة ، وطال مرضها ... ولما يئست من الشفاء سمعت وهى على فراش مرضها أحد المغاربة ينادى (كان هذا يعنى أحد المشتغلين بالسحر) . فقالت لمَن فى البيت : [نادوا الراجل ده ، أنا خلاص تعبت] ... دخل الرجل الذى يشتغل بالسحر حجرة المريضة ، فقال لهم : [الأودة دى مضلمة (مظلمة) لا تصلح للشغل] . قالوا له نفتح الشبابيك . قال لهم برضه ما تنفعش . **ولما ألحوا عليه لمعرفة السبب . قال لهم : [بصراحة واحد راجل طيب نام فى الأودة دى] ... وكان المتنيح الأنبا مرقس مطران الأقصر واسنا وأسوان ـ وجلس على الكرسى ٥٦ سنة وكان من القديسين ـ قد بات فى هذه الحجرة قبل ذلك بعشرين سنة . وطبعاً صلى فيها صلواته ومزاميره ...**

هـ ـ حدثت هذه القصة سنة ١٩٦٩ على يد المتنيح القمص بيشوى كامل كاهن كنيسة مار جرجس باسبورتنج بالاسكندرية ... كانت إحدى بناته فى الاعتراف وتدعى فوزية وكانت طالبة بمعهد القطن بالاسكندرية . وكانت فى البكالوريوس ومعقّدة من الدراسة و يائسة من النجاح ... وفى إحدى الأيام وهى ذاهبة إلى المعهد ـ وكان يقع فى شارع ضيق ـ قابلتها فى أول هذا الشارع سيدة سوداء اللون . وقالت لها بلكنة كأنها لكنة أجانب : [انت مالك زعلان ـ اتكل على ربنا ـ اتكل على ربنا] ... وأخذت تسرد لها بعض أخبار اسرتها وتاريخها هى . ثم قالت لها ان تذهب للمعهد وستجد الأستاذ فلان معتذرا عن الحضور . كما اخبرتها ببعض أمور أخرى ... وقالت لها : [ماتخافيش أنا راح اجيب لك الامتحانات آخر السنة] ... تعجبت الفتاة وحينما عادت إلى منزلها قصّت على امها ما حدث ففرحت الأم لما سمعت بأخبار امتحانات آخر السنة . كانت الفتاة مرتبطة بالمتنيح القمص بيشوى كامل ... قصدت

منزله فى نفس هذا اليوم وظلت تنتظره لكنه تأخر. فقال لها مدام أبونا بيشوى ناصحة إياها : [هذا شيطان ... لما تقابليها مرة ثانية قولى لها باسم يسوع المسيح تقولى أنتِ مين] ... وفى اليوم التالى قابلتها نفس السيدة السوداء فى نفس المكان الأول ، وبادرتها الفتاة بقولها : [باسم يسوع قولى لى أنتِ مين] ... فأحدثت أصوات عالية من فمها وقالت لها : [أنا روح هايم هايم هايم] . ثم اخرجت عقداً من صدرها وحركته نحو وجه الفتاة حتى تخيفها . لكن الفتاة رسمت بعلامة الصليب على الست السوداء وعلى العقد ، فسقط العقد من يدها ... ذهبت إلى المعهد فى ذلك اليوم مرتعبة . وقصدت منزل أبونا بيشوى فى نفس هذا اليوم ... فقال لها أبونا بيشوى بطريقته الوديعة : [اعترفى أولاً وتناولى من الأسرار المقدسة وسأعمل لكِ قنديل] ... وفى اليوم التالى أثناء ذهابها للمعهد قابلتها نفس السيدة وقالت لها : [انت حتخلّى أبوكم بيشوى يعمل قنديل . لو عمل قنديل راح اهدّ الحيطة عليكم . وامك عمّاله تحنجل فى كل ركن فى البيت] (يبدو أن أم الفتاة كانت تصلى فى البيت) . لكن الفتاة اجابتها بشجاعة : [مش حتقدرى تهدّى الحيطة أو تعملى شىء إلاَّ إذا أخذتِ إذن من المسيح] ... وذهبت إلى معهدها وقصدت أبونا بيشوى وحدد لها ميعاد لعمل قنديل فى الصباح قبل ذهابها للمعهد .. وفى أثناء عمل القنديل وضعت صورة للسيدة العذراء لحضور صلاة القنديل . وبعد انتهاء صلاة القنديل رش ابونا الماء فى الشقة . وذهبت الفتاة لمعهدها فنظرت الست السوداء جالسة على الأرض مكسّحة وقالت لها : [كدة خلّيتى أبوكم بيشوى يعمل لكم القنديل ونور أم النور عمى عينىّ ما بقتش (لم أعُدْ) أشوفك إلاَّ فى الحمام . وكان الحمّام هو المكان الوحيد الذى لم يرشه أبونا بيشوى بالماء . فلما اعلمته بما قالته الست السوداء صلىّ على كوب ماء وأمرها أن ترشه فى الحمام ... كما قالت لها فى نفس هذا اللقاء الأخير: [وحرام عليكِ شوفى أنا اتكسحت إزاى] ...!!

الايمان فى معجزات السيد المسيح :

سبق أن قلنا إن الإيمان قرين المعجزات « **كل شىء مستطاع للمؤمن** » (مر ٩ : ٢٣) ... **وفى كتاب العهد الجديد معجزات كثيرة عملها الرب يسوع من خلال إيمان مَن عُملت معهم هذه المعجزات ... وفيها نلمس صوراً ودرجات للإيمان من**

خلال تصرفاتهم ... وصدق القديس يعقوب حينما قال : « وأنا أريك بأعمالى إيمانى » (يع ٢ : ١٨)... **وكأمثلة على ذلك نتكلم عن خمس معجزات للسيد المسيح تمت من خلال الإيمان، وفيها نلمس تدرّج الإيمان ونوعياته. هذه المعجزات هى : شفاء المفلوج الذى حمله أربعة رجال - شفاء نازفة الدم - تفتيح عينى بارتيماوس الأعمى - شفاء ابنة الكنعانية - شفاء غلام قائد المائة.**

١ - شفاء المفلوج الذى حمله أربعة :

(مت ٩ : ٢ - ٨ ؛ مر ٢ : ١ - ١٢ ؛ لو ٥ : ١٧ - ٢٦) .

حدثت هذه المعجزة فى مدينة كفر ناحوم ... إنسان مفلوج تماماً بمرض الفالج حمله أربعة على فراشه وجاءوا به إلى حيث الرب يسوع . وكان البيت الذى فيه قد امتلأ بالناس ووقف الناس خارجه ... وإذ لم يجد حاملو المفلوج وسيلة للدخول إلى حيث الرب يسوع ، وإذ كانوا مصرّين ألاّ تفلت منهم هذه الفرصة ، صعدوا إلى سقف البيت وكشفوه ، وبعدما نقبوه « دلّوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعاً عليه ، **فلما رأى يسوع إيمانهم** قال للمفلوج يا بُنَىّ مغفورة لك خطاياك » ... ودارت مناقشة بين جماعة من الكتبة وبين المسيح بخصوص سلطانه فى مغفرة الخطايا ... وإذ أراد أن يقدم لهم برهاناً عملياً على سلطانه الإلهى فى مغفرة الخطايا قال للمفلوج : « لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك » فقام المفلوج فى الحال وحمل فراشه وخرج قدام الجميع « فُبهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط » .

ويجمع المفسرون وعلى رأسهم القديس يوحنا ذهبى الفم أمير شُرّاح الكتاب المقدس ان كلمة إيمانهم فى عبارة « فلما رأى يسوع إيمانهم » ، لا تشير إلى إيمان الأربعة الذين حملوا المفلوج فقط ، بل ومعهم إيمان المفلوج أيضاً ...

نحن فى هذه المعجزة أمام إيمان يتخطى الصعاب حتى يظفر بما يريد ... كان من السهل أن يعود هؤلاء الأربعة ادراجهم لما وجدوا انفسهم غير قادرين على الدخول حيث الرب يسوع لكنهم فكروا - مدفوعين بإيمان قوى - كيف يصلون إلى الرب يسوع ، ويقدمون مريضهم المفلوج إلى الطبيب الأعظم ، فصعدوا إلى السقف ودلوا المريض من بين الآجر، فكانت المعجزة ..

٢ ـ شفاء نازفة الدم :

(مت ٩ : ٢٠ ـ ٢٢ ؛ مر ٥ : ٢٥ ـ ٣٤ ؛ لو ٩ : ٤٣ ـ ٤٨) .

كانت تعانى من نزيف مدة اثنتا عشرة سنة . وكانت هذه المرأة ومن فى حالتها بحسب شريعة العهد القديم تعتبر فى حالة نجاسة دائمة . كل مَن يمسّها يتنجس ، وكل ما تضطجع عليه يصبح نجساً . وكل ما تجلس عليه يتنجسّ أيضاً ، وهكذا كل مَن يمسّ فراشها (لا ١٥ : ١٩ ـ ٣٢) . وتبعاً لذلك فإنها بسبب نجاستها كانت ممنوعة من الاشتراك فى العبادة . وافتى معلمو الشريعة اليهودية بتطليق مثل هذه المرأة من زوجها ... وبسهولة نستطيع أن ندرك مدى بؤس هذه المرأة ، لأنها عاشت معزولة عن المجتمع ...

سمعت هذه المرأة بالرب يسوع ومعجزاته العظيمة وقدرته الشافية ، وكانت « قد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين ، وانفقت كل ما عندها » . أى أن الأطباء كانوا سبب زيادة ألمها بدلاً من أن يكونوا وسيلة شفائها !! والعجيب أنه رغم استعانتها بوسائل الطب هذه السنين كلها « لم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال اردأ » ... قالت هذه المرأة فى نفسها : « إن مسست ولو ثيابه شفيت » .

وبالفعل استجمعت هذه المرأة البائسة قواها النفسية المهلهلة ، واندست وسط جمع كان يحيط به ، وجاءت من ورائه ومست ثوبه « فللوقت جف ينبوع دمها ، وعلمت فى جسمها انها قد برئت من الداء » ... أى أنها شفيت فى الحال واحست هى بذلك .

التفت الرب يسوع حوله وقال : « مَن لمس ثيابى » ... هذه الكلمات اعلن بها الرب يسوع أن شخصاً تعلّق به فى إيمان وطيد !! وانه وجد صدى لهذا الإيمان فى القوة الشافية التى خرجت منه ... وليس كما قال له تلاميذه : « أنت تنظر الجمع يزحمكم وتقول مَن لمسنى » !!

إن سؤال الرب يسوع « مَن لمسنى » يوضح ان هناك فرقاً بين دفع الجموع وزحامهم ، وبين لمسة النفس المؤمنة المحتاجة !!

ثم ماذا ؟ جاءت المرأة « وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها ، فخرّت وقالت له الحق كله » ... لم يكتف السيد المسيح بذلك ولم تنته القصة عند هذا الحد ، لكنه

يكشف عن علة شفاء المرأة: «**يا ابنة إيمانكِ قد شفاكِ. اذهبى بسلام وكونى صحيحة من دائكِ**»... هذه هى المناسبة الوحيدة فى الإنجيل التى استخدم فيها الرب يسوع كلمة «يا ابنة»... **إن قصة هذه المرأة توضح الثقة الكاملة فى الرب يسوع**...

٣ ـ تفتيح عينى بارتيماوس :

(مر ١٠ : ٤٦ ـ ٥٢) .

هذه قصة إنسان أعمى كان يجلس يستعطى على الطريق فى مدينة أريحا ، والتقى بالسيد المسيح وهو خارج من المدينة... وفيما هو جالس كعادته سمع ضجة السائرين وتساءل عن الأمر فعلم أن الرب يسوع يمر من ذلك المكان. وما أن علم بذلك حتى أخذ يصرخ و يقول: «يا يسوع ابن داود ارحمنى»...

كان السيد المسيح متجهاً من أريحا إلى أورشليم والتى بعدها ستحدث أحداث الصليب. ورغم أن كثيرين انتهروه ليسكت و يكف عن صراخه ، لكنه كان يصرخ أكثر: «يا ابن داود ارحمنى»... فتوقف الرب يسوع عن المسير وأمر أن ينادوه... نادى الناس بارتيماوس الضرير وقالوا له: «ثق. قم. هوذا يناديك». **فطرح رداءه وقام وجاء إلى الرب يسوع. فسأله: «ماذا تريد أن أفعل بك». أجابه: «يا سيدى أن أبصر». فقال له الرب يسوع: «إذهب. إيمانك قد شفاك». فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق**. ولعله آخر مَن تبعه!!

إن بارتيماوس الأعمى يمثل لحاجة الإيمان الذى لا يدع الفرصة تفلت منه.

٤ ـ شفاء ابنة الكنعانية :

(مت ١٥ : ٢١ ـ ٢٨ ؛ مر ٧ : ٢٤ ـ ٣٠) .

تمت هذه المعجزة فى نواحى صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية (فينيقية سورية). كانت هذه المرأة امية وثنية وليست يهودية. صرخت إليه قائلة: «ارحمنى يا سيد يا ابن داود. ابنتى مجنونة جداً»... لم يُجبها رب المجد بكلمة... كان تصرفاً غريباً وغير

مألوف من جانب المسيح الذى عهده الناس لطيفاً رحيماً !! ولقد صنع معجزات مع كثيرين دون أن يطلبوا منه. وهذه المرأة تستغيث به متوسلة، وهو لا يجيبها بكلمة !!

ازدادت المرأة صراخاً مكررة نفس طلبها الأول. ولما رأى التلاميذ سيدهم معرضاً عنها، طلبوا إليه أن يصرفها لأنها تصيح وراءهم... فقال لهم: «لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»... ماذا فعلت تلك المرأة بعد سماعها بقرار السيد... لم تيأس، بل: «أتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنّى»... وأيضاً كانت اجابته فى هذه المرة غير متوقعة، أجابها: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»... ورغم القسوة الظاهرية فى كلمات السيد، قالت له فى اتضاع: «نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها»...

لم يكن قصد المسيح هو إهانة تلك المرأة فليست هذه من صفاته وهو الكامل القدوس. لكنه كان يقصد إلى إظهار إيمان هذه المرأة الأممية الوثنية... لقد أظهرت إنسحاقاً عجيباً. ووقعت عند رجلية ساجدة له. وأظهرت بتشبثها به وبطلبها عظم ثقتها فيه، واصرارها على ان تنال مطلوبها... ما كان يشغلها سوى أن تظفر بما تريد معرضة عن أى كلام أو تشبيه.

كيف انتهت قصة هذا اللقاء... إن إيمان تلك المرأة ـ من خلال الخطوات السابقة ـ كشف عن أصالته، وبلغ أوجه وكماله... وحينئذ قال لها المسيح: «يا امرأة عظيم إيمانكِ. ليكن لكِ كما تريدين». فشفيت ابنتها من تلك الساعة...

حين يصل الإيمان إلى هذه الدرجة يأخذ ما يريد «ليكن لكِ ما تريدين»... **إن قصة المرأة الكنعانية هى قصة كمال الإيمان الذى تحلّى بالصبر والإنسحاق وعدم اليأس.**

٥ ـ شفاء غلام قائد المائة:

(مت ٨ : ٥ ـ ١٣ ؛ لو ٧ : ٢ ـ ١٠).

حدثت هذه المعجزة فى مدينة كفر ناحوم العاصية، التى قال عنه رب المجد: «وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستُهبطين إلى الهاوية. لأنه لو صُنعت فى

سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت إلى اليوم. ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكِ» (مت ١١ : ٢٣ ، ٢٤).

كانت مدينة كفر ناحوم مدينة كل سكانها من اليهود ، ومع ذلك وجد فيها إنسان وثنى شهد عنه الرب: «لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا»... كان قائد مائة رومانى وثنى. لكنه كان شخصية عجيبة. فمع أنه كان يمثل المستعمر لكنه أحب الشعب اليهودى واحبوه هم أيضاً حتى انهم توسلوا للسيد المسيح أن يشفى غلامه قائلين عنه: «انه مستحق أن يفعل له هذا. لأنه يحب امتنا وهو بنى لنا المجمع»... كما انه تميز بالإنسانية فقد أحب غلامه أى عبده وأخذ يسعى لشفائه.

تدور القصة حول عبد ذلك القائد الذى كان مريضاً جداً ومشرفاً على الموت. وفى انسحاق نفس عجيب أحسّ ذلك القائد انه غير مستحق أن يتقابل مع السيد المسيح رغم حاجته إليه لشفاء غلامه وعبده، فوسّط شيوخ اليهود ليسألوا المسيح. واستجاب الرب لطلبهم وقال: «أنا آتى وأشفيه». **وبالفعل ذهب يسوع معهم متجهاً نحو بيت ذلك القائد... وعلى مقربة من البيت أرسل إليه قائد المائة أصدقاء برسالة يقول فيها: «يا سيد لا تتعب. لأنى لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى. لذلك لم أحسب نفسى أهلاً أن آتى إليك. لكن قُل كلمة فيبرأ غلامى»...** وكأنه يقول: «أنا فى موقعى أستطيع أن انفذ ما أريده بكلمة، وأنت فى مجالك تستطيع بكلمة أن تنفذ إرادتك»...

تعجب الرب يسوع من إيمان ذلك القائد الوثنى، وقال لمَن حوله: «الحق أقول لكم لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا»... ثم قال لقائد المائة: «إذهب وكما آمنت ليكن لك». فشفى غلامه فى تلك الساعة... انه الإيمان العميق الواعى المنسحق الذى فاق إيمان المؤمنين بإله إسرائيل، حتى أن المسيح وبخ اليهود بقوله: «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

قصص عن معجزات معاصرة :

١ ـ **والدة نيافة الأنبا غريغوريوس** كانت سيدة تقية وتحب السيدة العذراء جداً، ودائماً تطلب شفاعتها، وكانت العذراء تجيب طلباتها وتظهر لها. فى احدى المرات حدث احتقان وتورّم بكل وجهها مع صديد بكل الوجه تحت الجلد. وكانت لا تحب عرض نفسها على الأطباء. لكنها استخدمت كل الوسائل البلدية دون جدوى، ولم يظهر أثر لخراج أو خلافه... وفى أحد الأ يام صمّم أفراد الأسرة أن تذهب إلى طبيب. ولما كانت تكره عرض نفسها على الأطباء، فطلبت منهم أن يمهلوها تلك الليلة وإذا لم يتم شىء تتوجه للطبيب. فى تلك الليلة طلبت العذراء بشدة. وفى الليل اتتها فى حلم وإذا بها تمد يديها إلى وجهها كمَن يعصر الصديد ويجمعه بأسفل الذقن. وفى الصباح وجدوا الصديد كله تجمع فى خراج أسفل الذقن، ففتحوه وهكذا شفيت... وفى المرة التى مرضت فيها مرض الموت سألت العذراء أن تشفيها، فظهرت لها وقالت لها: «أنا سألت ابنى، لكن الأمر خرج من يدى». فعلمت أنها ستفارق العالم. وهذا ما تم بالفعل.

٢ ـ **حدثت هذه المعجزة مع سيدة شابة تدعى إيفون سليم رزق الله كانت فى ذلك الوقت فى طنطا ولكنها الآن فى بنى سويف... وفى فجر يوم ٥ مايو ١٩٤٦م** استيقظت على ألم شديد فى رجلها اليمنى، وكان ذلك بعد أن وضعت ابنتها البكر باثنى عشر يوماً. أحضروا الأطباء وقرروا أن الألم نتيجة جلطة فى الرجل اليمنى... لم تتحسن على العلاج واخبر الأطباء والدها بعد اسبوعين من العلاج انهم فعلوا ما فى استطاعتهم، والأمل فى شفائها واحد فى الألف. وإذا تحقق هذا الأمل ستمشى بعكّاز. وكانت فى الحجرة التى ترقد فيها صورة كبيرة للعذراء وعلى رجليها المسيح بعد ما انزلوه عن الصليب. وكانت كلما اشتد الألم بها تقول: [لازم اكسر صورة العذراء دى علشان ليه سيبانى كده]... وفى أحد الأ يام انقطع الأمل وانصرف الأطباء (دكتور رمسيس جرجس ودكتور إبراهيم فرج ودكتور أمين غالى)، وأبلغوا أحد أقاربها ان حالتها سيئة، ولن تمضى ساعتان إلاَّ وتحدث الوفاة!! بعد ذلك شعرت بهبوط وفقدت قدرتها على الرؤية والسمع... وفى تلك اللحظة نظرت وإذا بصورة العذراء التى فى الحجرة تكبر وتكبر حتى صارت فى الحجم الطبيعى ووقفت العذراء ووضعت

السيد المسيح على الكرسى الذى كانت تجلس عليه . وامتلأت الحجرة من نور قوى جداً اشبه بنور القمر. وبدأت العذراء تكلمها وهى مكشرة وقالت لها : « انتِ عاوزة إيه . عاوزة منى إيه ؟ » قالت لها المريضة : [وانتِ مكشّرة ليه ، أنا عاوزة أخف وانزل امشى ورجلىَّ ترجع زى ما كانت] . قالت العذراء لها : « كل ده عاوزاه » ، أجابتها : [أيوه عاوزاه دلوقت] ... فضحكت العذراء ، وكانت صورتها جميلة جداً جداً ... قالت لها العذراء : « خذى قرص ونص برشام وانتِ تخفىّ » ... وكان فى يدها البرشام فى حجم العشرة قروش وكأنه حجر. قالت للعذراء : [فيه كبّاية ميّه قريبة منى هاتيها ، وخلّى البرشامة تبوش شوية وأنا آخذها] . فذهبت العذراء واحضرت الكباية ووضعت فيها البرشامة حتى باشت ثم شربتها . ثم قالت العذراء لها : « خذى بقى النص قرص اللى فاضل » . قالت لها : [خليه يبوش شوية وأنا آخده علشان انزل دُلوقتى امشى] . فكسرت نص البرشامة إلى ربعين . وادابت ربع وشربته . أما الربع الثانى فأعطته لها فى كفّها . وقالت لها : « أنا بوّشته لكِ ، لكن خليه معاكِ علشان تفتكرينى » . قالت لها المريضة : [لكن أنا مش باعرق أبداً والدكاترة بيقولوا لو عرقت يمكن أخف] . قالت لها : « حتعرقى كتير » . وكان بجوار سرير المريضة فوّاطة ، فاحضرت العذراء فوطة من عليها ووضعتها على رأس المريضة وقالت لها : « نشفى عرقكِ فى الفوطة » . ثم اخذت العذراء تتراجع بظهرها إلى الصورة ، وهى تبتسم ابتسامة هادئة جميلة حتى وصلت للصورة ، وأخذت السيد المسيح ووضعته على رجليها كما كانت ، ثم أخذت الصورة تصغر وارتسمت الدموع على وجه العذراء وانطفأ النور. فقالت المريضة [النور انطفى ليه ؟ انا عاوزه مية علشان آخذ ربع البرشامة ، علشان أمشى دلوقتى] . سمعها والدها وقال لها : [فين البرشامة يا بنتى] . قالت له : [فى ايدى بس عاوزة مية علشان امشى دلوقتى] . ففتحت يدها ولم تجد البرشامة . فقالت : [عاوزة أنام الألم راح] . فنامت نوماً هادئاً وعرقت كثيراً جداً . وفى الصباح كانت درجة حرارتها طبيعية . ذهب والدها ليخبر الطبيب الدكتور إبراهيم فرج . فحنيما رآه قال له : « البقية فى حياتك » . لقد ظن أنه حضر ليأخذ منه شهادة لتقديمها لاستخراج شهادة الدفنة . فقال له الوالد دى عايشة وكويسة خالص . قال له سأذهب معك لأراها لأن هذا غير معقول إلاَّ إذا كان ربنا عمل معها معجزة . وحينما رآها الطبيب اندهش جداً . ونزلت من الفراش ومشت طبيعية فى اليوم التالى .

٣ ـ قصة عن معجزة للأنبا مرقس مطران الأقصر واسنا وأسوان وكان ابن خالة الأنبا كيرلس الخامس البطريرك وجلس على كرسى الايبارشية ٥٦ سنة، وكان مشهوداً لقداسته من جميع أهالى ايبارشيته... كانت هناك فتاة اسمها آنِتا خليل من الأقصر (وقد روى لى هذه القصة شقيقها غطاس خليل وكان زميلاً لى). مرضت مرضاً شديداً جداً حوالى سنة ١٩٣٤ أو سنة ١٩٣٥، وبلغت حدّ الموت، وأرسلوا لكل الأقارب من بلدها أرمنت لكى يودعوها الوداع الأخير. وجلسوا فى المنزل منتظرين خروج السرّ الإلهى. وكان والدها جالساً فى حجرة مجاورة، وكان له دالة كبيرة مع الأنبا مرقس (وكان قد تنيح منذ وقت قليل). لكن قد حدث بينهما زعل نتيجة وشاية من أحد الناس فى أواخر حياة الأنبا مرقس... وكان فى تلك الحجرة صورة للأنبا مرقس. فنظر والد المريضة للصورة وقال: أنا مش قلت لك يا أنبا مرقس انت لسه زعلان منى. ولولا كده كنت تيجى وتشفى انتا؟ ثم اخذته اغفاءة نوم وإذا به يرى أنبا مرقس ويقول له أنا مش قلت لك مفيش زعل خلاص. طيب روح ضع الشال بتاعى على انتا (وكان عنده شال للأنبا مرقس محتفظ به كبركة)، وأنا راح ادخل ارشمها. وكان بالمنزل زوج خالتها ويدعى توما رأى أنبا مرقس عياناً خارج من حجرة انتا... ثم قال توما لوالدها أنتا: يا خواجة مش تمسك فى سيدنا أنبا مرقس. قال له فين. قال له أهو عند السلم... ودخلوا عند المريضة فإذا بها قد عادت صحيحة.

٤ ـ كان الخواجة دريعة من أعيان الأقصر مريضاً بالسل من الدرجة الثالثة، ووصل إلى حالة سيئة وخطيرة جداً. وكان فى ذلك الوقت منذ أكثر من خمسين سنة ينظر إلى مرض السل انه من الأمراض الخطيرة قبل اكتشاف العلاجات الحديثة... ترك الأقصر إلى القاهرة ثم إلى الاسكندرية بحثاً عن مهرة الأطباء دون جدوى. وأخيراً نُصح بالسفر إلى سويسرا للاستشفاء. أرسل المريض خطاباً من الاسكندرية لأصدقائه بالأقصر يخبرهم بسفره إلى سويسرا. فسافر إليه من الأقصر بعض أصدقاه لوداعه وتشجيعه ومنهم شخص يدعى خليل والد زميل لى هو الذى روى لى هذه القصة... وفى الاسكندرية علموا أن مطرانهم أنبا مرقس موجود فى البطريركية (وهو ابن خالة أنبا كيرلس الخامس البطريرك)ـ فتوجهوا للسلام عليه. وكان موجوداً بالبطريركية معه

أنبا يوأنس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية (الذى صار بطريركاً فيما بعد).
فقال خليل للانبا مرقس: [أنتم (أى المطارنة) ماعدش منكم فايدة]. قال له: [ليه]. قال: [واحد زى الخواجة دريقة يروح سويسرا ليه وانتم بتعملوا إيه؟]... تدخل أنبا يوأنس فى الكلام وقال له يا أنبا مرقس: لهم حق فى الكلام ده. أنا عارف روح الله تخلّى عنا ليه؟ فقال له تعالَ نطلع لسيدنا البطريرك أنبا كيرلس - وكان موجوداً بالاسكندرية - ونطلب منه أن يصلى عليه. وقبل الأنبا كيرلس - وتقدم المريض وركع أمامه. وظل مدة ساعة كاملة يصلى عليه. وأخيراً شعر المريض بحرارة تسرى فى جسده. فأقامه وقال له ربنا يشفيك. وفعلاً قام معافى وليس به أدنى شىء من المرض. وشعر بجوع شديد فقصد مطعم وأكل. ولما توجه للفندق الذى كان نازلاً فيه القى من نافذة الحجرة قفة مملوءة من الأدوية... لقد شفى.

الرَجَـــــــاءُ

- المسيح هو موضوع رجائنا .
  + المسيح رجاء الوثنيين . + رجاء اليهود قبل مجيئه .
  + المسيح رجاء اليهود والوثنيين حال وجوده بالجسد .
  + المسيح رجاء جميع المؤمنين بعد ارتفاعه إلى السماء .
- الرجاء والمسيح فى الأناجيل .
- ارتباط الرجاء بالفضائل الأخرى .
- لماذا نترجّى الله .
- مما يقوّى فينا الرجاء .
- المسيح رجاء المتعبين .
- أمثلة لأشخاص تعلقوا بالرجاء .

الرجاء هو إحدى الفضائل الكبرى - الإيمان والرجاء والمحبة (١ كو ١٣ : ١٣)... الإيمان يلد الرجاء. ومَن يكون له رجاء فى الله يحبه، وهكذا يصل إلى قمة العلاقة بالله بالمحبة... وهكذا نرى الارتباط الوثيق بين هذه الفضائل الثلاث الكبرى. لايمكن الفصل بينها وإن كان يمكن تمييزها عن بعضها... المحبة تعتمد على الإيمان والرجاء. والإيمان يعتمد على الرجاء والمحبة، والرجاء يعتمد على الإيمان والمحبة...

وتبدو أهمية الرجاء أن من يفقده يمكن أن يفقد معه كل شىء، حتى الحياة ذاتها، حينما ينقطع رجاؤه، أى يقع فى اليأس والقنوط... **والرجاء هو الذى يدفع الإنسان إلى الجهاد والتعب، سواء فى حياته الجسدية أو الروحية.** لأنه إذا تملّك الإنسان شعور بأنه لا أمل ولا فائدة من التعب والجهاد، فسوف يتوقف تماماً عن العمل والجهاد... **إذن فالرجاء والحال هذه قوة دافعة فى حياة الإنسان...**

وكما يرتبط الرجاء بالإيمان والمحبة، **فإنه يرتبط أيضاً بالفرح**... قد يسقط الإنسان فى خطية ما، لكن الرجاء يبعث فيه أملاً، فتزول كآبته ويحل الفرح محلها.

والرجاء عطية مجّانية من الله... يقول الرسول بولس: « وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا الذى أحبنا **وأعطانا عزاءً أبدياً، ورجاءً صالحاً بالنعمة،** يعزى قلوبكم ويثبتكم فى كل كلام وعمل صالح » (٢ تس ٢ : ١٦، ١٧)..

ولأن عكس الرجاء هو اليأس أو قطع الرجاء، فإن خلاصنا هو بالرجاء... وإذا كان الرجاء عطية مجانية من الله، فإنه يرتبط بخلاص الإنسان المجانى... يقول القديس بولس: «**لأننا بالرجاء خَلَصنا**. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨ : ٢٤، ٢٥).

فى هذا الموضوع نحن نعالج فضيلة الرجاء وأثره وأهميته فى حياة الإنسان على المستوى الشخصى. **لكن هذا الرجاء الشخصى يرتبط بالرجاء فى المسيح قبل كل شىء لأنه هو رجاؤنا** (١ تى ١ : ١). **ولأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً** (يو ١٥ : ٥)... **المسيح الذى به كان كل شىء، وبغيره لم يكن شىء مما كان** (يو ١ :

٣)... المسيح الذى عرفه القديس بولس وقال: «**أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقويني**» (فى ٤ : ١٣)... **المسيح الذى هو رجاؤنا - ليس فى هذه الحياة الحاضرة فقط بل وفى الدهر الآتى - وإلاَّ صرنا أشقى جميع الناس** (١ كو ١٥ : ١٩)... **ونظراً لهذا الارتباط الوثيق، نراه لزاماً علينا أن نتحدث أولاً عن السيد المسيح كموضوع رجائنا ...**

المسيح هو موضوع رجائنا :

فى رسالته إلى أهل كولوسى يكشف بولس الرسول عن « السرّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال »، وانه ليس شيء آخر سوى «المسيح رجاء المجد» (كو ١ : ٢٦، ٢٧)... **وفى رسالته الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس يتكلم عن: «يسوع المسيح رجاؤنا»** (١ تى ١ : ١)...

يسوع المسيح ربنا هو رجاء كل العالم : قبل أن يأتى فى الجسد، وحينما كان فى الجسد وعلى الأرض، ومازال هو رجاء الملايين من البشر بعد أن اتم الخلاص وارتفع إلى السماء... ونلاحظ أن الله منذ البدء أعطى الإنسان رجاء بعد سقوطه فى الوعد أن نسل المرأة يسحق رأس الحية.

رجـــاء الوثنيـــين :

لم يكن أبرار العهد القديم من شعب الله هم وحدهم الذين عبّروا عن رجائهم فى مجيء المخلّص، **بل حتى الوثنيين عبّروا عن ذلك أيضاً !!**

نقرأ عن بولس الرسول انه بينما كان فى مدينة ترواس، رأى ليلاً فى رؤيا رجلاً مقدونياً وثنياً يقول له: «**اعبر إلى مقدونية واعنا**» (أع ١٦ : ٩)... **لم تكن كلمات هذا الرجل المقدونى الوثنى سوى صراخ البشرية من الأمميين، تستنجد عن وعى أو بدون وعى منها بالمخلص المجهول ليحطم قيودها ويعتقها، الأمر الذى جعل سمعان الشيخ يقول بروح النبوة عن المسيح: «نور اعلان للأمم» (لو ٢ : ٣٢).**

لقد وجد الباحثون فى تراث البشرية القديم، ما يدل على أن الشعوب الوثنية

كانت توّاقة إلى منقذ ومحرر ومخلّص ... **فمثلاً وجد هذا فى غاليا (فرنسا الحالية) ...** كان سكان غاليا يقيمون تمثالاً ومذبحاً للعذراء المزمعة أن **تهبهم مولوداً يحررهم !!** كيف هذا ؟ **ولئلا يختلط الأمر فى اذهان البعض ، فيظنون أن المسيحية استمدت بعض عقائدها من الوثنية ، نقول** إن روح الله فى بداية خلقة العالم كان يرف على وجه المياه ، على الرغم من أن الأرض كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة **!!** ... **نظن أن الله يتعامل مع أولاده ولا يتعامل مع الشعوب الوثنية . إن الله يفتقد هؤلاء الوثنيين بأسلوبه الخاص ... هذا فضلاً عن أن الشعوب المختلفة انحدر إليهم تقليد واحد من أب البشرية الأول آدم الذى أخذ وعداً من الله بمجيء مخلّص ...**

ووجد شيئاً شبيهاً بذلك فى المكسيك ... كان المكسيكيون ينحتون فى الصخر وعلى الأبنية العامة تمثالاً للإله الذى سوف يسحق التنين ... **ووجد ما يعبر عن ذلك عند الصينيين والهندوس والفرس واليونان والرومان والمصريين القدماء** ... لقد انتظر الفيلسوف أفلاطون مثل هذا الشخص فقال : [متى يأتى هذا الشخص الذى يعلمنا كل شيء . إننى بغاية الشوق إلى معرفته] .

وبتهلل **الشاعر الرومانى فرجيل** لذكرى مجيء ذلك المنقذ فيقول : [لقد حانت الأيام الموعودة ... طفل صغير مرسل من السماء إلينا . وعلى عهده ستُمحى آثار جريمتنا . والأرض لن تعرف الخوف فيما بعد . ولسوف يتخذ له مقراً مع الآلهة ، ويحكم العالم الهادىء بقوة فضائل أبيه . فهلّم أيها الابن العزيز، يا ابن جوبتر أنظر إلى المسكونة ، فهى خاشعة باحترام أمامك ، تسلّم عليك . وانظر فكل إنسان قد سُرّ وابتهج بقدوم هذا العهد الجديد] .

وهكذا فإن العالم القديم على مختلف شعوبه واديانه - بالرغم من شططهم واخطائهم ، كانوا ينتظرون ويترجون - وإن كان فى شكل مُبْهَم - مجيء ذلك المنقذ الذى سترسله السماء يوماً ليحررهم ... وليس الابن الأصغر فى مثل الابن الضال (لو ١٥) إلاّ رمزاً للأمم الوثنية التى كانت تئن من حالتها السيئة ، وكان لها رجاء فى قبول الله لها ممثلاً فى ذلك الأب .

يقول القديس أثناسيوس الرسولى عن موت المسيح والطريقة التى مات بها : [صارت الدعوة لجميع الأمم ... **لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاّ على الصليب. لهذا لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه، حتى باليد الواحدة يجتذب الشعب القديم، وبالأخرى يجتذب الذين هم من الأمم، ويتحد الإثنان فى شخصه. هذا هو ما قاله بنفسه، مشيراً إلى أيّة ميتة كان مزمعاً أن يفدى بها الجميع: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ الجميع»** (يو ١٢ : ٣٢)].

أ ـ المسيح رجاء اليهود قبل مجيئه :

كان الشعب اليهودى فى رجائه فى مجىء المسيح المخلص يتجه دوماً نحوه، معبراً عن هذا الرجاء العظيم، إن قام للصلاة أو وقف فى الهيكل ليقدّم ذبيحته أو يقرّب قربانه. ذلك لأن الديانة اليهودية كانت رجاءً وضعفاً، استغاثة وانتظاراً فى آن معاً، واتجاهاً مستمراً نحو المستقبل... فعلى الصخرة العالية المبنية عليها مدينة أورشليم، كان يقوم بناء الهيكل الضخم، الذى يرمز بوحدته إلى ذبيحة الصليب الواحدة. بينما الذبائح المتعددة والمحرقات المتجددة كل يوم، كانت تعلن عن عجز الإنسان فى جهاده، وتدعو إلى ذبيحة الصليب الكاملة، وترمز إلى القوة التى ستظهر يوماً من ذبيحة الإله المتجسّد.

ما أكثر ما قاله رجال الله الأبرار فى العهد القديم تعبيراً عن رجائهم فى مجىء المسيح المخلّص الذى ظلوا ينتظرون مجيئه منذ آدم... قال المرتل: «يا جالساً على الكروبيم اشرق قدام افرايم وبنيامين ومنسى. ايقظ جبروتك وهلم **لخلاصنا**» (مز ٨٠ : ١، ٢)... ويقول إشعياء النبى: «فى طريق **احكامك** يارب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش ٢٦ : ٨، ٩)... **ويستبد الشوق باشعياء لمجىء المخلّص ويعبرّ عن رجائه فيقول مناجياً إياه: «ليتك تشقّ السموات وتنزل»** (إش ٦٤ : ١) . ويعبرّ عن كل ذلك السيد المسيح حينما يقول: «فإنى الحق أقول لكم **إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا**» (مت ١٣ : ١٧) .

وهناك بعض رجال الله القديسين فى العهد القديم تحقق رجاؤهم فى مجىء المخلّص ، ورأوه رؤيا العين . منهم سمعان الشيخ الذى عمرّ طويلاً جداً . ولما حمل الرب يسوع طفلاً على يديه فى الهيكل قال : « الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب » (لو ٢ : ٢٩ : ٣٠)... ولم يكن سمعان الشيخ وحده هو الذى سعد بإتمام هذا الرجاء ، بل كانت هناك **أرملة هى حنة بنت فنوئيل لازمت الهيكل أربعاً وثمانين سنة عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً** « وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً فى أورشليم » (لو ٢ : ٣٨) .

ب ـ المسيح رجاء اليهود والوثنيين حال وجوده فى الجسد :

السيد المسيح رجاء العالم ، حينما كان بالجسد على الأرض كان « **يطوف المدن كلها** والقرى يُعلّم فى مجامعها ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل **ضعف فى الشعب** . ولما رأى الجموع تحنن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم **لا راعى لها** » (مت ٩ : ٣٥ ، ٣٦) . هذه العبارة التى دونها القديس متى **الإنجيلى** هى عبارة جامعة ، تصف عمل المخلّص وخدمته بين الناس ... **سعى هو نحو الناس** ، وسعى بعض الناس إليه ...

سعى إلى السامرية ، وفيما يتحدث إليها قالت له : « أنا اعلم أن مسيّا الذى يقال له المسيح يأتى . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء » ... أما ردّ المسيح على هذه الكلمات فكان : « أنا الذى أكلمك هو» (يو ٤ : ٢٥ ، ٢٦) ... كانت المرأة سامرية . وكانت عبادة السامريين عبادة يهودية مختلطة بالوثنية . هؤلاء أيضاً كانوا ينتظرون « مسيا الذى يقال له المسيح » . **وسعى إلى زكا رئيس العشارين اليهودى** (لو ١٩) ... **وسعى إلى لاوى العشار** وهو جالس عن مكان الجباية ودعاه أن يكون تلميذاً له (مت ٩ : ٩) ... **وسعى إلى مريض بيت حسدا** (يو ٥) ... **وسعى نحو المولود أعمى** (يو ٩) ... وسعى إلى كثيرين غيرهم . وكانت دعوته للجميع : « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) .

وسعى إليه اليهود جماعات حتى أثار عليه ذلك حسد الكهنة ورؤسائهم

وطوائف اليهود الدينية، حتى قال بعضهم لبعض: «انظروا: انكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو ١٢: ١٩)... وعلى سبيل المثال فى **معجزة شفاء المفلوج الذى حمله أربعة،** يقول مرقس الإنجيلى: «دخل كفر ناحوم... **فسمع** انه فى بيت. وللوقت **اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب»**. لذا اضطر الأربعة أن يصعدوا إلى سقف البيت وينقبوه ويدلوا المفلوج حتى لا تفلت الفرصة منهم (مر ٢: ١، ٢)... **وفى معجزة شفاء حماة سمعان بطرس** - بعد أن خرج خبره فى كل الكورة المحيطة بالجليل - **«كانت المدينة كلها مجتمعة على الباب»** (مر ١: ٣٣).. وبعد أن بُهرت المرأة السامرية من كلامه إذ كشف لها خفايا حياتها، **وذهبت تخبر أهل مدينتها، خرجوا من المدينة وأتوا إليه** «وسألوه أن يمكث عندهم، فمكث هناك يومين» (يو ٤: ٣٠، ٤٠). **ويقدم مرقس الإنجيلى صورة رائعة لاقبال الناس عليه فيقول عن الناس انهم: «ابتدأوا يحملون المرضى على أسرَّة إلى حيث سمعوا انه هناك. وحيثما دخل إلى قرى أو مدن أو ضياع وضعوا المرضى فى الأسواق وطلبوا إليه أن يلمسوا ولو هدب ثوبه. وكل مَن لمسه شُفى»** (مر ٦: ٥٥، ٥٦). وحين دخل أورشليم يوم أحد الشعانين «ارتجت المدينة كلها قائلة مَن هذا» (مت ٢١: ١٠)... هذا عن سعى جماعات اليهود إليه، أما عن سعيهم كأفراد، فالأناجيل المقدسة مليئة بذكر مَن قصدوه وشفاهم وأراحهم من اتعابهم...

وسعى إليه أفراد من الأمم، منهم المرأة الكنعانية التى كشفت لحاجتها عن إيمان عجيب، فاستحقت أن يقول لها المسيح: «يا امرأة عظيم إيمانك» (مت ١٥: ٢٨). ومنهم قائد المائة الذى كان غلامه مريضاً، فاستحق من المسيح أن يشهد عنه قائلاً: «لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (مت ٨: ١٠).

جـ - المسيح رجاء جميع المؤمنين بعد ارتفاعه إلى السماء:

فى الاصحاح الأول من سفر أعمال الرسل، يسجل القديس لوقا خبر صعود السيد المسيح إلى السماء فى اليوم الأربعين لقيامته من بين الأموات. فبعد أن ذكر كلمات

المسيح الأخيرة لرسله يقول: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابة عن أعينهم» ... أما هم فظلوا يشخصون إلى السماء إلى أن ظهر لهم ملاكان، أخبراهم أن السيد المسيح فى مجيئه الثانى سيأتى من السماء هكذا على مثال صعوده. وحينئذ انصرفوا إلى أورشليم (أع ١ : ٩ - ١٢).

هذا المنظر العجيب - منظر شخوص رسل المسيح إليه وهو صاعد إلى السماء - إنما يصوّر رجاء المسيحيين فى المسيح الذى صعد إلى السماء ... انهم مازالوا يشخصون بالمفهوم الروحى لذاك الذى قال عنه بولس: «المسيح رجاء المجد» (كو ١ : ٢٧)، والذى قال: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ الجميع» (يو ١٢ : ٣٢)... هذا هو الكنز المخفى الذى حينما يجده الإنسان يمضى ويبيع كل شيء لكى يقتنيه (مت ١٣ : ٤٤)... وإذا كان **المسيح هو الكنز** المخفى، فإن هذا يذكرنا بمقولته: «حيث يكون كنزكم هناك يكون **قلبكم أيضاً**» (لو ١٢ : ٣٤).

ونلمس هذا الرجاء فى المسيح والحنين إليه فيما كتبه الرسول بولس إلى أهل فيلبى: «لى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣). ونلمسه فيما قاله الرسول يوحنا: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم **يُظْهَرْ** بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم انه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. **وكل مَن عنده هذا الرجاء، به يطهر نفسه كما هو طاهر**» (١يو ٣ : ٢، ٣)... ونفس هذا الرسول يوحنا يعبر عن ذلك أيضاً فيما كتبه كخاتمة لرؤياه، بل لكتاب العهد الجديد كله «**آمين تعالَ أيها الرب يسوع**» (رؤ ٢٢ : ٢٠)...

والحق ان المسيحيين فى عصر الرسل عاشوا على رجاء مجيء الرب يسوع الثانى القريب. وفهموا بطريقة حرفية كلمات الرسول بولس: «**الرب قريب**» (فى ٤ : ٥). وبنفس الطريقة فهموا ما كتبه يوحنا فى رؤياه: «**لأن الوقت قريب**» (رؤ ٢٢ : ١٠)... «ها أنا آتى سريعاً» (رؤ ٣ : ١١؛ ٢٢ : ٧، ١٢، ٢٠)... وقد انعكس هذا المفهوم على حياة بعض المسيحيين فى ذلك العصر، **فتوقفوا عن ممارسة** أعمالهم ليتفرغوا للعبادة انتظاراً لمجىء الرب القريب!! مثل هذا المفهوم وأسلوب الحياة دعا القديس بولس أن يكتب **مصححاً** هذا المفهوم... **فكتب** إلى أهل

تسالونيكى يقول: «ثم نسألكم أيها الأخوة **من جهة مجىء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه،** أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، **أى أن يوم المسيح قد حضر.** لا يخدعنكم أحد على طريقة ما. لأن لا يأتى إن لم يأتِ الارتداد أولاً، و يستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك» (٢تس ٢: ١-٣).

لم يتوقف هذا الاحساس، وهذا الرجاء فى مجىء المسيح ... إن رجاء المؤمنين جميعاً واشواقهم متجهة نحو شخصه ... وهذا ما تعبرّ عنه الكنيسة المقدسة فى كل قداس حينما تحتفل بالافخارستيا وتقديس الخبز والخمر... «فيما نحن أيضاً نصنع ذكرى آلامه المقدسة وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب، **وظهوره الثانى الآتى من السموات،** المخوف المملوء مجداً. نقرّب لك قرابينك مما لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال».

الرجاء والمسيح فى الأناجيل:

لم ترد كلمة الرجاء (هلبيس) بتاتاً فى الأناجيل بالمعنى اللاهوتى الروحى كفضيلة. وقد وردت الكلمة بمعنى آخر خمس مرات فى الأناجيل (مت ١٢: ٢١؛ لو٦: ٣٤؛ ٢٣: ٨؛ ٢٤: ٢١؛ يو ٥: ٤٥)...

إن غياب هذه الكلمة من الأناجيل وتعليم المسيح أمر يلفت النظر جداً، خصوصاً حينما نتذكر -ليس فقط أن اليهودية التى ينتمى إليها المسيح بالجسد وتلاميذه، كانت ديانة رجاء، بل إن نتيجة تعليم رب المجد يسوع كانت تعميق وتوسيع هذا الرجاء، بما اضفاه عليه من غنى الإيمان المسيحى... **كان الرجاء الدينى عظيماً كما نرى ذلك واضحاً فى العهد القديم، لكنه يتضاءل إذا ما قورن «بالرجاء الأفضل»** (عب ٧: ١٩)، الذى يستند إلى كهنوت المسيح الملكى غير المتغيّر.

لا شك أن التلاميذ كانوا مأخوذين جداً فى حاضرهم بإحساسهم بعمق توقعات المستقبل. كانوا شبه مأسورين بعظمة شخصية المسيح وعمق محبته، وتحققوا أن فيه رجاء إسرائيل. **وإذا كان سمعان الشيخ حينما حمل الطفل يسوع على ذراعيه،**

أحسّ أن رجاءه قد تحقق، فإن التلاميذ، إذ وجدوا المسيح كانوا بلا شك مأخوذين به، وكانوا لا يفكّرون فى أى اشتياقات أو تطلعات تتعلق بالمستقبل.

لكن لماذا صَمَتَ المسيح الذى علّم بضرورة الإيمان (مر ١١ : ٢٢؛ يو ٣ : ١٦)، وبضرورة المحبة (مت ٢٢ : ٣٧- ٤٠)، صمت إزاء الرجاء... السبب أن المسيح فيما كان يدرب اتباعه، كانت الضرورة الأولى أن يركزوا انتباههم على شخصه المبارك، كالشىء الذى فى حوزتهم، ولو أنه علمهم وبوضوح عما ينتظرهم من مجد فى آخر الزمان. إذاً فمعنى الرجاء موجود ضمنياً فى تعليم المسيح، وإن كانت كلمة «الرجاء» كفضيلة روحية لم ترد بالمعنى الحرف.

إرتباط الرجاء بالفضائل الأخرى :

يرتبط الرجاء بفضائل أخرى ... يرتبط بمحبتنا لله، ويرتبط بالإيمان به، ويرتبط بالتوبة، ويرتبط بالفرح، ويرتبط بالتعزية ...

أ - المحـــــبة :

الرجاء دافع وحافز نحو المحبة - محبتنا لله ... انه بمثابة انتظار الفجر ونور الصباح ... لكن علينا أن ننتبه إلى نقطة هامة وهى اننا لن ندرك هذا دفعة واحدة... وثمة فارق هام، وهو انه هناك فارق بين طريقة حسابنا فى حساب الزمن وطريقة الله فى ذلك... نحن نبدأ حسابنا بالصباح، ببهجة شروق الشمس، ثم يتقدم بنا النهار نحو الظلام والحزن ومأساة الليل... لكن الاصحاح الأول من سفر التكوين يرينا الله خالق الأيام الستة، وكيف انه يبدأ حساباته بالمساء «وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً»... إنه يبدأ حساباته بالمساء ثم يتقدم نحو الصباح، ثم يصل إلى أوج الظهيرة...

حرىّ بنا أن تشتمل حياتنا على هذا التدرج : من الآمال المحدودة، ومن الحب المحدود، الذى يشبه ضياء الصباح، إلى وهج الظهيرة الذى يمثل الحب غير المحدود... نحن ندخل إلى الحب غير المحدود عن طريق «باب الرجاء»، الذى يتكلم عنه الله فى سفر هوشع (٢ : ١٥)... هذا الدخول يعتبر بداية الامتلاك،

إلاّ أنه ليس هو الامتلاك الكامل. (مع ملاحظة أن الحب غير المحدود هو الذى يستطيع أن يمتلكنا، بينما لا نستطيع نحن أن نمتلكه).

لنتذكر كلمات المسيح لملاك كنيسة فيلادلفيا: « **هنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه** » (رؤ ٣ : ٨)... **هذا الباب المفتوح الذى لا يستطيع أحد أن يغلقه هو باب الرجاء وهو عينه الذى أشار إليه الله فى سفر هوشع ... إنه الباب الذى يقودنا إلى ملكوت الحب !!**

وفى مجال محبتنا لله لا شك أننا أضعنا فرصاً كثيرة ... **لكن الرجاء يتدخل فلا يجعلنا نحزن، ويُسِرّ فى آذاننا قائلاً: إن هذه الفرص التى ضاعت لا تقارن بالفرص الجديدة التى سوف يقدمها لنا الله**... حتى لو أعطانى الله قبل انتقالى من العالم فرصة واحدة، فإنه يمكننى أن استخدَمَها من أجل خلاص نفسى (اللص اليمين على الصليب). ولو استخدمتها حسناً فسوف تعوضنى عما سبق وأضعته من فرص سابقة ... فى كل يوم، وفى كل لحظة ينفتح أمامنا باب الرجاء ...

ب - الإيمـــــان :

الرجاء هو الفضيلة التى تتوسط بين الإيمان والمحبة. الإيمان يُظْهِرْ بنوتنا لله. والبنوة بحكم طبيعتها هى علاقة ثقة واتكال. هذه العلاقة - كما فى حياتنا الأرضية - تقوى بالرجاء. وكنتيجة لذلك تأتى المحبة كشىء محتوم. ومعنى ذلك أن الإيمان يمرّ من خلال الرجاء إلى المحبة. يقول بولس الرسول: « فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح الذى مات لأجلنا » (١ تس ٥ : ٨- ١٠).

يقول القديس أغسطينوس عن علاقة الرجاء بالإيمان :

[**الرجاء رفيق الإيمان . وهو ضرورى طالما أنك لا ترى ما تؤمن به، خوفاً من أن تيأس مما لا ترى فتفقد الإيمان**، انت تحزن لأنك لا ترى، ولكن تعزَّ لأنك ترجو أن ترى. **فليكن الرجاء معك رفيقاً للإيمان**... فى الزمان الحاضر ضيق، وفى المستقبل رجاء. فإذا لم تجد عزاءً فى رجاء المستقبل عن ضيق حادث لك الآن،

هلكت لا محالة ... فى الحاضر تؤمن ، وفى المستقبل ترى . طالما أنت تؤمن فالرجاء قائم فى هذا الزمان ... طالما أنت فى هذا الجسد فأنت بعيد عن المسيح . **أنت مسافر تتقدم بالإيمان وليس بالمشاهدة ... خلاصك الآن قائم على الرجاء وليس على الحقيقة ، لأنك لم تَنَلْ حتى الآن ما وُعدت به بل ترجوه** ... المسيح يقول لك : رجاء الكفرة فى الحاضر، ورجاؤك للمستقبل . رجاؤهم زائل ورجاؤك مضمون . رجاؤهم كاذب ورجاؤك حق ... شيدّ الرجاء فى قلبك واطرد منه عدم الايمان ... المؤمن لسان حاله يقول : أنا واثق يارب من مواعيدك . الماضية آمنت بها ، والحاضرة عرفتها ، والمستقبلة أرجوها ... هاهنا أنت يا الله رجائى ، وفى أرض الأحياء نصيبى] .

جـ - التوبـــة :

فى بداية طريق التوبة ، يحارب عدو الخير الإنسان باليأس . فيُصَعّب أمامه طريق التوبة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكشف أمامه ماضيه بكل ما فيه من خطايا بشعة . انه يحاول جهده أن يُدخل اليأس إلى نفسه ، لكى ما يعود إلى الخطية وهو فى بداية طريق التوبة ... والرجاء نافع جداً للإنسان فى هذه المرحلة ... الشيطان يجذبه بشدة للخلف ، والرجاء يعطيه دفعات قوية للأمام ... لقد أخطأ كل من يهوذا الاسخريوطى وسمعان بطرس خطيئة شنيعة . فالأول باع معلمه واسلمه مقابل ثلاثين من الفضة ، والثانى أنكر المسيح وجدّف عليه وشتمه أمام جارية حقيرة وليس أمام والٍ أو حاكم أو ملك ... لكن سمعان بطرس أحسّ بخطأه وندم ندماً شديداً وبكى بكاء مراً ، فقبله المسيح ورده إلى رتبته الرسولية ثانية بقوله له : « ارعَ غنمى ، ارعَ خرافى » ... **أما يهوذا ففقد رجاءه وذهب وانتحر.** ولو تاب يهوذا وندم لقبله المسيح على نحو ما قبل بطرس وكل الخطاة ... وقد عبرّ بطرس عن رجائه فى رسالته الأولى بقوله : **« القوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها إليكم »** (١ بط ١ : ١٣) ... « قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل مَن يسألكم عن **سبب الرجاء الذى فيكم** بوداعة وخوف » (١ بط ٣ : ١٥) .

وأورد كتاب بستان الرهبان قصة أخ كان ساكناً فى دير . وانه من شدة حرب

الشهوة كان يسقط فى الزنى مراراً كثيرة. فظل يُكره نفسه و يصبر كيلا يترك طريق الرهبنة. ومن أجل ذلك كان حريصاً على إتمام قانون عبادته من مزامير وأصوام ومطانيات. وكان يقول فى صلاته: [يارب أنت ترى شدة حالى وشدة حزنى فانتشلنى يارب إن شئت أنا أم لم أشأ، لأنى مثل الطين اشتاق إلى الخطية واحبها. ولكن أنت الإله القوى الجبار اجعلنى أكفّ عن هذه النجاسة، لأنك إن كنت ترحم القديسين وحدهم فليس هذا بعجيب، وإن كنت تخلّص الأطهار فقط فما الحاجة، لأن أولئك مستحقون. ولكن اظهر فىَّ أنا الغير مستحق عمل رحمتك العجيبة، لأنى إليك أسلمت نفسى]... هذه الصلاة كان يرددها كل يوم سواء أخطأ أو لم يخطىء. ففى ذات يوم وهو يردد هذه الصلاة حدث أن «ضجر الشيطان من حُسن رجائه وقاحته المحمودة، فظهر له وجهاً لوجه وهو يرتل مزاميره» وقاله له: [أما تخزى أن تقف بين يدى الله بالجملة وتسمى اسمه بفمك النجس؟!]. قال له الأخ: [ألست أنت تضرب مرزبّة وأنا أضرب مرزبة؟ أنت توقعنى فى الخطية وأنا أطلب من الله الرحوم أن يتحنن علىَّ، فأنا اضاربك على هذا الصراع حتى يدركنى الموت، ولا اقطع رجائى من إلهى. ولا أكف من الاستعداد لك. وسننظر مَن يغلب أنت أم رحمة الله]. فلما سمع الشيطان كلامه قال له: [من الآن لا أعود إلى قتالك، لئلا أسبّب لك أكاليل نتيجة رجائك فى إلهك]. وتنحى عنه الشيطان منذ ذلك اليوم... ورجع ذلك الأخ إلى نفسه وأخذ ينوح و يبكى على خطاياه السالفة. وكان إذا حورب بأفكار العظمة كان يتذكر خطاياه التى عملها. وإذا حورب بأفكار اليأس كان يترجّى الله و يتذكر محبته للخطاة.

يقول القديس أغسطينوس: [إن لم تكن الخطية قد انتزعت منك، فيجب ألاّ يُنتزع منك الرجاء فى الغفران... مازالت أمواج البحر تتقاذفنا، غير أننا ألقينا مرساتنا فى أرض الرجاء].

د ـ الفــرح والتــعزية:

الرجاء يُنشىء فى القلب سلاماً وفرحاً، على نحو ما يقول الرسول بولس إلى أهل رومية: «فرحين فى الرجاء» (رو ١٢ : ١٢)... فعدم الإيمان يُسبب قلقاً، والخطية

تنزع السلام من النفس، أما الرجاء فيهدّىء القلب و يسكّنه ويحل الفرح محل القلق والحزن. كما يملأ الرجاء قلب الإنسان بالتعزية ... يقول القديس أغسطينوس: [الرجاء ضرورى لك أيها المسافر، وعزاءٌ لك فى الطريق. حين تتعب فى سفرك تحمّل اتعابك على أمل الوصول. انزع عنك الأمل فى الوصول، تفقد للحال القدرة على السير... أنت تعمل الآن ما يُرْجَى منه ثمر، ثم تذوق ثمرة عملك. ومع انك تأكل أتعاب أعمالك فأنت سعيد. وكم تكون سعيداً أوان الحصاد ؟! إن كان للرجاء هذا القدر من العذوبة، فما أعذب الحقيقة ؟!].

إن موضوع قيامة السيد المسيح من بين الأموات يقدّم فكرة عظيمة عن الرجاء... هذه الفكرة هى انه مهما ساد الموقف الظلام، وتعقدت الأمور، واشتدت الضيقات، وكثر الأعداء، وقالوا: « ليس له خلاص بإلهه » (مز ٣)، فهناك ـ رغم ذلك كله ـ لنا رجاء فى المسيح المخلّص. إن الفرح يجتمع مع الرجاء. لقد بدّل المسيح حزن تلاميذه إلى فرح، وطمأن الخائفين الذين كانوا يحكمون اغلاق أبواب نوافذ وأبواب العليّة، فإذ بالمسيح يقف فى وسطهم و يقول لهم: « سلام لكم ». لقد ذهبت مريم المجدلية ومعها الحنوط إلى قبر المسيح فجر الأحد « والظلام باقٍ »... ولما رأت القبر فارغاً، أسرعت واخبرت بطرس و يوحنا. و بعد أن عاينا انصرفا، « أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى » لم تنصرف بسرعة كان لها رجاء فى رؤية سيدها وحبيبها. ومن أجل رجائها رأت ملاكين فى القبر، ثم بعدها رأت الرب يسوع نفسه وكلمها، وكانت أول مَن رأته، وكانت أول مَن بشر التلاميذ بالقيامة المجيدة (يو ٢٠).

لماذا نترجّى الله ؟

نحن نترجى الله بالنظر إلى بعض صفاته ووعوده للإنسان ...

أ ـ قدرة الله :

من صفات الله أنه كلى القدرة أو قادر على كل شىء ... ولذا فنحن نرجوه من هذه الوجهة ... وطبيعى ان الإنسان لا يرجو شيئاً أو أمراً من إنسان ضعيف

لا يملك القدرة ... هكذا اختبر رجال الله قدرة الله وتغنّوا بها والتمسوها ...

يقول المرتل : « اطلبوا الرب وقدرته . التمسوا وجهه دائماً » (مز ١٠٥ : ٤)... ويقول داود النبى : « يباركك اتقياؤك . بمجد مُلكك ينطقون وبجبروتك يتكلمون . ليعرّفوا بنى آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك » (مز ١٤٥ : ١٠ - ١٢)... إن الله فى سفر إشعياء يتساءل فى دهشة : « هل قَصَرَتْ يدى عن الفداء . وهل ليس فىّ قدرة للانقاذ » (إش ٥٠ : ٢)... ويصلى القديس بولس من أجل أهل أفسس لتستنير عيون أذهانهم ليعلموا « ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين . وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين ، حسب عمل شدة قوته » (أف ١ : ١٦ - ١٩)... وحينما يتكلم بطرس الرسول عن الله يشير إلى أن « قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة » (٢ بط ١ : ٣).

حينما يحسّ الإنسان أنه يضع رجاءه فى أمر من الأمور فى الله القادر على كل شىء ، حينئذ تهدأ نفسه ويستريح ، عالماً وموقناً أن أموره هى بين يدى إله قادر على كل شىء ... وكون الله قادر على كل شىء ، فهو قادر على حفظنا من الأشرار ومؤامراتهم ومن الشيطان وكل فخاخه ، وهو بالجملة قادر أن يدبّر كل أمورنا حسب كلمته .

ب - محبــــــة الله :

إن إيماننا بمحبة الله للبشر عامة ، وللخطاة خاصة ، يجعلنا نتقدم إليه فى رجاء . **نؤمن بمحبة الله لنا ، من أجل ذلك نرجوه** ... إن كلمات السيد المسيح إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا تشجعنا وتملأ قلوبنا رجاءً ، وتكشف عن المحبة الإلهية التى تُزيد وتقوّى رجاءنا فيه ... « هذا يقوله القدوس الذى ... يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح . أنا أعارف أعمالك . هنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يُغلقه ... **لأنك حفظت كلمة صبرى ، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة** » (رؤ ٣ : ٧ - ١٠).

جـ ـ مواعيـــد الله :

ما أكثر وعود الله لنا . إن الكتاب المقدس بعهديه ملء بوعود الله ، التى يصفها القديس بطرس بأنها « عظمى وثمينة » (٢ بط ١ : ٤) ... والله صادق فى مواعيده لأنه « ليس إنسان فيكذب ولا ابن إنسان فيندم » (عدد ٢٣ : ١٩) ... وهو لا يتباطأ عن وعده (٢ بط ٣ : ٩) ... إن كل مواعيد الله الطيبة هى لك إن أنت أحببته « فكل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو ٨ : ٢٨) . **لذلك يقول بولس الرسول : « لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين »** (عب ١٠ : ٢٣) ... نعم إن الله صادق فى كل ما أعطانا من مواعيد ... وصدق سليمان فى صلاة تدشين الهيكل الذى بناه حينما قال : « مبارك الرب الذى أعطى راحة لشعبه ... **ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح »** (١ مل ٨ : ٥٦) ... وصدق يشوع فيما قاله لشيوخ إسرائيل فى كلامه الوداعى حينما شاخ : « وها أنا اليوم ذاهب فى طريق الأرض كلها **وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلّم به الرب ... لم تسقط منه كلمة واحدة »** (يش ٢٣ : ١٤) .

د ـ عناية الله :

ونحن نترجّى الله من أجل عنايته بنا ... فلقد قال : « **لا اهملك ولا أتركك** ، حتى اننا نقول واثقين الرب معينٌ لى فلا أخاف ماذا يصنع بى إنسان » **(عب ١٣ : ٥ ، ٦)** .. لقد اختار له اسماً فى التجسد يعبرّ عن انه معنا دائماً « ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٣) ... **ما أحلى وعود الرب التى بها يعبرّ عن عنايته بأولاده**. يقول بفم إشعياء النبى : « هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها . **حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك . هوذا على كفى نقشتك »** (إش ٤٩ : ١٥ ، ١٦) . ويقول بلسان زكريا النبى : **« مَن يمسكم يمسّ حدقة عينه »** (زك ٢ : ٨) ... **إن آخر وعد أعطاه الرب يسوع لنا فى شخص تلاميذه : « ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر »** (مت ٢٨ : ٢٠) ... ويقول المرتل : « الاتكال على الرب خير من الاتكال على البشر . والرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء » (مز ١١٨ : ٨ ، ٩) .

لقد وعد السيد المسيح ان **أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة** (مت ١٦ : ١٨) ... وقال عن المؤمنين به : «**لا يخطفها أحد من يدى. أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى**» (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) ... لقد رآه يوحنا فى الرؤيا «شبه ابن الإنسان فى وسط السبع المناير **ومعه فى يده اليمنى سبعة** كواكب ... نعم إن الرب يسوع المسيح مازال وسط كنيسته ، **ومازال يمسك** بخدام الكنائس وبأولاده (رؤ ١) .

مما يُقوّى فينا الرجاء :

الرجاء شأنه شأن بقية الفضائل ينمو ... يقول بولس الرسول إلى أهل رومية : «وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام فى الإيمان **لتزدادوا فى الرجاء** بقوة الروح القدس» (رو ١٥ : ١٣) ... **وإذا كان الرجاء ينمو فما الذى ينميّه فينا ؟**

أ ـ **الوقوف على صفات الله والتفكّر فيها** لا سيما محبته ورحمته وعنايته بأولاده وقد اشرنا إلى ذلك فى النقطة السابقة .

ب ـ **القراءة فى الكتب المقدسة** ... يقول الرسول بولس : «لأن كل ما سبق فكُتب كتب لأجل تعليمنا ، حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء» (رو ١٥ : ٤) .

جـ ـ **الضيقات والصبر** ... وهذه من شأنها أن تقوّى رجاءنا فى الله ... يقول الرسول بولس : «**عالمين أن الضيق يُنشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى**» (رو ٥ : ٣ ـ ٥) ...

حدث انه فى السنة الرابعة عشرة **للملك حَزَقيا صعد سنحاريب ملك آشور** على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها . وأرسل حزقيا إلى ملك آشور يقول : «قد أخطأت ارجع عنى ومهما جعلت علىَّ حملته» ، ففرض عليه غرامة باهظة ، حتى أن حزقيا دفع جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك ، وقَشَّر الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها ودفع الجميع إلى ملك آشور» ... ورغم ذلك أرسل سنحاريب ملك آشور جيشاً عظيماً إلى أورشليم ... وقال قائد جيش سنحاريب

لرجال حزقيا : «**قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك العظيم ملك آشور، على مَن اتكلت حتى عصيت عليَّ**» ... **وعيّر الله الحى !!**

فلما سمع الملك حزقيا **ذلك الكلام مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب** ، وأرسل بعض ماشيته وبعض شيوخ الكهنة متغطين بمسح إلى إشعياء النبى يسألونه أن يرفع الله عن البلاد هذه الغمة ... **وعاد أيضاً قائد جيش سنحاريب يهدد حزقيا قائلاً : «لا يخدعك إلهك الذى أنت متكل عليه ...». وأخذ حزقيا الرسائل من أيدى الرسل وقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ، ونشرها حزقيا أمام الرب وصلى للرب قائلاً : «امل يارب اذنك واسمع . افتح يارب عينيك وانظر واسمع كلام سنحاريب الذى أرسله ليعيّر الله الحىّ ... والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك» ...**
فأرسل إشعياء إلى حزقيا قائلاً : « هكذا قال الرب إله إسرائيل الذى صليت إليه من جهة سنحاريب ملك آشور . قد سمعت » ...

وحدث فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. ولما بكّروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة . **فانصرف سنحاريب ملك آشور وعاد راجعاً إلى نينوى . وفيما هو ساجد فى بيت إلهه نسروخ ضربه ابناه بالسيف ومات** « ٢ مل ١٨ ، ١٩) ...

هكذا نرى كيف أن الضيقة العظمى التى وقع فيها حزقيا كانت سبباً فى تقوية رجائه فدخل إلى بيت الرب ونشر أمامه رسائل سنحاريب ، ولسان حاله يقول للرب : « إلى مَن أذهب أنت معين مَن ليس له معين ورجاء مَن ليس له رجاء » .

د ـ قراءة الكتب الروحية ، لا سيما سير رجال الله ومعاملاته معهم ... هؤلاء القديسون الذين ـ رغم شدة الحروب والتجارب التى واجهوها ، لم ينقطع الرجاء من قلوبهم فى الله ، دون أن يشكوّا لحظة فى محبته وعنايته ، ووثقوا أن الله إنما يجربهم لخيرهم ، ولأجل المنفعة لكى يشتركوا فى قداسته (عب ١٢ : ١٠) ... **وظلوا فى انتظارهم لله حتى رفع عنهم التجارب أو أعطاهم سؤل قلوبهم : «نفسى تنتظر الرب أكثر من أنتظار الحراس للصبح والساهرين للفجر»** (مز ١٣٠) ... **«انتظر الرب ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب»** (مز ٢٧) .

المسيح رجاء المتعبين :

أ - رجاء المرضى :

ما أكثر المرضى الذين لم يخيّب المسيح رجاءهم فيه وشفاهم من أمراضهم ... **لكننا نقدم ثلاثة أمثلة : مريض بيت حسدا ، المرأة الكنعانية ، المرأة نازفة الدم** ...

● **مريض بيت حسدا :** هذا المريض عانى من المرض طويلاً . مكث ٣٨ سنة . ويبدو أنه إلى جانب آلام الجسد ، كان يعانى من آلام نفسية ... لقد كشف المسيح سر هذا المرض بعد شفائه . كان سبب مرض ذلك الرجل هو الخطية . لقد قال له المسيح ذلك صراحة : « ها أنت قد برئت ، فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) ... ولقد كان اليهود لا يتعاملون مع الخطاة ، خاصة مَن يظنون أنفسهم أبراراً ، ولذلك كانوا يأخذون على المسيح أنه يجالس الخطاة ويأكل ويشرب معهم . ولذا فالمرجح أن هذا الإنسان - كخاطىء - فى نظر بنى جنسه كان معزولاً . يعيش وحده . حتى انه حينما سئل من المسيح : « أتريد أن تبرأ » ، كان جوابه على الفور: « يا سيد ليس لى إنسان » . ويبدو ان الناس من طول المرض الذى عانى منه ، انفضوا من حوله . فالمدة طويلة جداً ، ثمان وثلاثون سنة !! لقد تخلى الناس عن ذلك المريض ، وكان المسيح وحده هو رجاؤه . كانت كل آمال ذلك المريض أن يلقيه أحد فى ماء البركة بعد أن يحركها الملاك . لكن إله الملائكة علم بمعاناته وأتاه دون أن يطلبه . وبكلمة واحدة أبرأه « قم احمل سريرك وامشِ » .

● **إبنة الكنعانية :** والمرأة الكنعانية كانت أممية وثنية . وكانت ابنتها بها روح نجس أصابها بالجنون الشديد ... هذه المرأة تعلقت بالمسيح برجاء عجيب من أجل شفاء ابنتها ... والحديث الذى دار بينها وبين المسيح -على ظاهره- لم يكن حديثاً ودياً مشبعاً بالعطف على عكس عهدنا بالمسيح فى معاملاته مع الآخرين ... حتى حينما شبهها المسيح بالكلاب لم تفقد رجاءها ، وظلّت على لجاجتها ، حتى ظفرت فى النهاية بما أرادت : « يا امرأة عظيم إيمانكِ . ليكن لكِ كما تريدين » فشفيت ابنتها من تلك الساعة !! (انظر مت ١٥ : ٢١- ٢٨ ؛ مر ٧ : ٢٤- ٣٠) .

● **نازفة الدم** : وهذه هى الأخرى عانت من المرض الجسدى والألم النفسى... فقد ظلت تنزف مدة اثنتى عشرة سنة، وأنفقت كل ما تملك على الأطباء، وللأسف كانت حالتها تزداد سوءاً!! هذا فضلاً عن معاناتها من عزلتها عن المجتمع. فقد كانت معتبرة حسب الشريعة نجسة، وتُنجس كل ما تنام عليه أو تجلس عليه، بل إن كل مَن كان يمسّ فراشها يتنجس (لا ١٥: ١٩- ٣٢). وعلى الأرجح - إذا كانت متزوجة - طلقت من زوجها حسب تعليم معلمى الشريعة اليهودية... هذه المرأة فى بؤسها صارت بلا رجاء... سمعت عن يسوع وقالت فى نفسها: إن مسست ثوبه فقط شُفيتُ»... هذه لم تجد فى نفسها الجرأة والشجاعة أن تتقدم للمسيح تطلب منه الشفاء، فهى المرأة النجسة، المنبوذة من مجتمعها... لذا لم يكن أمامها سوى أن تندس وسط الجموع المزدحمة حوله لتلمس هدب ثوبه... لقد ظنت فى نفسها أن المسيح لن يحسّ بها... بل إن التلاميذ أنفسهم حينما قال المسيح: «مَن لمس ثيابى»، ردّ عليه تلاميذه مستنكرين: «أنت تنظر الجمع الذى يزحمك وتقول مَن لمسنى». لكن المسيح أحسّ بلمسة إيمان قد تعلّقت به... كان المسيح رجاء هذه المرأة البائسة لقد شفاها من علتها بكلمة: «يا ابنة إيمانكِ قد شفاكِ. إذهبى بسلام، وكونى صحيحة من دائكِ» (انظر مت ٩: ٢٠- ٢٢؛ مر ٥: ٢٥- ٣٤؛ لو ٩: ٤٣- ٤٨).

٢ - رجـــاء الخطـــأة :

وعلى نحو ما كان المسيح له المجد رجاءً للمرضى، فقد كان رجاء للخطاة... وخير مثل يقدمه لنا الإنجيل المقدس، هو لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح فى بيت سمعان الفريسى، والذى دوّنه لنا القديس لوقا فى بشارته (لو ٧: ٣٦- ٥٠)... **يقول عنها لوقا**: «امرأة فى المدينة كانت خاطئة». **هذه المرأة علمت أن** الرب **يسوع** متكىء فى بيت سمعان الفريسى، «فجاءت بقارورة طيب، **ووقفت من** ورائه باكية، وابتدأت تبلّ قدميه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبّل قدميه، وتدهنهما بالطيب»...

هذه المرأة لم يكن لها أدنى رجاء فى حياة مقدسة ... لقد كانت حياتها مكشوفة لكل أهل مدينتها. لقد ضاعف من ثقل خطاياها نظرة الناس إليها.

ليس مَن يمد يده لينتشل نفساً تردت فى هاوية الرذيلة ... جاءت إلى بيت الفريسى ... ومعلوم ماذا تكون نظرة ذلك الفريسى وحكمه عليها . وهذا ما تكشفه القصة . فلما رأى الفريس تصرفات المرأة الخاطئة نحو المسيح ، وهو لا ينفر منها ولا ينتهرها ، بدأ يقول فى نفسه : « لو كان هذا نبياً لعلم مَن هذه المرأة التى تلمسه وما هى . إنها خاطئة » ...

كانت أفكار الفريسى غير المقدسة وشكّه فى المسيح ، سبباً فى أن يكشف محبة تلك المرأة الخاطئة للتوبة ، ولشخصه ، الذى يقدر أن يريح نفسها و يهبها الغفران ، إزاء محبة ذلك الفريسى الضعيفة للرب !!...

كانت تلك المرأة الخاطئة تحسّ بآثامها الكثيرة ، وجاءت إلى السيد المسيح فى خزى عظيم ، لذا وقفت من ورائه حياءً وخجلاً ... **لكن المسيح الذى جاء ليخلص الخطاة ، وهو فاحص القلوب ، الذى علم أن تلك المرأة وضعت كل رجائها فيه ، بعد أن نبذها المجتمع ، لم يخيّب رجاءها فيه ... بل كشف عن محبتها وعظم ندمها وتوبتها وغفر لها خطاياها ، وأضاف قائلاً للمرأة : « إيمانكِ قد خلّصكِ . إذهبى بسلام » !!**

٣ ـ رجـــاء المتألمـــين :

ونقدم مثلين على ذلك ... اقامة المسيح له المجد للشاب ابن أرملة نايين (لو ٧ : ١١ ـ ١٧) **ومشاعره تجاه مرثا ومريم أختى لعازر الذى مات** (يو ١١) .

● **لم يكن تحرك السيد المسيح عشوائياً ، بل كان تحركه بهدف . ومن أمثلة ذلك ذهابه من مدينة كفر ناحوم إلى مدينة نايين ... أحسّ أن هناك امرأة ثكلى فقدت وحيدها الشاب .** ولنا أن نحسّ بمدى الحزن الذى كان يعتصر قلب تلك الأم ... إنه شاب ثم انه وحيدها ... هل يستطيع المعزّون أن يدخلوا العزاء إلى قلبها ... لا أعتقد . فكثيراً ما يكون كلام المعزين متعباً وملهباً للمشاعر . وصدق أيوب حينما قال لأصحابه الذين جاءوا إليه يعزونه فى محنته : « معزّون متعبون كلكم » (أى ١٦ : ٢) . لقد ادرك الشاب محمولاً فى النعش وهم فى طريقهم إلى المقابر ، قبل أن يواروه التراب ... يقول القديس لوقا : « فلما رآها الرب تحنن عليها ، وقال لها لا تَبْكِ . ثم

تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه».

لا أظن أن تلك الأم الثكلى كان يراودها أى أمل فى أن يعود إبنها الشاب إلى الحياة. وماذا يُجدى البكاء والدموع ... لكن المسيح، الذى هو رجاء مَن ليس له رجاء، تحنن على المرأة وطلب إليها ألاَّ تبكى وأقام ابنها ودفعه إليها حياً..

● **ومن أمثلة المسيح رجاء المتألمين، مرثا ومريم أختا لعازر اللتان كانتا منذ اللحظة الأولى لمرض أخيهما متعلقتين بالمسيح.** فحينما مرض لعازر: أرسلت الأختان إليه قائلتين: **يا سيد هوذا الذى تحبه مريض** (يو ١١ : ٣). لكن المسيح تباطأ فى الذهاب لكى يتمجد بإقامة لعازر من القبر. ذهب المسيح إلى بيت عنيا، وكان لعازر قد مات. **وحالما لاقته مرثا قالت له: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى. لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك الله إياه»... وحينما لاقت مريم الرب يسوع قالت له نفس كلام أختها: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى»... إن هذا الكلام يوضح مدى الرجاء الذى كان فى هاتين الأختين فى شخص الرب يسوع. إنه رجاء لم يقف عند حد إمكان شفاء المسيح للعازر وهو بعد مريض، بل امتد إلى ما بعد الوفاة... ونحن نعلم ماذا فعل الرجاء فى النهاية. لقد قام لعازر بكلمة المسيح الآمرة «لعازر هلم خارجاً».**

٤ - رجــاء المنــبوذين :

إن كنا قد تكلمنا عن المرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى تحت عنوان «المسيح رجاء الخطاة»، **لكنها فى نفس الوقت مثال للمسيح رجاء المنبوذين...** فالمرأة كانت خطيئتها علنية ومعلومة لأهل مدينتها. وبالتأكيد كانت منبوذة من مجتمعها. ورأينا كيف قبلها المسيح، وردها إلى طريق الصلاح...

● **وهناك قصة المولود أعمى بعد المعجزة العظيمة التى صنعها معه السيد المسيح بأن خلق له عينين من الطين وأسكن فيهما النور بكلمته...** لقد تمت هذه

المعجزة فى يوم سبت. وثارت مجادلات ومناقشات بين الفريسيين من ناحية وبين المولود أعمى ووالديه من ناحية أخرى. لأن المسيح فى نظر الفريسيين «ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت»... وكان موقف الوالدين مزرياً حينما تنصّلا من الكلام فى المعجزة خوفاً من اليهود الذين تكتلوا وقرروا انه إن اعترف أحد بأن يسوع هو المسيح يخرجونه من المجمع... وكان موقف المولود أعمى عظيماً، اعترف فيه بكل ما صنعه المسيح معه ودافع عن صلاحه «منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً». **فأخرجوه خارج المجمع... والطرد من المجمع عقاب شديد عند اليهود...**

ماذا فعل المسيح «سمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له **أتؤمن** بابن الله. أجاب ذاك وقال مَن هو يا سيد لأؤمن به. فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن يا سيد وسجد له» (يو ٩)... **نعم لقد كان المسيح رجاء ذاك الذى نبذه اليهود وطردوه من مجمعهم. إنه عقاب أشبه بالحرم الآن...**

● **وهناك قصة المرأة التى أمسكت فى ذات فعل الزنا، وأحضرها له الكتبة والفريسيون ليسمعوا حكمه عليها...** كانت الشريعة تقضى بأن تُرجم مثل تلك المرأة... لكن ماذا فعل المسيح معها ومعهم... أما المشتكون عليها فقد لقنّهم درساً أن يبحثوا عن خلاص أنفسهم حينما كشف لهم خطاياهم وقال لهم: «مَن كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر»... لقد انصرف الجميع وانسحبوا فى خزى حينما كشف المسيح خطاياهم المخبوءة، وبقيت المرأة بمفردها مع المسيح، فقال لها: «يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ. أما دانكِ أحد. فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينكِ. إذهبى ولا تخطئى أيضاً» (لو ٨: ٣ - ١١).

لقد افلتت هذه المرأة من الموت بأعجوبة. حينما وقعت فى أيدى أولئك الفريسيين، كانت لا محالة ستواجه عقوبة الموت رجماً بالحجارة... وكان المسيح لها هو الرجاء الذى انقذها من موت الجسد ومن موت الخطية.

أمثلة لأشخاص تعلقوا بالرجاء :

١ ـ البــارة مونيــكا :

هى أم القديس أغسطنيوس الذى وصل إلى أعماق سحيقة فى الخطية، ثم تاب وبلغ سمو الفضيلة... لقد افتقد الله هذه النفس من أجل صلوات أمه البارة ولجاجتها... **ولكن ما يهمنا أن نتكلم عنه فى هذا المقام هو رجاؤها فى توبة ابنها والذى تحقق بصلواتها وسعيها الدائب من أجله...**

لم يكن أبنها وحده هو الذى تعلقت من جهته برجاء عجيب فى الله، بل ان هذا الرجاء بدأ يُظهر ثماره أولاً فى زوجها، ثم تألّق فى ابنها أغسطينوس... تزوجت من زوج وثنى شرير، وكانت أمه على شاكلته وحتى الخدم أيضاً... لكنها اعتبرت ذلك صليبها الذى يجب عليها أن تحمله فى شكر، ووضعت رجاءها فى الله الذى يستطيع كل شيء. وبالفعل استطاعت أن تكسبه وصار مسيحياً... بل صارت فى رجائها فى الله ومحبته لخلاص الخطاة تشدد وتشجع النساء الأخريات اللائى كان لهنّ أزواج على شاكلة زوجها.

وبعد وفاة زوجها انحرف اغسطنيوس ابنها انحرافاً شديداً... طلبت إلى أسقف مدينتها أن ينصحه لكى يردّه، لكنه اعتذر لأنه كان يعلم أنه لا جدوى من النقاش مع إنسان يعتدّ بعقله وذكائه. ترك مسقط رأسه بشمال أفريقيا وذهب إلى روما حيث الشهرة، ولم تُجْدِ توسلاتها إليه فى أن يبقى إلى جوارها، ولم تكن هناك بارقة أمل فى توبته بعد أن تردّى فى هاوية الرذيلة إلى أعمق أعماقها!!

ظلت مونيكا متعلقة برجائها مدة عشرين سنة تصلى بدموع وتركض وراءه ـ وهو الابن الضال ـ من بلد إلى بلد، وتسأله أن يترك طريق الشر بلا تذمر أو يأس... أخيراً تحقق رجاؤها وأتت الصلوات والدموع بثمارها، حين قبل ابنها الإيمان، وتعمد على يد أسقف ميلانو العظيم امبروسيوس. وسافرت هى إلى ميلانو وحضرت عماد ابنها، وكانت فرحتها حينئذ لا توصف... عاد الابن إلى أفريقيا، وعادت هى معه... وكانت شهوة قلبها أن تنطلق من هذا العالم.

وبالفعل حقق الله شهوتها وانطلقت نفسها إلى المجد بعد أيام، وكان لها من العمر ست وخمسين سنة ...

يقول عنها أغسطينوس بعد توبته مناجياً الله : [أمى التقية قد تكلمت. وصوتها على ما أرى كان صدى صوتك. فإنها كانت تلّح علىَّ بشدة لاعتزل الغوانى وكل أنواع الفجور. وأما أنا فما كنت أعيرها أذناً صاغية، ولا أكترث بأقوالها، لأنها أقوال امرأة، بينما هى صادرة من لدنك. فكان امتهانى لها امتهاناً لك. وعدم اعتبارى لها، عدم اعتبار لأقوالك ... باتت أمى تبكى علىَّ بكاءً فاق بكاء الأمهات على فقد أولادهن بالموت الجسدى. وأنت يا مولاى قد استمعت لها. ولم تزل تلك الدموع التى كانت تذرفها فى صلواتها بين يديك، حتى كانت تبلل وجه الأرض من مدامعها].

٢ ـ المرحوم جندى فام :

كان يعتبر المرحوم جندى فام من الأبرار المعاصرين . كان يعمل ناظر محطة بالسكة الحديد، وقد تنيح منذ نحو خمس عشرة سنة ... ربطتنى به محبة قوية رغم فارق السن. تعلقت بمحبته من أجل تقواه واستقامته وطيبته ... كنت أشكو من المضم والمعدة. فقال لى : [منذ مدة كنت أعانى من آلام فى معدتى، حتى شرب الماء كانت معدتى لا تحتمله. لكن بعدما حطّ أبو جريس (يقصد مار جرجس) يده فى داخلى حتى انتهت كل تلك الآلام بالتبعية] ... سألته عن قصة أبو جريس فروى لى قصة المعجزة الآتية ...

مرض بالكبد ـ وكان فى ذلك الوقت معاوناً بمحطة سكة حديد السَمَطَة قرب دشنا بالوجه القبلى ـ وحدث ذلك منذ نحو ستين عاماً ... واتضح انه يعانى من خراج فى الكبد ... وعرض نفسه على أطباء كثيرين، وأجمع الجميع على وجوب عمل عملية جراحية فى الكبد. وكانت نتيجة هذه العملية فى ذلك الوقت ـ قبل ظهور المضادات الحيوية ـ هى واحد فى الألف ... وبناء على ضعف الأمل فى نجاح العملية رفض الفكرة.

فى صباح يوم أحد ، أحسّ بتعب شديد جداً ، فلم يقوَ على الذهاب إلى الكنيسة ، وكان عليه أن يلقى عظة القداس ... فمن شدة التعب ألقى بنفسه على الفراش وقال : [أنا لا رايح كنيسة ولا حاجة] ... نام ، وفى نومه رأى حلماً ... رأى إنساناً يلبس ثياباً بيضاء كالأطباء الذين يجرون عمليات جراحية ... وقال له : [قم . فيه حدّ ينام يوم الأحد ولا يذهب إلى الكنيسة] ... أجابه عم جندى : [أنا تعبان ومش قادر أروح] . أجابه ذلك الرجل : [والتعبان مش يروح للدكتور علشان يخف وما يحرمش نفسه من الذهاب للكنيسة ؟] . قال له المرحوم عم جندى : [أنا رحت للدكاترة وقالوا لازم من عملية جراحية] . قال له : [طب مش تعمل العملية علشان تخف] . **أجاب المرحوم جندى : [لغاية كده ومش راح أعمل عمليات . إذا كان الله يعجز انه يعمل لى العملية، أروح للدكاترة. لكن إذا كان ربنا مش عاجز، فأنا يستحيل أعمل عملية. وراح أفضل كده]. قال له الرجل : [هل أنت مصمم على كده ؟] أجابه : [نعم أنا مصمم].**

قال لى المرحوم جندى ، مدّ ذلك الرجل - الذى فى صورة الطبيب - يده إلى بطنى من جهة اليمين، ناحية الكبد وعمل بيده وكأنه يفتح سوسته . وأخرج الكبد واستأصل الخراج . وبعد أن انتهى من ذلك، عمل بيده على بطنى وكأنه يقفل سوسته . وفى هذه اللمسة الأخيرة استيقظت بدون أى ألم ... بل كان عم جندى يعانى من تعب فى المعدة، شُفى منه ضمناً ... وهذا معنى عبارته [من ساعة أبو جريس ما حطّ ايده فى بطنى وكل حاجة بقت تمام] ... **ولم يكن أبو جريس هذا إلاّ الشهيد البطل مار جرجس الذى أجرى له العملية الجراحية واستأصل الخراج بطريقة معجزية ...**

حياة السلام

* المسيحية والسلام .
* السلام والإيمان المسيحى .
* المسيحى والسلام .
* اختبار السلام فى حياة رجال الله .
* ومع السلام يأتى الفرح .

« السلام والسلام الكامل » ... يا لها من كلمات لها نغم جميل وموسيقى شجيّة !! إن مجرد ذكرها يملأ القلب بالأشواق التى تريد الشبع والارتواء ... قد ننجح أحياناً فى اسكات هذه الرغبات الداخلية ، على نحو ما تسكت أم طفلها الهائج بطريقة مؤقتة ... لكن هذه الرغبات سرعان ما تعاود الظهور وهى أكثر ما تكون تشوقاً وتعطشاً .

نستطيع أن نرى سلاماً فى الطبيعة ولو إلى حدٍ ما ... فهناك سلام فى زرقة السماء الصافية . وهناك السلام الذى يغمر البحيرة الهادئة التى يكتنفها الجبل ، فتكون فى حمى من الرياح العاصفة . بل إننا نلحظ السلام فى الحقول المتسعة ، بعد أن يكون الربيع قد خلع عليها حلّة سندسية خضراء ... إلى غير ذلك منْ مظاهر الطبيعة التى تنطق بالسلام .

حمداً لله أنه يوجد سلام للبشرية ... كان يعقوب أب الآباء طريح الفراش فى مصر أرض الغربة ، وظهرت على وجهه علامات دنو الموت منه . وفى نفس الوقت بدت على محيّاه أنوار العالم السماوى الذى كان منطلقاً إليه ... **وفى رقاده تنبأ عن « شيلون » رئيس السلام ، وعن قدومه إلى العالم ليعطى سلاماً للناس** ...

ومضت أجيال يعقبها أجيال ، ولم يأتِ شيلون بعد ... **وأخيراً ظهر بين الناس إنسان كانت حياته مليئة بالحزن والتعب « رجل أوجاع ومختبر الحزن » . ولكن وجهه الهادىء دلّ على السلام الكامل الذى غمر قلبه . هو الذى تواترت عنه مواعيد الأنبياء بأنه الواهب السلام للناس ... كان قلبه زاخراً بالسلام فاستطاع أن يقول : « سلامى » . كانت له القدرة على إعطاء السلام للآخرين لأنه قال : « سلامى أعطيكم »** ...

المسـيحية والسـلام :

هل المسيحية دعوة إلى الضيق والحزن كما يتوهم البعض « بضيقات كثيرة ينبغى أن تدخلوا ملكوت السموات » ... **وهل طريقها هو وادى الدموع** « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج » ... **ألا يوجد بها غير ذلك ؟ ثم ما الذى يدعونا إلى هذا الطريق الكرب ، وما الذى يشجعنا على السير فيه ؟!**

ليست المسيحية دعوة إلى حياة الضيق والحزن . بل هى على عكس ذلك رسالة التحرر والفرح « ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو برّ وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) . وملكوت الله هذا ليس هو الملكوت المنتظر فى الدهر الآتى فحسب ، بل انه الملكوت الذى نحيا فيه من الآن ونأخذ عربونه « ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢١) .

نعم إن المسيحية هى رسالة الفرح « يسوع المسيح الذى وإن لم تروه تحبونه . ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به ، **فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد** » (١ بط ١ : ٧ ، ٨) . إن الرسالة التى كتبها بولس الرسول من أسره الأول بروما إلى فيلبى ، هى أكثر رسائله التى تنضح فرحاً . فيها يقول : « **افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضاً أفرحوا** » (فى ٤ : ٤) ...

وحتى الدموع التى يذرفها الإنسان المؤمن - الذى يحيا لله وفى الله - ليست دموع حزن ، بل دموع فرح ، لأنه من خلالها يرى الله فيمتلىء قلبه فرحاً ... يقول مار إسحق : [طوبى للباكين من أجل الحق ، لأنه من خلال دموعهم يرون باستمرار وجه الله] .

ويصاحب الفرح سلام الله الداخلى الذى يملأ قلب الإنسان ... « ملكوت الله ... سلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) . **فما هو هذا السلام الداخلى الذى تنعم به كل نفس تحب الله ؟**

ليس من السهل أن نتكلم عن سلام الله . وهوذا القديس بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة ، ورأى أموراً لا يُنطق بها ، لم يستطع أن يقدم تعريفاً وافياً عنه ... كل ما استطاع أن يصفه به انه «يفوق كل عقل» (فى ٤ : ٧) ... وإذا كان يفوق كل عقل فكيف نستطيع أن نتحدث عنه . انه شىء يفوق إدراكنا !!

ما هو السلام إذن ؟

كل ما نستطيع قوله إن السلام هو حالة تصاحب حلول الله فى القلب ... إنها حالة الفرح القلبى . وأين يوجد السلام والفرح إلاّ حيث يوجد الرب

نفسه ... « ها ملكوت الله داخلكم » ... « المجد لله فى الأعالى ، **وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرّة** » ... **ومتى كان على الأرض سلام إلاّ حينما وُلد الرب يسوع ابن الإنسان ، فأتى بالمسرة إلى البشر** ... والخلاصة ان السلام هو الراحة القلبية والهدوء الداخلى نتيجة حلول الله فى هيكلنا الضعيف ...

السلام والإيمان المسيحى :

السلام هو ثمرة الإيمان الأولى ... « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » (رو ٥ : ١) . إنه ثمرة الإيمان الأولى لأن أساسه دم الفادى والمخلص **« صانعاً سلاماً بدم صليبه »** (كو ١ : ٢٠) ... **ويعتبر السلام من أعظم عطايا الله لبنى البشر فى شخص المسيح** ... فالسلام الذى فقدناه بالمعصية ، نستعيده بالإيمان من قبل تجسد الابن الكلمة .

ليس أدل على ذلك من الشعار الذى اتخذه المسيح فى تحيته لتلاميذه تعبيراً عن رسالته **« سلام لكم »** ... **وقد أوصاهم باستعمالها** ، حين أرسلهم أمامه فى إرساليات تدريبية « وأى بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلاماً لهذا البيت » (لو ١٠ : ٥) ...

والواقع أن هاتين الكلمتين « سلام لكم » ، ليستا تحية بقدر ما هما نعمة وقوة يهبهما المسيح «رئيس السلام» لكل المؤمنين باسمه ... إن هذا هو اللقب الذى تنبأ به إشعياء النبى قديماً عن المسيح : «لأنه يولد لنا ولد ، ونُعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً **رئيس السلام** » (إش ٩ : ٦) .

قلنا إن عبارة : « سلام لكم » ليست تحية بقدر ما هى نعمة وقوة يهبها المسيح للمؤمنين به ، بدليل قول السيد المسيح لتلاميذه : **«سلاماً أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) ... إذن فالسلام عطية روحية، وتركة مقدسة لكل البنين** . وتعبير السلام هو تحية رئيس الملائكة جبرائيل إلى العذراء مريم « سلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة » (لو ١ : ٢٨) .

نعم إن تعبير « سلام لكم » ليس مجرد كلمات ، لكنها قوة صيغت فى حروف بشرية . فتعبير السلام الذى استعمله الرب بعد قيامته المجيدة ـ حينما كان يحل فى

وسط تلاميذه - كان يملأ قلوبهم سلاماً وفرحاً وطمأنينة ...

إن السلام هو عطية مباركة يهبها الله لأولاده ... قال المرتل قديماً : **« الرب يُعطى شعبه قوة . الرب يبارك شعبه بالسلام »** (مز ٢٩ : ١١) ... **« انى اسمع ما يتكلم به الرب الإله . لأنه يتكلم بالسلام لشعبه وقديسيه ، وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم »** (مز ٨٥ : ٨ ، ٩) ... وفى العهد الجديد يقول معلمنا بولس الرسول : « فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون **عليهم سلاماً** ورحمة » (غل ٦ : ١٦) .

المسـيحى والسـلام :

قلنا إن السلام هو الثمرة الأولى لحياة الإيمان بالمسيح ، وانه العطية الروحية والتركة المقدسة التى تركها لنا السيد المسيح « سلامى أترك لكم » ... **والواقع ان حياة السلام هى الدليل الحقيقى على اننا فى شركة مقدسة معه .**

وإن كان السلام من ثمار الإيمان الحق ، ففقدان السلام ، أى القلق ، من ثمار الخطية ، التى حينما تنضج تؤدى بالإنسان إلى اليأس وقطع الرجاء وربما إلى التخلّص من الحياة كلية . ماذا يقول الكتاب المقدس عن الأشرار والسلام ؟! يقول الوحى الإلهى بفم إشعياء النبى : « أما الأشرار فكالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ . وتقذف مياهه حمأة وطيناً . **ليس سلام قال إلهى للأشرار** » (إش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١) ... ويقول داود النبى بعد أن أخطأ : **« ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى »** (مز ٣٨ : ٣) .

ولعل كلمات قايين التى قالها لله بعد أن قتل أخاه هابيل توضح لنا ذلك بأجلى بيان : « ذنبى أعظم . إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض . ومن وجهك اختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض . فيكون كل مَن وجدنى يقتلنى » (تك ٤ : ١٣ ، ١٤) ... إن الشهوات الجامحة والميول المنحرفة تأتى على سلام القلب ، على نحو ما تأتى النار على الخشب ، وكما يُتلف العث الصوف ...

لن يكون للإنسان سلام وراحة فى شهوات العالم ، بل قلق واضطراب . وهذا يتفق مع طبيعة العالم المتغيّرة والمتقلبة . أما سلام الله الحقيقى فيدوم معنا لأنه من الله الذى « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يع ١ : ١٧) ... ما أشبه مَن يطلب

سلاماً من العالم، بطائر يرفرف فوق أمواج البحر، ليس لقدميه مستقر. ويظل هكذا حتى يُعييه الطيران والتحليق !!

ما أشبه السلام الذى يتمتع به الإنسان المسيحى بالحكم فى مباراة كرة قدم !! فالحكم أثناء المباراة حينما يطلق صفارته، يكون ذلك دليلاً على أن هناك خطأً حدث أثناء اللعب. فيوقف اللعب ويُصحح الخطأ... **هكذا حينما نفتقد السلام داخلنا ولا نجده، كان ذلك بمثابة صفارة الحكم الذى وضعه الله داخلنا، ليعلن أن خطأ قد صدر عنا !!** ماذا يجب علينا أن نفعله حينئذ. علينا أن نتوقف - ولو من داخلنا - لنصحح الخطأ الذى ارتكبناه، ونرفع قلبنا بالتوبة إلى الله لأننا أخطأنا. أما إذا لم نتعرّف على هذا الخطأ، فعلينا أن نتخشع أمام الله طالبين منه أن يُعلن لنا سرّ هذا النذير الذى دوى فى أعماقنا... نعم «لا سلام للأشرار ومع الخطية». وبعد أن نصحح خطأنا، سيعود إلينا سلامنا ثانية...

ألم تختبر فى حياتك هذا الاختبار ؟ ... احسب انك بالتأكيد قد اختبرته... لا سلام مع الخطية... بعض الناس ممّن نعرف أنهم يسلكون طريق الخطية، ويعيشون فى الدنس، يبدون أمام الآخرين ضاحكين متهللين... **لكنه خداع... فلو كاشفك هؤلاء عما تنطوى عليه نفوسهم من كآبة ومرارة، لأدركت أن ضحكاتهم وتهريجهم ليس سوى ستاراً يخفون به مرارة نفوسهم !!** وفى كثير من الأحيان يلجأ هؤلاء إلى وسائل تدخل إلى نفوسهم البهجة والسرور... لكن هذا هرب من النفس. وهذه الوسائل هى بمثابة المسكّنات الوقتية. لكن ليس لها القدرة على إزالة ما بنفوسهم من ضيق وقلق...

والسلام يأتى مع النقاوة الداخلية. فالإنسان الذى لم يُخضع جسده لسلطان الروح، وفيه «الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد»، ويقاوم كلاهما الآخر، مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يتمتع وينعم بالسلام، بل يعانى من إنقسام الداخل... **أما إذا وصل إلى درجة النقاوة التى يتوقف فيها شغب الجسد وتبطل حركاته السَمِجَة، وصارت للروح القيادة على الجسد، حينئذ يملك السلام على هذا الإنسان، إذ خضع الجسد لسلطان الروح، وصار هذا الإنسان واحداً بعد أن كان اثنين متعاركين. مثل هذا هو السلام الداخلى الناتج عن النقاوة...**

اختبار السلام فى حياة رجال الله :

ولعل عمق اختبار السلام الداخلى نلمسه فى حياة القديسين ورجال الله الأبرار الذين ملك السيد الرب على قلوبهم، وسكنت فيهم كلمته بغنى ...

فداود النبى العظيم تكشف لنا مزاميره عما يتمتع به من سلام عميق ... **يقول :** « الرب نورى وخلاصى ممَن أخاف . الرب حصن حياتى ممَن أرتعب . عندما اقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى ، مضايقىّ وأعدائى عثروا وسقطوا . إن نزل علىّ جيش لا يخاف قلبى . إن قامت علىّ حرب ففى ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ١ - ٣) ... **وفى مزمور آخر يقول :** « إلهنا ملجأنا وقوتنا . ومعيننا فى شدائدنا التى أصابتنا جداً . لذلك لا نخشى إذا تزعزعت الأرض وانقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعج المياه وتجيش . وتتزعزع الجبال بعزته . مجارى الأنهار تفرّح مدينة الله . لقد قدّس العلىّ مسكنه . والله وسطها فلن تتزعزع » (مز ٤٦ : ١ - ٥) .

إن اختبار داود للسلام ليس قاصراً على أوقات الراحة ، بل أيضاً فى وسط الأخطار والضيقات كما هو واضح من كلامه ... وإن أنت سألت داود لماذا لا يخشى إذا تزعزعت الأرض ، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار، وحينما تعج المياه وتجيش وتتزعزع الجبال ، يجيبك بقوله : «لأن مجارى الأنهار تفرّح مدينة الله ، ولأن العلىّ قد قدّس مسكنه ، وهو فى وسطها فلن تتزعزع » ... إن مدينة الله ليست سوى قلب الإنسان المؤمن الذى يسكنه العلىّ . ومجارى الأنهار ليست سوى رمز للروح القدس وعمله فى الإنسان ... ألم يقل السيد المسيح : « إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب . **مَن آمن بى كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ . قال هذا عن الروح القدس** الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو ٧ : ٣٧ - ٣٩) .

إن سلام المسيح كالنهر ذى المياه الصافية ، يظل يتدفق ويعمق مجراه فى هدوء وسكون ، ممتداً إلى الأمام حتى يصب فى البحر اللانهائى ... « ليتك أصغيت لوصاياى ، **فكان كنهر سلامك ،** وبرك كلجج البحر» (إش ٤٨ : ١٨) ... **وعلى نحو ما يعمق النهر مجراه بعامل الزمن هكذا سلام الله يزداد عمقاً وتدفقاً على مرّ الأيام ...** « وأجعل ... كل بنيك تلاميذ الرب ، وسلام بنيك كثيراً » (إش ٥٤ : ١٣) ... قد

تزول الجبال، وتتزعزع الآكام، أما سلام الرب فيظل ثابتاً ...

إن موسيقى السلام الإلهي أعلى من هياج العاصفة ... انه اختبار تقدمه لنا بحيرة الجليل. فسلام الرب يسوع، الذي يعطى من فيضه لخاصته، يستطيع أن يُسكت أشد العواصف عنفاً، وأكثر الرياح هياجاً. لأنه حينما نهض السيد وانتهر الريح وقال للبحر «اسكت. ابكم»، سكنت الرياح وصار هدوءاً عظيماً ... .. **«سلام جزيل للذين يحبون اسمك. وليس لهم شك»** (مز ١١٩ : ١٦٥).

ومع السلام يأتي الفرح :

يصاحب السلام القلبى دائماً فرح عميق، وصفه الرسول بطرس بأنه «لا ينطق به ومجيد» (١بط ١ : ٨). انه فرح لا يُنطق به لأنه داخلى فى أعماق النفس لا يظهر بوسائل تافهة ورخيصة وهو لا يطفو على السطح (أى يظهر خارجاً) لأن النفايات هى التى تطفو على السطح. انه فرح عميق متأصّل فى القلب، يقول عنه رب المجد: «لا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦ : ٢٢)... وهو فرح لا يُنطق به لأنه لا يعبرّ عنه... انه وصف يشبه إلى حدٍ كبير وصف معلمنا بولس الذى وصف به السلام انه «يفوق كل عقل»...

وفى الوقت الذى كان الملائكة ينشدون الأنشودة الخالدة : «وعلى الأرض السلام»، كان ملاك آخر يبشر الرعاة قائلاً : «ها أنا أبشركم بفرح عظيم»... بمولد المسيح نرى الفرح قرين السلام الذى لنا منه وفيه ...

ونلمس تقريباً نفس الشيء فى بيت زكريا الكاهن . زارت العذراء القديسة مريم نسيبتها اليصابات وأعطتها مريم السلام. وللوقت قالت اليصابات : **«هوذا حين صار صوت سلامكِ فى اذنى، ارتكض الجنين بابتهاج (بفرح) فى بطنى»** (لو ١ : ٤٤).

وقد يقول قائل كيف يكون السلام وما يصاحبه من فرح من نصيب الإنسان المؤمن، وهوذا ربنا قد سبق وأنبأ مَن يريد أن يتبعه بالضيقات وأمره بحمل الصليب رمز الألم ...

لا تناقض فى هذا ... الضيق الذى تحدث عنه رب المجد ضيق من الخارج

لا يتسرب إلى النفس المؤمنة التى صارت هيكلاً للرب. أما السلام ومعه الفرح الجزيل فهو تصوير لحالة الإنسان من الداخل. لذا قال الرسول بولس: « كحزانى ونحن دائماً فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠). لاحظ كاف التشبيه فى كلمة « كحزانى ». أى أن مَن يرانا يظن أننا حزانى، ولكن فى واقع الأمر نحن فرحون!! فالعالم له مقاييسه الخاصة بالفرح ... أما الإنسان المؤمن ففرحه فى الداخل ...

إن الإنسان المسيحى من هذه الوجهة يشبه العليقة الخضراء التى تراءى السيد الرب منها لموسى النبى ... كانت النار ممسكة بأغصان العليقة وأوراقها، لكنها لم تأتِ عليها، ولم تُذهب نضرتها أو تلاشى خضرتها ... هكذا المؤمن الضيقات التى تشبه النار تحيط به من الخارج، لكنها لا تقدر ولا تقوى على أن تفقده سلامه وفرحه الداخلى!!

ألا تعلم يا أخى أن السائر إلى جبل الزيتون (جبل الصعود)، يمرّ لا محالة ببستان جثسيمانى، ثم يرتفع بمشقة إلى اكمة الجلجثة، ثم يهبط إلى بستان القبر؟! لكن فى هذه جميعاً نستطيع أن نحتفظ بسلامنا متشبهين بسيدنا الذى فى وقت آلامه المريرة كان محتفظاً بسلامه الكامل وبهدوئه، حتى انه عمل معجزة شفاء فى الوقت التى تألب عليه أعداؤه من كل ناحية. لقد شفى أُذن عبد رئيس الكهنة التى قطعها بطرس بسيفه فى تهوّر (لو ٢٢ : ٥٠، ٥١؛ يو ١٨ : ١٠، ١١).

لقد عاش القديسون حياة السلام والفرح الداخلى، ولذا فقد استهانوا بكل شىء، وازدروا بكل شىء ... وعاشوا على الأرض بأجسادهم، وكأن لا أجساد لهم. كان اهتمامهم بما فى الداخل وليس بما فى الخارج ... عاشوا حياة السلام والفرح. ولم تسعفهم قدراتهم اللفظية والبلاغية عن وصفها ...

حاول يوحنا سابا (الشيخ الروحانى) أن يصف حالة سلام وفرح ولذة وسعادة وبهجة القديسين التى انعكست عليهم نتيجة حياتهم مع المسيح، فلم يستطع وبان عجزه. وجاءت عباراته أقرب إلى التصوّر منها إلى القدرة على الافصاح والبيان ... قال:

[كنت أود أن أكتب ولكنى لم أقدر ... ولما تحكمت بطرق كثيرة، وحاولت أن أصوّرها لم استطع، تلك التى الكل ممتلىء منها، أردت أن أصورها على الورق لغذاء

أبناء شعبى فلم أتمكن... فى العالم الخارجى لا يوجد لها شبيه، وفى العالم الداخلى مَن يعلم بها. اشباه عالمنا لا يوجد لها. ومن عالم الروحانيين مَن يقدر أن يأتى لها بمثال. لا أعرف كيف أهدّىء حرقة قلبى الذى يحترق ويغلى. بالكلام لا يُنطق بها، وبالإشارة لا تُرى، وبالصور لا تُصوَّر، وبحركات الضمير لا تسمع. قُهرتُ منها قهراً عظيماً. غُلبت منها مثل مَن لم يعرفها. سكت عنها مثل مَن لم يحسّ بها. غفلت عنها مثل مَن لا توصف. سكت عنها مثل مَن ليس هو كفء لها. كم أنا حزين جداً، إذ لم أعرف كيف أصوّرها أو أشبهها. وإن كانت لا تُشبّه اطلبوها يا اخوتى اطلبوها. اطلبوها لتمتزج بكم. طوّب نعيمها أرفع من كل التطوبيات. ليس للذتها مثيل. هذا هو تفسيرها. ذلك الذى قيل أنت يا أبى فىَّ وأنا فيك. وأيضاً ليكونوا فينا واحداً. طوبى لمَن ذاق هذه الطوبى. طوبى لمَن صارت نفسه مع لحمه وعظامه فى هذه اللذة التى لا تفسر].

والآن يا أخانا، قد عرفت ان المسيح له المجد قد أعطاك عطية السلام الذى يفوق كل عقل... هل تشعر فى داخلك بهذا السلام، وهل تنعم بهذه العطية المقدسة؟ اعلم يا أخانا أن الأمر الوحيد الذى ينزع السلام والفرح من قلب الإنسان هو الخطيئة. فإن كنت حتى الآن تعانى من القلق والضيق، فاجلس مع ذاتك وفتشها جيداً. وكن صريحاً مع نفسك... وإن عجزت عن الوصول إلى أسباب فقدان السلام، فارفع قلبك بالصلاة إلى الله أن يرشدك إلى نقائصك، ويكشف لك عيوبك وخطاياك، ويُظهر لك ضعفاتك، فسيفعل الله بمحبته وسيمنحك أيضاً سلاماً يفوق كل عقل حسب كل وعوده المباركة الأمينة...

حـــياة التســـــليم

- حياة التسليم هى أعظم التقدمات المقبولة .
- أمور تسبق حياة التسليم .
- مظاهر حياة التسليم .
- بركات حياة التسليم .
- أمور تساعد الإنسان على حياة التسليم .

العطاء فى المسيحية أمر واجب وممدوح ، وهو وصية الرب يسوع نفسه ... قال القديس بولس إلى قسوس مدينة أفسس : « فى كل شىء اريتكم أنه هكذا ينبغى أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء ، **متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ** » (أع ٢٠ : ٣٥) ... ونلاحظ أن كلمات الرب يسوع التى يشير إليها بولس هنا لم ترد فى الأناجيل الأربعة ، لكنها كانت شائعة بين المؤمنين ، بدليل أن الرسول يذكرهم بها : « متذكرين كلمات الرب يسوع » ... **وشيوعها بين المؤمنين يؤكد انها كانت مبدءً مسيحياً متفقاً عليه ...**

جميل أن نقدّم للرب عطايا وتقدمات مادية ، وأجمل منه أن نقدم عطايا وتقدمات روحية ، وأجمل من كليهما أن يقدم الإنسان ذاته للرب ... ولا أقصد بهذه التقدمة الأخيرة حياة التكريس . لكنى أعنى بها تقدمة تفوق جميع المتقدمات ، هى اخضاع المشيئة لله ، وتسليم الحياة بجملتها له ... وليس أدل على أفضلية هذه التقدمة عما سواها ، أننا فى التقدمات الأخرى نقدم لله شيئاً مما لنا . أما فى اخضاع مشيئتنا لمشيئة الله نكون قد أمتنا إرادتنا وميولنا الخاصة . **وبالجملة نكون قد قدّمنا ذواتنا فعلاً قرباناً حياً لله على مذبح التسليم .**

فقد أعطى صدقة لإنسان ، أو مالاً للكنيسة ، لكنى فى هذه الحالة أكون قد قدّمت جزءً من مالى لا مالى كله ... وقد أخدم الرب بأمانة ، وفى هذه الحالة أيضاً أكون قد قدمت لله جزءً من وقتى لا وقتى كله ... وقد أتعب لأجل أمر من الأمور المقدسة ، ومع هذا تكون تقدمتى جزءً من جهدى لا جهدى كله .

حياة التسليم ، والحال هذه ، هى عبارة عن تسليم الحياة كلها لله ، بحيث تكون كل أفعال الإنسان وتصرفاته وأفكاره وأقواله مطابقة لمشيئة الله ، أو بحسب تعبير القديس بولس : « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » (غل ٢ : ٢٠) .

وهذا الأمر واضح كل الوضوح فى حياة السيد المسيح له المجد ، الذى قدّم لنا صورة للإنسان الكامل ... قال : « **نزلت من السماء ، لا لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى** » (يو ٦ : ٣٨) . وفى صلاته فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه قال مخاطباً الآب : « **إن شئت أن تعبر عنى هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك أنت** » (مت ٢٦ : ٣٩) ... قال رب المجد هذا على الرغم من أنه ليس له

سوى مشيئة واحدة مع الآب ... لكنه أراد أن يقدم لنا تعليماً فى هذا الوقت ... **وحينما طلب إليه تلاميذه أن يعلّمهم كيف يصلّون،** أعطاهم صلاة مثالية، اهتم أن يبرز فيها هذه الفضيلة ... قال لهم: «صلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات ... **لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض**» ... ونلاحظ هنا أنه علمنا أن نطلب إلى الآب السماوى أن تكون مشيئته نافذة فى حياتنا كما هى نافذة فى السماء ... ففى السماء ليس مَن يعطلّ إتمام مشيئة الله، لكن الإنسان على الأرض، بسبب حرية إرادته التى ميّزه الله بها، يستطيع أن يخالف الله. وهذا للأسف الشديد!! ... **والقديس بطرس الرسول يبرز هذه الفضيلة فى حياة السيد المسيح بقوله: «الذى إذ شُتم، لم يكن يشتم عوضاً. وإذ تألم لم يكن يهدّد، بل كان يسلّم لمَن يقضى بعدل»** (١ بط ٢: ٢٣).

أمور تسبق حياة التسليم:

يجب أن نقرر بادىء ذى بدء، أن الأمر فيما يختص بحياة التسليم، ليس سهلاً هيناً، **فهناك مصاعب فى طريق حياة التسليم، منها الرغبات الخاصة، والشعور بالذات، والعقل** ... ولذا يجب أن يسبق التسليم ثلاثة أمور:

١ ـ التجرد من الرغبات:

الإنسان غير المتجرّد له رغبات يريد أن يحققها. ومن ثم لا يستطيع أن يسلّم حياته لله، لأنه سبق وسلّم حياته لهذه الرغبات ... وحتى لو سلّم حياته لله يشترط عليه شروطاً. وبذا لا يكون تسليمه كاملاً. **يلزم لمَن يريد أن يسلّم حياته لله أن يتجرّد من كل رغبة ومن كل شهوة، حتى فى الأمور الروحية.** فالرغبات الروحية يجب أن يكون لها غرض واحد هو الاتحاد بالله. أما تفاصيل هذا الاتحاد وطريقة الوصول إليه فينبغى أن يسلّمها الإنسان لله، ولا يكون له فيها غرض معين.

٢ ـ الاتضـــــاع:

لا يمكن السلوك فى حياة التسليم إلاَّ بالاتضاع ... لأن الإنسان الواثق بذاته،

المعتدّ بفكره، المعتمد عليه فى تدبير حياته، لا يستطيع أن يسلّم حياته لله فى بساطة الإيمان. لأنه غالباً ما يجعل معاملات الله معه، تحت رقابة هذا الفكر المعتز بذاته. فيقبل من هذه المعاملات ما يمكن أن يقبله فكره منها، ويرفض ما عداها مستعيناً فى ذلك بالمجادلة والمناقشة فى كل تصرفات ومعاملات الله...

وقد يخطىء هذا الإنسان ويظن الشرّ حيث أراد الله به خيراً ... وقد ينسب بعض هذا للناس الأشرار، وبعضه للشياطين. **وقد يقاوم، ويصوّر له فكره أموراً يرى أنها سليمة، لأنه حكيم فى عينى نفسه. لا تستطيع كبرياء فكره اقناعه بتسليم حياته لله تسليماً كلياً وكاملاً...**

٣ - الإيمــــــان :

لا يستطيع إنسان أن يسلّم حياته لله إلاّ إذا كان واثقاً بهذا الإله، كإله يهتم به ويدبّر كل أموره. ويؤمن أن كل ما يعمله الله إنما يعمله بحكمة، ولا يحتاج إلى تدخل منه... أما إذا شك الإنسان فى رعاية الله ومحبته واهتمامه، فكيف يستطيع مثل هذا الإنسان أن يحيا حياة التسليم ؟!... وإذا كان الإيمان بالله هو الثقة به، فبديهى أن الإنسان لا يمكن أن يسلّم لمَن لا يثق به. وقد أشرنا إلى ذلك فى موضوع الإيمان.

مظاهر حياة التسليم :

التسليم وإن كان حياة فى الداخل، لكن له مظاهر يمكن أن نلمسها...

أ - تسليم المشيئة بحيث لا تصبح للإنسان مشيئة أخرى تُغَايِرُ مشيئة الله... وبعبارة أخرى يصبح هذا الإنسان كالشمع اللّين الذى يقبل الصورة التى تنطبع عليه... إنه لا يحيا منقسماً على ذاته، تارة يسلّم حياته لله، وتارة أخرى يتوق إلى إتمام مشيئته الخاصة... **نحن نلمس ذلك فيما قاله شاول الطرسوسى (بولس الرسول قبل اهتدائه)** حينما تراءى **له الرب عند مشارف دمشق: «يارب ماذا تريد أن أفعل»** (أع ٩ : ٦)... **إن هذه الكلمات التى تعبرّ عن التسليم الكامل، كانت هى نقطة التحوّل فى حياة ذلك الرسول العظيم، الذى عاش منقاداً بالروح بعد**

ذلك ... ونحن نلمس ذلك فى أقواله : « مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فيَّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان ، إيمان ابن الله الذى احبنى وأسلّم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ٢٠) ... ولننظر إلى ما قاله لقسوس كنيسة أفسس ... « والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم مقيّداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفنى هناك . غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً إن وُثقاً وشدائد تنتظرنى . ولكننى لست أحتسب لشىء ، ولا نفسى ثمينة عندى ، حتى اتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٢٢ - ٢٤) ... **إنه يحيا فى طاعة كاملاً للروح القدس روح الله . وعلى الرغم من أنه يعرف أن وثقاً وشدائد تنتظره ، لكنه لا يتخلى عن طاعته للروح ، وحياة التسليم الكاملة التى نذر نفسه لها ...**

ب - والفكر أيضاً يصبح فكر الله ... إن بولس الرسول الذى عاش حياة التسليم وخبرها يقول : « **أما نحن فلنا فكر المسيح** » (١ كو ٢ : ١٦) . **وهذه نتيجة طبيعية لحياة التسليم .** فإن سلّم إنسان حياته تسليماً كاملاً لله ، **فهو** الذى سيقود أفكاره ... قال المرتل : « وأنا بليد ولا أعرف ... أمسكت بيدى اليمنى ، **برأيك تهدينى** ... » (مز ٧٣ : ٢٢ - ٢٤) .

جـ - وبالجملة فإن كل ما يصدر عن الإنسان من تصرفات سيكون موافقاً لإرادة الله . قال الوحى الإلهى عن داود النبى والملك : « **وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبى ، الذى سيصنع كل مشيئتى » (أع ١٣ : ٢٢) ... وقد استحق داود هذه الشهادة العظيمة لأنه كان يحيا حياة التسليم ، وكان يهتف دائماً : « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (مز ٥٧ : ٧) .** وما ذلك إلاَّ اظهاراً لاستعداده لطاعة الله طاعة كاملة ، وتسليم مشيئته له تسليماً كلياً .

د - وثمة مظهر آخر من مظاهر حياة التسليم ، هو هدوء الأعصاب إزاء الأحداث المختلفة ... فالإنفعال إزاء أمر من الأمور يدل على إننا صدمنا نتيجة رغبة خاصة لنا لم تتحقق ، وظهر أثر ذلك فى فقدان أعصابنا ... أما الإنسان الذى عرف كيف يسلّم حياته لله ، فإنه لا يكتئب ولا ينفعل . **فحينما يحدث أمر من الأمور يتقبله برضى وشكر ، عالماً أنه لخيره ، سواء كان من جهة مظهره خيراً أو شراً .**

بركات حياة التسليم :

ماذا يستفيد الإنسان من تسليم حياته لله ، وما هى البركات التى يجنيها ؟

١ - فرح دائم لا يعكر صفوه كآبة أو انزعاج ... وسلام جزيل لا يشوبه قلق أو خوف نتيجة الشعور بإتمام إرادة الله... قال المرتل : « ان افعل مشيئتك يا إلهى سررت » (مز ٤٠ : ٨) ... « ليفرح جميع المتكلين عليك إلى الأبد يُسرّون وتحل فيهم . ويفتخر بك كل الذين يحبون اسمك . لأنك أنت تبارك الصديق يارب ، وتكتنفه برضاك مثل الترس » (مز ٥ : ١١) ... فالفرح من ثمر الروح (غل ٥ : ٢٢) ، والحزن من ثمر الخطية .

إن مبعث فرح الإنسان وما يصاحبه من سلام هو نتيجة إتمام إرادة الله ، وما يستتبع ذلك من الإيمان أن « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) ... وقد عبّر عن ذلك الحكيم بقوله : « مهما يصيب الصديق لا يحزنه » (أم ١٢ : ٢١) .

وليس معنى الفرح والسلام اللذين يصاحبان تسليم المشيئة لله أن الإنسان الذى يتمتع بهما لا تعرف الضيقات إلى قلبه سبيلاً ، بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك ، فكثيرة هى أحزان الصديقين . لكن من جميعها ينجيهم الرب (مز ٣٤ : ١٩) ... مثل هذا الإنسان يشبه فى حالته - إلى حد كبير - حالة الثلاثة فتية فى أتون النار ببابل . فقد كانوا يُرون وسط نار الأتون يتمشون متهللين كمَن هم فى نزهة . ولم تَقْوَ النار على حرق ثيابهم ولا حتى شعرة من رؤوسهم . كل ما فعلته أنها أحرقت قيودهم فحررتهم ، وبذا استطاعوا أن يمشوا وسط الأتون !! والسرّ فى كل ذلك أنه شوهد معهم رابع شبيه بابن الآلهة (دا ٣) ... هذا هو الهنا الذى قيل عنه : « فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم » (إش ٦٣ : ٩) .

٢ - هدوء جزيل ... فالإنسان الذى عرف كيف يُخضع مشيئته لمشيئة الله يكون هادئاً لا يزعجه شيء . فقد سلّم حياته كلها لله القدير الذى : « منه وبه وله كل الأشياء » (رو ١١ : ٣٦) ... هو يشعر دائماً أن حياته هى فى يد الله الذى يحبه ويعتنى به ، والذى يستطيع أن ينقذه من الشدائد والضيقات . ومزامير داود مليئة

بهذه المشاعر التى كانت تملأ قلب ذلك النبى ... «إن سلكت فى وسط ظلال الموت، فلا أخاف شراً لأنك معى. عصاك وعكازك هما يعزياننى» (مز ٢٣ : ٤) ... «الرب نورى وخلاصى ممَن أخاف. الرب حصن حياتى ممَن أرتعب ... مضايقىَّ وأعدائى عثروا وسقطوا. وإن حاربنى جيش فلا يخاف قلبى. وإن قام علىَّ قتال ففى هذا أطمئن» (مز ٢٧) ... «إلهنا ملجأنا وقوتنا ومعيننا فى شدائدنا التى أصابتنا جداً. لذلك لا نخشى إذا تزعزعت الأرض وانقلبت الجبال إلى قلب البحار...» (مز ٤٦).

ومبعث هدوء الإنسان الذى يحيا حياة التسليم أيضاً، شعوره بأن الله الذى سلّم حياته له لا يأتيه إلاَّ بما هو صالح وخير، على نحو ما يقول القديس بولس: «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨ : ٢٨) ... وحتى لو فوجىء بأمر لا يتوقعه، فإنه يشعر لوقته أن الله لا بد وأنه يقصد من ورائه نفعه.

روى عن أحد الآباء القديسين الذين سلكوا فى تدريب حياة التسليم، انه نزل إلى مدينة الاسكندرية. فاجتمع حوله هناك بعض الوثنيين، وأخذوا يشتمونه و يضربونه و يهينونه. وكان هو فى كل ذلك محتفظاً بهدوئه بلا ضجر ولا تملل. وفيما هم على هذه الحال، سأله واحد منهم: [ما هى العجائب والمعجزات التى صنعها ذلك الناصرى الذى تؤمنون به؟]. **فخرج عن صمته وقال: [إن إحدى معجزاته أنكم تضربوننى وتهينوننى وأنا فرح مسرور].**

وروى عن راهب قديس كان يصنع عجائب ومعجزات، أن رئيس ديره ـ رغم المعجزات التى كانت تتم على يديه ـ كان يلاحظ عليه أن جهاده لا يميّزه عن أى راهب آخر فى الدير. فتعجب من أمره فسأله عن أحواله، فأجابه بأنه لا يصلى ولا يسهر ولا يصوم أكثر من باقى الرهبان، ولكنه كان لا يضجر من شىء على الاطلاق. فسأله رئيس الدير: [ألم تتضايق يوم هجم أعداؤنا على ديرنا وحرقوا مخزن الحنطة؟]. أجابه الراهب: [لقد تعودت أن أقبل كل شىء بشكر مسلّماً الأمر لله... **فتحقق رئيس الدير أن سرّ هدوئه وعجائبه هما فى تسليم حياته كلها لمشيئة الله.**

٣ ـ قلنا فيما سبق أن الاتضاع يسبق حياة التسليم. **ونضيف هنا أن حياة التسليم تُنمّى فينا بعد ذلك فضيلة الاتضاع**، الذى هو الأساس المتين الذى يرتفع فوقه بناء حياتنا الروحية ...

٤ ـ من بركات حياة التسليم الاطمئنان من جهة دينونة الله الأخيرة ... فمعنى أنى سلّمت حياتى لله انى سوف لا أُدان ... إذ كيف أُدان على إتمام مشيئته ؟! إن كل جهاد الإنسان روحياً هو من أجل الوصول إلى هذه النقطة ـ إننا لا ندان فى اليوم الأخير... فإذا كانت حياة التسليم توصلنى إلى ذلك لكفى ...

٥ ـ ومن بركات حياة التسليم أننا نُلزم الله بالعناية بنا . فبقدر ما نسلّم ذواتنا له بقدر ما نلزمه أن يعتنى بنا ... يقول المرتل : «لأنه علىَّ اتكل فأنجيه ، استره لأنه عرف اسمى . يدعونى فاستجيب له . معه أنا فى الشدة أنقذه وأمجّده . طول الأيام أشبعه واريه خلاصى » (مز ٩١) ... إن التدريب الأول فى تعلّم السباحة أن يسلّم الإنسان ذاته للماء دون خوف . وبقدر ما يفعل ذلك بقدر ما يحمله الماء ...

٦ ـ إن حياة التسليم تنمّى فينا الحب الإلهى . فالمحبة لا تعتبر كاملة إلاّ إذا اتفقت إرادتنا مع إرادة مَن نحبه ... والدليل العملى على حبنا لله هو تسليم حياتنا له ، وإتمام إرادته فينا «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) .

٧ ـ والتسليم يعطينا فرصة لإكتساب فضائل روحية أخرى كالطاعة والصبر والاحتمال فان تدخل إرادتى تحول بينى وبين إكتساب هذه الفضائل . فالإنسان الذى لا يسلّم لله ، لا يمكن أن يكون مطيعاً ، لأن الطاعة هى فى التسليم . وتسليم حياتى واقتبال أمر من الأمور ـ حتى لو بدا أمامى فى غير صالحى ـ يدّربنى على فضيلة الصبر. والصبر ينشىء تزكية لحياتى (رو ٥ : ٤). والصبر يوصلنى إلى فضيلة الاحتمال ...

٨ ـ وحياة التسليم تهيء لى فرصة لخبرات مقدسة فى الحياة مع الله. فالله خلق الإنسان حراً ... والإنسان بكامل حريته يحرم نفسه نعماً كثيرة ، وذلك عندما تتعارض إرادته الخاصة مع إرادة الله الخيّرة ... يقول رب المجد يسوع لسكان أورشليم : « كم مرة أردت أن أجمع بنيكِ .. وأنتم لم تريدوا . هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨) ... **فإن سلّمت إرادتى لإرادة الله أرى أعمالاً عجيبة ...** يضاف إلى ذلك أن الإنسان بهذا سيأخذ من الله نعماً كثيرة نتيجة عدم عرقلة عمل روح الله فيه ...

أمور تساعد الإنسان على حياة التسليم :

١ - ليقنع الإنسان ذاته انه لا يمكن أن يحدث له شيء فى حياته، بل فى العالم بأسره إلاّ من قبل الله، سواء بإرادته أو بسماح منه... قال السيد المسيح لبطرس ليلة آلامه، حينما استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه : «اجعل سيفك فى الغمد. **الكأس التى أعطانى الآب ألاَ أشربها**» (يو ١٨ : ١١)... ولم يقل رب المجد: «الكأس التى أعدّها لى يهوذا ورؤساء الكهنة. بل الكأس التى أعطانى الآب ضابط الكل الذى بيده كل الأشياء»... ومرة أخرى لما قال له بيلاطس: «ألست تعلم أن لى سلطاناً أن اصلبك، وسلطاناً أن اطلقك». **أجابه الرب يسوع: «لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيتَ من فوق»** (يو ١٩ : ١٠، ١١).

لقد حاول هيرودس الملك اليهودى قتل الرب يسوع وهو بعد طفلاً، فقتل كل أطفال بيت لحم من سنّ سنتين فما دون، لكن دون جدوى، لأن تلك الساعة لم تكن ساعة موت الرب يسوع (مت ٢ : ١٦)... وقام اليهود عدة مرات على السيد المسيح ليقتلوه لكنهم لم يحققوا غرضهم الشرير. ومرة مضى به أهل الناصرة إلى خارج مدينتهم ليطرحوه إلى أسفل الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه **«أما هو فجاز فى وسطهم ومضى»** (لو ٤ : ٣٠)... **لكن لما أتت الساعة التى رسمها فى علمه الأزلى، قال لمَن خرجوا عليه ليقبضوا عليه: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»** (لو ٢٢ : ٥٣).

وكم تعب شاول ملك إسرائيل ليقتل داود، وكم اهتم لكى يمسكه، لكنه فى جميع محاولاته كان يفشل. أما السبب فلأن «الله لم يدفعه ليده» (١ صم ٢٢ : ١٤)... **لقد قصد اخوة يوسف أن يتخلصوا منه، لكن الله بعث به إلى مصر لاستبقاء حياة لكثيرين. لذا قال لاخوته فى مصر: «والآن لا تتأسفوا، ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا. لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم... فقد أرسلنى الله قدامكم ليجعل لكم بقية فى الأرض، وليستبقى لكم نجاة عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله»** (تك ٤٥ : ٥ - ٨)... كما قال لهم : «لا تخافوا... أنتم قصدتم لى شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك ٥٠ : ١٩، ٢٠).

فما أجمل الشعور بأن حياتنا هى فى يد الله المحب الحنون القدير ... إذا توفر فينا هذا الشعور فإننا برضى نسلّم ذواتنا له طواعية واختياراً ... **قال القديس كبريانوس معلّقاً** على عبارة «لا تدخلنا فى تجربة» : [إننا نتجه إلى الله - لا إلى الشيطان - لكى لا ندخل فى تجربة] . هكذا فهم القديسون حياة التسليم ... **ففى قتالات القديس أنبا أنطونيوس الكبير أب الرهبان مع الشيطان ،** ظهر له ذات مرة فى صورة وحوش كاسرة كثيرة العدد . فالتفت إليها أنطونيوس فى ثبات وقال : [لو كان لكم علىَّ سلطان ، لكان واحد منكم يكفى ليحارب إنساناً مثلى . لكن الله أعدمكم قوتكم] ..

٢ - يجب على الإنسان ألا يتضايق حينما تصيبه أمور لا توافق مزاجه ... بل عوضاً عن التضايق عليه أن يلجأ إلى الله ليصلح النقص الذى فيه ... لقد كره بنو إسرائيل - وهم فى البرية - أكل المنّ ، واشتهوا اللحم ، فأعطاهم الله اللحم بكثرة ... أعطاهم شهوتهم . إلاَّ أن ذلك صار شراً لهم «فصعد عليهم غضب الله وقتل من اسمنهم ، وصرع مختارى إسرائيل» (مز ٧٨ : ٢٩ - ٣١) ... **كان الأحرى ببنى إسرائيل - بعد كل عجائب الله معهم - أن يغيّروا تذوقهم للمن ، وأن يشكروا الله على هذه النعم العظيمة وسط تلك البرية القاحلة !!**

مبدأ الباب الضيّق
فى الحياة الروحيّة

- ما هو الباب الضيق ؟
- هل من تناقض بين محبة المسيح والدعوة للدخول من الباب الضيق ؟
- ما هى حكمة الباب الضيق ؟
  + هو وصية المسيح .
  + به نشابه المسيح .
  + هو طريق جميع القديسين .
  + هو الأسلوب الذى يناسب الإنسان روحياً .
  هو الطريق الموصل للمجد الأ بدى .
- مبدأ الباب الضيق فى التوبة .
- مبدأ الباب الضيق فى الممارسات الروحية .
- مبدأ الباب الضيق فى مشاكل الحياة .
  + المشاكل الأسرية .
  + مشاكل العمل .
  + آلام المرض .
  + إغراءات العالم .

رداً على سؤال وجهه واحدٌ للسيد المسيح يسأل فيه : « يا سيد أقليلٌ هم الذين يخلصون » ، أجاب : « **اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق .** فإنى أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون ، من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب . وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يارب يارب إفتح لنا . يجيب و يقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . حينئذ تبتدئون تقولون أكلنا قدامك وشربنا ، وعلّمت فى شوارعنا . فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم » (لو ١٣ : ٢٣ - ٢٧) .

وفى عظته على الجبل يقول رب المجد يسوع : « **ادخلوا من الباب الضيق ،** لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . **ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه** » (مت ٧ : ١٣ ، ١٤) .

فما هو الباب الضيق الذى يدعونا رب المجد إلى الدخول منه ؟

المقصود « بالباب الضيق » و « الطريق الكرب » التضييق الاختيارى على النفس ، مع احتمال الضيقات والضغطات التى تأتى علينا بصبر وفرح وشكر ، وهو ما يعبرّ عنه رب المجد أيضاً بحمل الصليب .

بين محبة المسيح والدعوة للدخول من الباب الضيق :

فى الموضوع الأول من هذا الكتاب ، تكلمنا باستفاضة عن محبة الله الشديدة والفائقة المعرفة للإنسان... وهنا يبرز سؤال يطرح ذاته : **ألا تتعارض محبة الله الشديدة للإنسان مع - لا أقول السماح لأولاده أن يتضايقوا و يتألموا - بل دعوتهم للدخول اختيارياً من الباب الضيق وحمل الصليب ؟!**

ما أكثر ما قاله السيد المسيح عما هو عتيد أن يحلّ بأولاده والمؤمنين به من ضيقات بمختلف صورها... **فإلى جانب دعوته لأتباعه أن يدخلوا من الباب الضيق ،**

ويسلكوا الطريق الكرب، فقد جعل حمل الصليب والسير خلفه شرطاً للتلمذة المسيحية. وقال انه يرسلهم كحملان بين ذئاب (لو ١٠ : ٣)، وان فى العالم سيكون لهم ضيق (يو ١٦ : ٣٣). ويأتى وقت يظن كل مَن يقتلهم انه يقدم خدمة لله (يو ١٦ : ٢). وانهم يكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمه (مت ١٠ : ٢٢)، وسيبكون وينوحون والعالم يفرح (يو ١٦ : ٢٠).

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : **كيف تتفق الدعوة إلى الضيق وتحمله مع محبة الله التى لا يوجد ادنى شك فيها ... ويمكن طرح السؤال بصورة أخرى : إذا كان الله يحبنا حقاً، فهل يبالى بضيقاتنا ؟!**

والإجابة على هذا التساؤل نجدها فى قول إشعياء عن السيد الرب : «فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣ : ٩)... **بمعنى أن الله يتضايق لضيقاتنا ... عجباً، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يسمح بها، وهو قادر على منعها ؟!... لا بد وأن هناك حكمة إلهية من هذه الضيقات، وإلاّ لَمَا سمح الله بها ...**

الضيقات التى تأتى على الإنسان هى لخيره، وهذا يتمشى مع محبة الله وخيريته وصلاحه، وهو القائل : «حتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت ١٠ : ٣٠؛ لو ١٢ : ٧). وبلسان النبى إشعياء قديماً قال : «هوذا على كفى نقشتك» (إش ٤٩ : ١٦). وبلسان النبى زكريا قال : «لأنه هكذا قال رب الجنود... مَن يمسّكم يمسّ حدقة عينه» (زك ٢ : ٨).

فى بدء المسيحية كان مجرد الإيمان بالمسيح والتمسك به هو دخول فى دائرة الضيقات واحتمال الأهوال، التى غالباً ما وصلت إلى حدّ الموت ـ موت الشهادة... «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون» (٢تى ٣ : ١٢). **ومع ذلك فقد انتشر الإيمان المسيحى فى العالم طولاً وعرضاً وعمقاً. وفضّل المسيحيون الحياة مع المسيح، محتملين الآلام والضيقات، عن إنكاره مقابل كل مباهج الدنيا وما فيها من مجد زائل. لا بد إذن انه وراء الضيقات والآلام سرّ، بل أسرار وبركات، لأن الشهداء والمعترفين لم يكونوا من السذاجة والبلاهة حتى يحتملون الآلام المرعبة مقابل لا شىء !!**

فما هى حكمة الباب الضيق :

١ - لأنه وصية المسيح وطريقه :

سبق أن ذكرنا وصية السيد المسيح بخصوص الباب الضيق والدخول منه . وان الطريق الكرب الذى يُدخل إليه من الباب الضيق هو هو طريق الصليب ... **والمسيح قد سار هذا الطريق ، قطع أشواطه وعبّده بقدميه المباركتين. انه الطريق من بيت لحم إلى الجلجثة . وإذا كانت الطريق الضيقة هى طريق الصليب ، فإن الضيقات ذاتها هى حمل الصليب ... فماذا قال رب المجد عن ذلك ؟**

« مَن لا يأخذ صليبه و يتبعنى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٨) ... « مَن لا يحمل صليبه و يأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لو ١٤ : ٢٧) ... « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه و يتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤ ؛ مر ٨ : ٣٤) .

لكن قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هذه الوصايا خاصة بتلاميذ الرب ورسله ... لكن القديس لوقا فى إنجيله يوضح الأمر انه للجميع ، فيقول : « **وقال للجميع** ، إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعنى » (لو ٩ : ٢٣) ... وتأكيداً لهذا المفهوم ، فإن السيد المسيح حينما سأله شاب غنى عما يعمل ليرث الحياة الأبدية ، كان جوابه على الفور: « اذهب بع كل مالك واعطِ الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء ، **وتعالَ اتبعنى حاملاً الصليب** » (مر ١٠ : ٢١) ... وواضح من هذا الكلام ان تبعية السيد المسيح تستلزم حمل الصليب كناية عن قبول الضيقات وتحمل الآلام برضى قلبى .

والباب الضيق هو الباب الذى ولجه المسيح منذ ولادته بالجسد ، والطريق الكرب هو الطريق الذى سلكه المسيح من بيت لحم إلى الجلجثة ... ومن السهل جداً أن ندرك ذلك إذا تتبّعنا المسيح فى حياته بالجسد على الأرض ... فولادته فى مذود للبهائم كأحقر إنسان فى الحياة ، إلى هروبه لمصر من وجه هيرودس الطاغية الذى كان يريد قتله ، إلى تحديات اليهود المقاومين مدة كرازته وهى أكثر من ثلاث

سنوات ، إلى تحمله الشتائم والإهانات والمحقرات من خليقته ، إلى خيانة يهوذا وهو العالم بكل الأشياء قبل حدوثها ، إلى قبوله الآلام بإرادته من أجل خلاص البشرية ... كل ذلك صور من الباب الضيق الذى دخل منه السيد المسيح بإرادته حينما كان بالجسد على الأرض .

٢ ـ لأن به نشابه السيد المسيح :

معلوم أن السيد المسيح هو مثلنا الأعلى . به نقتدى ، وفى اثر خطواته نسير « تألم لأجلنا ، **تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا** خطواته » (١ بط ٢ : ٢١) ... ومفروض فينا أن نكون « **مشابهين صورة ابنه** ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) ... وما هى صورة ابن الله إلاَّ صورة القداسة والألم ... « **محتقر** ومرذول من الناس . **رجل أوجاع ومختبر الحزن** » (إش ٥٣ : ٣) ...

لقد أحب الرب يسوع الألم واشتهاه « لى صبغة اصطبغها ، وكيف انحصر حتى تُكْمَل » (لو ١٢ : ٥٠) ... وعنه يقول معلمنا القديس بولس : « **الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب** مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) ... لقد سأل الرب يسوع يعقوب ويوحنا ابنى زبدى : « اتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى اصطبغ بها أنا . **قالا له نستطيع** » (مت ٢٠ : ٢٢) .

قال أحد الآباء : [**إن الفرح فى الألم هو مقياس حرارة حب النفس للمسيح . الإنسان الكامل يرحب بالألم ويفرح به . والفاتر يهرب منه ويضيق به ذرعاً ... لقد أقام الرب يسوع الدليل على حبه للبشر بالتألم لأجلهم . فمن الصواب والعدل أن يبرهن البشر عن حبهم الصادق له بتألمهم لأجله**] ... إن أعظم تقدمة يمكن أن يقدمها المسيحى لله **هو تقدمة ذاته ذبيحة روحية مع ذبيحة المسيح مخلصه المصلوب** ... هذا ما يعنيه القديس بولس حينما يكتب لأهل رومية موصياً « **ان يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله** » (رو ١٢ : ١٠) .

٣ ـ لأنه الطريق الذى سلكه جميع القديسين :

ولأن المسيح له المجد قال بصفة عامة : « مَن لا يأخذ صليبه و يتبعنى فلا يستحقنى... مَن لا يحمل صليبه و يأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (مت ١٠ : ٣٨ ؛ لو ١٤ : ٢٧) ، **فقد سار جميع الأبرار فى الطريق الكرب بعد أن دخلوه من الباب الضيق حاملين الصليب ، لأن رب المجد جعل حمل الصليب وتبعيته والسير وراءه شرطاً لتبعيته والتلمذة له ...**

والرسل الذين هم باكورة المؤمنين فى العهد الجديد دخلوا من الباب الضيق نظير معلمهم، وساروا طريق الصليب بفرح ، حتى ان يعقوب الرسول يقول: «**احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة.** عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً . وأما الصبر فليكن له عمل تام ، لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » (يع ١ : ٢ ـ ٤) . و يقول بطرس الرسول للمؤمنين : «**إن تألمتم من أجل البرّ فطوباكم ... فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد ، تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النية** (بهذا المثال) ... **بل كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين** » (١ بط ٣ : ١٣ ؛ ٤ : ١ ، ١٣ ، ١٤) ...

وفى فاتحة رؤياه يوجه يوحنا كلامه للمؤمنين فيقول : « **أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة ، وفى ملكوت يسوع المسيح وصَبْره** » (رؤ ١ : ٩) ... وواضح من هذه الكلمات أن الضيقة ملازمة للملكوت «**الضيقة وملكوت يسوع المسيح** » .

وإذا اتينا إلى القديس بولس ، نقرأ فى قصة اهتدائه للمسيحية ، ان السيد المسيح يظهر لحنانيا أسقف دمشق الذى اقتبل بولس نعمة المعمودية على يديه و يقول له عنه (بولس) : «**سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل إسمى** » (أع ٩ : ١٦) ... ونلاحظ أن هذه الكلمات ليست نوعاً من التوّعد والوعيد لبولس مقابل اضطهاده للكنيسة والمؤمنين قبل اهتدائه ، لكنها كشف للبركات التى كان بولس عتيداً أن ينالها من خلال ضيقات إيمانه وخدمته .

عجباً ... **وهل الضيقات تُحصى ضمن البركات** ؟ نعم . هكذا قال السيد المسيح . فحينما قال له بطرس ذات مرة نيابة عن بقية التلاميذ : « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك » ، كان جواب المسيح : «الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو

اخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة (زوجة) أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل ، إلاَّ و يأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً واخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً **مع اضطهادات** ، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مر ١٠ : ٢٨ - ٣٠) ... **أرأيت كيف يحصى ربنا يسوع الاضطهادات ضمن البركات التى ينالها الإنسان فى هذه الحياة ؟!**

وما أكثر ما كتبه بولس الرسول عن الآلام والضيقات وما يصاحبها من بركات :

إنه يعتبرها شركة مع المسيح فى آلامه « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) ...

وهو يفرح فى الضيقات ... « أفرح فى آلامى لأجلكم . واكمّل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤) ... إنه تعبير عجيب يكشف به بولس أن المؤمنين يؤلفون جسد المسيح السرّى غير المنظور . وهم إذ يتألمون ، فإنهم بذلك يكملون نقائص شدائد المسيح ... **حينما قال المسيح على الصليب : « قد أكمل » ، كان يتكلم عن خلاص البشرية وانه أكمله بموته على الصليب ... لكن آلام المسيح وشدائده لم تكمل بعد . والمؤمنون يكمّلونها باحتمالهم كل ما يأتى عليهم من أجل المسيح والإيمان به .**

و يكشف بولس ان الضيقات واحتمالها هى مؤهلنا للملكوت الأبدى . فقد كان يشدد مؤمنى آسيا الصغرى و يكشف لهم عن بركات الضيقات وعاقبتها بقوله : « **بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله** » (أع ١٤ : ٢٢) ...

تعلمون أننا موضوعون لهذا . لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم اننا عتيدون أن نتضايق » (١ تس ٣ : ٢ - ٤) .

وأكثر من هذا نرى بولس يتخطى مرحلة احتمال الضيقات بصبر إلى الافتخار بها باعتبارها قرينة الإيمان « نفتخر أيضاً فى الضيقات ، عالمين أن الضيق ينشىء صبراً ، والصبر تزكية والتزكية رجاء » (رو ٥ : ٣ ، ٤) ... **وليس الافتخار بها فحسب بل الفرح بها .** « لذلك اسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح ، لأنى حينما انا ضعيف فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢ :

١٠) ... ففى الضيقات تظهر معونة النعمة الإلهية، و يعزّى الإنسان أنها شركة مع الرب فى آلامه ... **بل أكثر من هذا يرتفع هذا الرسول بالضيقات والآلام ليجعلها هبة روحية من الله للإنسان «وُهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا أيضاً»** (فى ١ : ٢٩) .

• **وإذا انتقلنا من رسل المسيح إلى القديسين عامة ، نراهم يجمعون على بركات الباب الضيق والطريق الكرب ، طريق الصليب . وميزة أقوال القديسين انها تعبير عن خبرتهم الشخصية .**

+ لم تدخر لنا المخطوطات والكتب النسكية أقوالاً **للقديس بولس البسيط** تلميذ الأنبا أنطونيوس الكبير، سوى مقولة واحدة يقول فيها : **[الذى يهرب من الضيقة يهرب من الله] .**

+ **وفى عظة وداعية قال القديس مقاريوس الكبير لأولاده الرهبان : [** مَن ذا الذى تكلل قط بدون جهاد . ومَن استغنى بدون عمل . ومَن ربح ولم يتعب أولاً . أى بطّال جمع مالاً ، أو أى عاطل لا تنفذ ثروته . **انه بضيقات كثيرة ندخل ملكوت السموات . فليحرص كل منكم على قبول الاتعاب بفرح عالماً أن من ورائها كل غنى وراحة] .**

+ **ويقول القديس باخوميوس** أب الشركة الرهبانية : **[تقبّل كل التجارب بفرح ، عالماً بالمجد الذى يتبعها . فإنك إن تحققت من ذلك فلن تملّ من احتمالها . لدرجة انك تطلب من الله أن لا يصرفها عنك]** ... كما يقول : **[هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحريق وحدهما شهادة ؟ لا . بل تعب النسك والضربات التى من الشياطين والأمراض . فمَن يحتمل كل ذلك بشكر فذلك هو الشهيد . وإلاّ فما الحاجة لأن يكتب بولس الرسول إنى أموت كل يوم . فإنه لم يكن يموت فى الظاهر كل يوم بل كان بصبر يحتمل ما يأتى عليه] .**

+ و يقول مار إسحق السريانى : **[لا تكره الشدائد ، فباحتمالها تنال الكرامة ، وبها تقترب إلى الله . لأن النياح الإلهى كائن داخلها . ومحب الصلاح هو الذى يحتمل البلايا بفرح] .**

+ ويقول القديس برصنوفيوس : **[لماذا تصغر نفسك فى الأحزان مثل إنسان جسدانى؟ ألم تعلم أن الأحزان موضوعة للقديسين؟ ألم تسمع أن كثيرة هى أحزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب؟ ألم تعلم أن الصديق يُمتحن بالأحزان كما يُمتحن الذهب بالنار. فإن كنا صديقين فبالأحزان نُختبر، وإن كنا خطاة فبالأحزان نؤدب].**

+ وقال أحد الآباء : **[إن كل إنسان يُسلّم نفسه لشدة بهواه (بإرادته) من أجل الله، فلى إيمان أن الله يحسبه مع الشهداء. وذلك البكاء الذى يذرفه فى تلك الشدة يحسبه الله عوض الدم].**

٤ ـ لأنه الأسلوب الذى يناسب الإنسان روحياً :

إذا كان الله يسمح بحدوث الضيقات للبشر، فلا يعنى ذلك أن الله يُسَرّ بتضايق الإنسان وتألمه... بل على العكس فإن الله يريد خير الإنسان الروحى. **ولأنه يعرف طبيعة الإنسان وميله للأرضيات والجسدانيات، فإنه يتعامل معه بالطريقة التى تناسبه**... بعد أن أغرق الله العالم بالطوفان فى زمان نوح. وبعد أن انتهى كل شىء وخرج نوح من الفلك بنى مذبحاً للرب، **فتنسّم الرب رائحة الرضا** وقال فى قلبه : **«لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصوّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حىّ كما فعلت»** (تك ٨ : ٢٠، ٢١).

يقول القديس بولس الرسول : « اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد. **لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون»** (غل ٥ : ١٦، ١٧)... كما يقول عن طبيعة الإنسان المائلة للشر: **«فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ، أى فى جسدى شىء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل... حينما أريد أن أفعل الحسنى (أجد) أن الشر حاضر عندى. فإنى أُسَرّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى، ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى. . ويحى أنا الإنسان الشقىّ. مَن**

ينقذنى من جسد هذا الموت» (رو ٧ : ١٨ - ٢٤).

وهكذا نرى أن الإنسان بحسب تكوينه وطبيعته ضعيف ، فضلاً عن وجود عوامل جذب كثيرة وقوية تشدّه إلى كل ما هو أرضى ترابى وجسدانى ... **لذا فإن الضيقات نافعة للإنسان لأنها تنبهه وتفيقه وترده إلى صوابه ، وتعرّفه ضعف ذاته وطبيعته ، فيرفع عقله وقلبه من حيث عونه** ... يقول المرنم : « معونتى من عند الرب » .

يقول داود النبى : « أنا قلت فى طمأنينتى لا أتزعزع إلى الأبد . يارب برضاك ثبّت لجبلى عزاً . حجبت وجهك فصرتُ مرتاعاً » (مز ٣٠ : ٦ ، ٧) ... والمعنى أن داود قال فى وقت قوته انه لا يتزعزع ، وللحال حجب الله وجهه ومعونته عنه فصار مرتاعاً وقلقاً . ويقول بعدها مباشرة : «إليك يارب أصرخ وإلى السيد اتضرع ... سمع الرب فرحمنى . الرب صار لى عوناً . حولت نوحى إلى فرح . مزقت مسحى ومنطقتنى سروراً » (الترجمة القبطية) .

ما أشد ضعف الإنسان ، وما أكثر ما تخونه إرادته على الرغم من معرفته أين يوجد الصواب ... ولولا نعمة الله التى تسندنا مراراً عديدة ، والتى تنبهنا بطرق مختلفة ووسائط شتى ، لصرنا شيئاً آخر غاية فى السوء والرداءة ... الله فى معاملاته مع جبلته يعامل كل واحد بالطريقة التى تناسبه من أجل خيره ... وللأسف فغالباً ما لا يتنبه الإنسان إلاّ بالضيقات . **يقول أحدهم : [إن الضيقات هى لغة الله لمحبيه !!]** وهكذا نرى أن الضيقات التى تأتى على الإنسان نافعة لخلاصه .

ثم ان الله بواسطة الضيقات ينقى الإنسان من الأخطاء والضعفات ... يقول رب المجد يسوع : «أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام . كل غصن فىَّ لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر» (يو ١٥ : ١) ... إن عملية التنقية ، عملية تستوجب قطع أجزاء من الأغصان وهو ما يعرف باسم التقليم ... ولو كان للنبات أن يتكلم ويعبرّ بالكلام عن احاسيسه ، لأدركنا أنه يتألم !! وفى بعض النباتات إذا جُرحت بسلاح سالت منها عصارة وكأنها الدموع !! هذا ما يفعله الله مع أولاده الذين يحبهم . انه ينقيهم ليأتوا بثمر روحى أكثر ... **يقول أحد الآباء : [كما أن الغصن حينما يُشَذّب ، تسيل عصارته وكأنه يبكى ، إلاّ أنه لا يلبث حتى تظهر براعمه التى تتفتح عن زهور جميلة ، تتحول بعد ذلك إلى ثمار يانعة شهية .**

كذلك المسيحى وهو غصن سرّى فى المسيح الكرمة الحقيقية، حينما تحيط به الآلام، يبدو ـ بادىء ذى بدء ـ وكأن تلك الآلام تسحقه، إلاّ أنه لا يلبث حتى يتجدد ويزداد حيوية، وتتكاثر فيه ثمار الروح القدس العجيبة] ... يقول القديس أغسطينوس: [التبن شىء والحنطة شىء آخر. ومع ذلك فالنورج يمرّ فوق كليهما يسحق التبن وينقى القمح].

٥ ـ لأنه الطريق الموصلة للمجد الأبدى :

يحدثنا سفر أعمال الرسل عن منهج الرسولين بولس وبرنابا فى بعض مدن آسيا الصغرى. وكيف كانا « يشددان أنفس التلاميذ، ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان. **وانه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله** » (أع ١٤ : ٢٢)... وكلمة « ينبغى » تفيد لزوم هذا الشىء الذى هو الضيقات الكثيرة !!

.أظهر أهل تسالونيكى استعداداً طيباً لقبول الإيمان المسيحى . بل إن إيمانهم كان ينمو وفضائلهم تزدهر. فكتب إليهم القديس بولس مشجعاً وموضحاً أن الاضطهادات والضيقات التى يحتملونها إنما هى مؤشر لاستحقاقهم للملكوت... « اننا نحن أنفسنا نفتخر بكم فى كنائس الله **من أجل صبركم وإيمانكم فى جميع اضطهاداتكم والضيقات التى تحتملونها، بيّنة على قضاء الله العادل، انكم تؤهلون لملكوت الله، الذى لأجله تتألمون أيضاً**. إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً. وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا **عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته** » (٢تس ١ : ٣ ـ ٧)... كما يكتب هذا الرسول إلى أهل كورنثوس ويقول: « **لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً** » (٢ كو ٤ : ١٧).

ويصوّر لنا يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا مكانة الذين يحتملون الضيقات فى العالم الآخر فيقول : « بعد هذا نظرت، وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، متسربلين بثياب بيض، وفى أيديهم سعف النخل ... وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف. وجميع الملائكة كانوا واقفين حول

العرش والشيوخ والحيوانات الأربعة، وخرّوا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله قائلين: آمين البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين. **وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لى: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم، ومن أين أتوا. فقلت له يا سيد أنت تعلم. فقال لى: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم فى دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً فى هيكله. والجالس على العرش يحلّ فوقهم. لن يجوعوا بعد. ولن يعطشوا بعد. ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحرّ. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٧: ٩: ١٧).**

إن الألم والضيقات هى علامة أكيدة للتأهل للسعادة الأبدية ... هذا ما يكشفه مخلصنا حينما قال لتلاميذه: «الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح» (يو ١٦: ٢٠).

مبدأ الباب الضيق فى الحياة الروحية:

لا يقتصر مبدأ الباب الضيق على الضيقات والضغطات التى تأتى على الإنسان من الخارج، بل يشمل أيضاً تضييق الإنسان على نفسه إختيارياً فى جهاده الروحى ... ونعرض الآن لبعض أمثلة للباب الضيق فى الحياة الروحية.

أولاً - فى التوبة:

لا شك **أن التوبة هى أحد الأبواب الضيقة التى على الإنسان أن يدخل منها بإرادته. ففى التوبة، يجب على الإنسان أن يضيّق على ذاته، فلا يعطيها ما تشتهيه من شهوات غير مقدسة** ... ولنتفهم وصية الرب **«اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق»**. إذن هو يتكلم عن عمل إرادى على الإنسان أن يقوم به.

يقول مار يوحنا سابا (الشيخ الروحانى) ... [كما أن آدم الجسدانى من حواء يُولد له بنون بشبهه لعالمه الجسدانى، كذلك المسيح أب العالم الروحانى - من المعمودية

والتوبة - يُولد له بنون بشبهه للعالم الروحانى ... فكيف نجدها (التوبة) إن كانت قريبة؟ **يا أبانا أرنا إياها ... إنها على الباب اللطيف الضيق. وكل مَن يصبر لصعوبته المظلمة، ويخرج منه يلقى لوقته ملكوت النور ويتنعم.** وذلك الباب الذى لمدخل الحياة. فإنه فى أى بلد يوجد داخلكم، وبابها هذا هو التوبة ... ليس مَن تمسّك برجائكِ ونزل إلى الجحيم، ولا مَن صعد إلى السماء بدونكِ. مَن يرى الله بغيركِ ؟! مَن تمسّك برجائكِ ووقع فى يد الشيطان. ومَن تطهر ولم تكونى أنتِ التى غَسّلتِه. مَن الذى سقى زرعه من مطركِ، ولم يحصد منه أثمار الفرح. ومَن صبغ وجهه كل ساعة بقطراتكِ ولم يبصر الله فى قلبه. مَن اتخذكِ شفيعه ولم تفتحى أمامه أبوابِ خزائن الله. أنتِ خلّصت داود من الخطية ... صدر الحكم على أهل نينوى بالهلاك، ولكنكِ تجبّرت وقمتِ وخلصتيهم].

+ صعوبات التوبة :

السيد المسيح ينادى المتعبين والثقيلى الأحمال ليريحهم. ويدعوهم لحمل نيره، ويصفه بأنه هيّن وخفيف (مت ١١ : ٢٨ - ٣٠) ... ولا شك أن الخطاة والأشرار هم من هؤلاء المتعبين الذين يدعوهم المسيح ليريحهم ... **والراحة لا تتأتى إلاَّ بالتوبة. لكن قول المسيح ان نيره هيّن وحمله خفيف لا يعنى أن التوبة تخلو من الصعوبات ... على العكس، فإن فيها صعوبات مؤكدة، لأنها دخول من الباب الضيق، والسير فى الطريق الكرب** ... ويقابل صعوبات الطريق أن المسيح له المجد يرافق كل السائرين فيها ... يُعزّيهم ويسندهم ويشددهم واحساس الإنسان برفقة المسيح وحنوه ولطفه وحلاوته تُنسيه كل متاعب الطريق ...

فما هى صعوبات التوبة ؟

١ - صعوبة الاقلاع عن الشهوات المحببة للنفس :

لا نستطيع أن ننكر دور نعمة الله فى كل صلاح يعمله الإنسان، **مصداقاً** لقول الرب يسوع نفسه : «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥ : ٥) ... «لا يقدر أحد أن يُقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى» (يو ٦ : ٤٤).

التوبة إذن محتاجة إلى نعمة الله لمؤازرة الإنسان الذى يريد أن يتوب ، لذا يصرخ ارميا النبى إلى الله قائلاً : « توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى » (ار ٣١ : ١٨) ... **لكن هذا لا ينفى دور الإنسان فى تخليص نفسه ، بإظهار إرادته وجهاده وتشبثه بالحياة مع الله ... وهنا نتذكر قول القديس أغسطينوس الشهير: [الله الذى خلقك بدونك ، لا يخلّصك بدونك]**. والمعنى أنك لم تشترك فى خلقة نفسك (خلقك بدونك) ، ولكن فيما يختص بخلاص نفسك فلا بد أن يكون لك دور بالإرادة والجهاد وما إلى ذلك . أى أن نعمة الله لا تخلصك وأنت سلبى لا تجاهد ولا تعمل شيئاً من أعمال التوبة ...

هناك شهوات يحبها الإنسان ، وطالما استُعبد لها ... هذا ولا شك يحتاج إلى ثبات ومقاومة وثقة فى معونة الله ، وأيضاً ثقة بالنفس ... ضع العالم كله بما فيه ومَن فيه فى كفة ميزان ، والمسيح ومحبته وأمجاده فى الكفة الأخرى ... حدد موقفك أيهما تختار باراباس أم يسوع (مت ٢٧ : ١٧) ... إن باراباس رمز العالم الحاضر الذى وُضع فى الشرير. إياك أن تشابه اليهود فى اختيارهم باراباس أمام الوالى الرومانى بيلاطس ...

أنا لا أعرف ما هى الشهوة أو الشهوات التى تسبيك سبياً ، فما أكثر الشهوات . لكنى أذكرك بوصية المسيح أن تحبه من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ... وان مَن يحب إنساناً ـ سواء كان أباً أو أماً أو ابناً أو ابنة ـ أكثر منه فلا يستحقه (مت ١٠ : ٣٧) ... وإذا كان هذا عن المحبة المشروعة والمقدسة (محبة الآباء والأمهات والأبناء) ، فماذا نقول عن الحب الشهوانى الدنس وغير المقدس ؟! ... **أذكّرك أيضاً بقول رب المجد : « مَن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . مَن وجد حياته يضيعها . ومَن أضاع حياته من أجلى يجدها »** (مت ١٠ : ٣٨ ، ٣٩) .

اسمع ما أقوله لك ... إن كنت تود من كل قلبك أن تعيش لله فسيعطيك القوة والنصرة ... « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) ... « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) ... **الطفل يُفْطم بصعوبة من ثدى أمه . لكن لا سبيل لنموه إلاَّ بالفطام وتناوله طعام البالغين بالتدريج .**

إن الجهاد لازم فى كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان . ولا يأتى وقت

يتوقف الإنسان عن الجهاد. قد تتغير الحروب الروحية التي يتعرض لها الإنسان في مراحل عمره المختلفة، لكن يظل الجهاد هو سلاح الإنسان الذي به يغلب وينتصر... إن بولس الرسول العملاق يقول: «وكل مَن يجاهد يضبط نفسه في كل شيء... أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» (١ كو ٩: ٢٧)... ما هذا يا بولس، هل تخشى أن تُرفض بعد كل الخدمات التي قدّمتها لسيدك واتعاب الكرازة التي عانيتها، وبعد الرؤى الإلهية الكثيرة التي عاينتها واعلنت لك؟... ويعود هذا الرسول ويكتب إلى العبرانيين قائلاً: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢: ٤). فإذا كان هذا هو مقياس هذا الرسول العظيم في الجهاد، فماذا عسانا نحن أن نعمل؟!

٢ ـ صعوبة التخلّي عن الصداقات المعثرة:

الصداقة والصداقات ما أخطرها، وما أشدّ تأثيرها على الإنسان. ومن هنا كانت كلمات الرسول المعلم بولس: «لا تضلّوا فإن المعاشرات الرديّة تفسد الأخلاق الجيدة» (١ كو ١٥: ٣٣)... إن اليد القذرة غير النظيفة إذا امسكت بأي شيء لوّثته. هكذا الصداقة الرديئة... وعلى العكس من ذلك فإن الصداقة الطيبة التي أساسها المسيح هي بركة كبيرة للإنسان، وعوناً عظيماً له في حياته الروحية وجهاده... وقد يرتبط الإنسان بصديق منذ الصغر ـ وقت البراءة ـ ويحدث أن هذا الصديق ينحرف حينما يشب عن الطوق. فإذا استمرت الصداقة، فإن أثرها يكون خطيراً، وغالباً ما تقود إلى إنحراف الطرف الآخر.

إن الإنسان بحسب تكوينه وطبيعته مائل للشر، لذا ينصحنا الكتاب المقدس بالهروب من مجالات الخطية والشر... هذا ما قيل للوط بخصوص سكناه في سدوم وعمورة: «اهرب لحياتك. لا تنظر إلى ورائك. ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك» (تك ١٩: ١٧)... لقد حذّره من مجرد النظر إلى الوراء لئلا يميل قلبه إلى شيء مما في المدينة، كما حذّره من الوقوف في كل الدائرة أو المنطقة...

٣ ـ صعوبة الاقلاع عن العادات الرديئة المتأصلة :

العادة ـ أى عادة ـ تتأصّل فى الإنسان بالممارسة ويساعد فى ذلك عامل الزمن. وهى كالشجرة التى يمكن اقتلاعها من جذورها وهى بعد صغيرة، لكن من الصعب اقتلاعها إذا ما ضربت بجذورها فى باطن الأرض وتغلغلت فيها بعامل الزمن ...

ومع تسليمنا بهذا الكلام وبمدى تأثير بعض العادات السيئة فى الإنسان، لكننا نقول إنه لا يوجد شيء مستحيلاً ... ماذا يقول الرسول ... «أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوّينى» (فى ٤ : ١٣) ... وإذا كان الإنسان بإيمانه الحقيقى العميق قادراً على نقل الجبال واتيان العجائب وصنع المعجزات، فهل يعجز أن يقلع عنه عادة سيئة رديئة ؟!

ولا نستطيع أن نحصى العادات السيئة الرديئة، لكنها بالتأكيد معروفة للجميع. ولا نتعرض هنا للعادات الضارة المتصلة بالمسألة الجنسية، لكننا نشير إلى بعض العادات الرديئة التى يستخف الكثيرون بها، وربما لا يعتبرونها أمراً رديئاً، مثل التدخين واحتساء الخمر ولو قليل منه، وشرب المكيفات كالشاى والقهوة ... إلخ. ومضار ادمان هذه المكيفات صحياً أمر معروف ولا يحتاج إلى إثبات. لكن يقول قائل : نعم إن التدخين وشرب الخمر وبعض المكيفات إذا أدمن عليها الإنسان تصبح عادات سيئة، لكن ماذا فى إدمان شرب الشاى والقهوة ؟! **ونحن نقول إن الخطورة فى أى عادة انها تستعبد الإنسان لها.** فتعوّد شرب الشاى والقهوة وعدم الاستغناء عنهما كثيراً ما عطّل شاربيها عن أمور روحية جميلة كممارسة الصوم الانقطاعى. فقد اعتاد هؤلاء بمجرد استيقاظهم أن يشربوا شيئاً منها. وبهذا يحرمون أنفسهم من بركة الصوم الانقطاعى والحكمة منه ...

لا تستهينوا بأى عادة ـ أياً كانت ... فالعادة السيئة الرديئة تستعبد الإنسان وتسلبه حريته التى وهبها إياه المسيح ... لقد أتى مخلصنا ليحررنا من كل القيود التى استعبدنا أنفسنا لها بإرادتنا. لذا فلنعلم أن المسيح وحده هو القادر أن يحررنا تماماً ـ «إن حرّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨ : ٣٦).

إن الكلام هنا ليس موجهاً لمَن هم مستعبدون لبعض العادات الرديئة فحسب، لكنه تحذير لكل إنسان من الخطوة الأولى، التى تعقبها خطوات...
لنذكر أن أى بناء ضخم يبدأ بقالب طوب واحد. والكتاب الكبير يبدأ بكلمة كتبت على أول سطر بأول صفحة، تتلوها كلمات ثم سطور ثم صفحات وصفحات.

إذا شعرت بالحرية فى المسيح، فاحترس لئلا تُستعبد لشىء ما. كن حذراً وكن حريصاً... إن الرسول بولس قبل أن يقول «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى»، قال: «قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن اتضع وأعرف أيضاً أن استفضل. فى كل شىء وفى جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وان أجوع، وان استفضل وان انقص» (فى ٤: ١١، ١٢).

٤ ـ تذكارات الخطايا القديمة:

ومن ضمن صعوبات التوبة، تذكارات الخطايا القديمة، التى قد يكون الإنسان قد أقلع عنها... ويظل عدو الخير يلّوح بها، ويستخدمها لتحريك مشاعر غير مقدسة فى الإنسان، وبالتالى تدنيس فكره...

مثل هذه التذكارات القديمة تصلى الكنيسة لأجلها فى صلاة الصلح بالقداس الإلهى، وتطلب إلى الله أن يطهرنا من كل دنس ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ومن تذكار الشرّ الملبس الموت. وهو كذلك لأنه إذا استطاع أن يجرّ الإنسان إلى جوّ الخطية ثانية ـ ولو فكرياً ـ فإنه يقوده إلى موت الخطية...

إن التغلب على أمثال هذه الأمور يحتاج إلى عزيمة وجهاد وصبر... ويجب ألاّ نرتاع من أعدائنا الروحيين، ولا نستضعف أنفسنا. نحن بدون الله لا شىء وعدم ولكن إن احسسنا بوجود الله إلى جوارنا، فلنقل: «إن كان الله معنا فمَن علينا» (رو ٨: ٣١)... «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤: ١٣).

ثانياً ـ فى ممارسات الصلاة والصوم والقراءات المقدسة :

إن كنا قد تكلمنا عن مبدأ الباب الضيق فى التوبة ، فإنما تكلمنا عن بعض السلبيات. لكن هناك إيجابيات لا غنى للحياة الروحية عنها ، بل هى بمثابة الروح للإنسان ... ولا قيمة لمقاومة الإنسان للسلبيات ما لم تسندها الإيجابيات ، التى هى بمثابة الغذاء لروح الإنسان ... ولعل أهم هذه الايجابيات الصلاة والصوم والقراءات المقدسة... وبطبيعة الحال سوف لا يكون حديثنا بالتفصيل عن كل منها ، **لكن كلامنا سيكون عن مبدأ الباب الضيق فى كل منها ...**

هناك مبدأ فى الحياة الروحية نصح به الآباء القديسون هو التغصّب ... لقد استمدوا هذا المبدأ من تعليم السيد المسيح نفسه فى قوله : « ملكوت السموات يُغصب ، والغاصبون يختطفونه » (مت ١١ : ١٢) ... فالأمر ليس سهلاً هيّناً كما قد يتوهم البعض . فكل شىء فى الحياة ـ أى شىء ـ لا يناله الإنسان إلاَّ بالجهد والتعب والمشقة ، خاصة إذا كان شيئاً ثميناً . **فالطالب والتاجر والزارع والصانع وغيرهم لا يفوزون بما يريدون ما لم يجاهدوا ويكدّوا ويتعبوا ... فما بالك بالسماء التى نجاهد من أجل الوصول إليها ... وإذا كان الطالب مثلاً يجاهد بلا كلل ولا ملل ويقاوم رغباته الجسدية فى الراحة من أجل الحصول على شهادة دراسية ، ألاَّ تستحق السماء منا مثل هذا الجهاد ؟!**

+ نقرأ عن ربنا يسوع المسيح أنه كثيراً ما كان يقضى الليل كله فى الصلاة ... ذاك القدوس الذى لم يكن بحاجة للصلاة كان يصلى بهذا العمق وهذه الاستمرارية ... ونحن كثيراً ما يخدعنا جسدنا ، ويظهر لنا ضعفاً ، وثقلاً فى أعضائنا ... وإذا حدث واستجبنا لخداعه لتوقفنا عن ممارساتنا الروحية ...

ماذا يقول الآباء الذين خبروا الحياة الروحية ؟

يقول مار إسحق السريانى : [هل أنت تعمل فقط لخبز الجسد حينما يكون لك رغبة فى العمل . أم انك تجاهد حتى لو لم تكن لك رغبة فى العمل؟ **اعلم أن أمر غصب النفس على العمل هو أمر هام جداً فى الأمور الدنيوية والروحية أيضاً.** هو لازم للصلاة وقراءة الكتب المقدسة والكتب الروحية وحضور الخدمات الإلهية فى

الكنيسة . **لا تُطغ الجسد الكسول الخادع ، فإنه مملوء خطية ... الجسد يشتهى أن يرتاح** على الدوام ، غير مكترث بالهلاك الأ بدى الذى يكون عوض راحته القليلة الزائلة] .

و يقول أيضاً : [**بقدر ما يشقى الإنسان ويجاهد و يغصب نفسه من أجل الله ، هكذا معونة إلهية تُرسَل إليه وتحيط به ، تُسهّل عليه جهاده وتصلح الطريق قدامه** ... أما إذا كنت تسأل إلى أى حدٍّ اغصب ذاتى ، **فإنى أقول لك إلى حدّ الموت اغصب نفسك من أجل الله ... خير لنا أن نموت فى الجهاد من أن نحيا فى السقوط] !!**

على الإنسان ألاّ يتراخى ، بل عليه أن يغصب نفسه للصلاة حتى لو لم يشعر بدافع للصلاة أو تعزية داخلية (جفاف روحى) ...

يقول القديس مار افرام السريانى : [اسكبوا أمام الله الدموع لتصير صلاتكم كالبخور قدامه . مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع فى زمن التجربة . الماء يخمد لهيب النار ، والدموع تطفىء شهوة الشرّ] ... و يقول القديس يوحنا الدَرَجى : [العين الباكية هى جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد] .

+ وإذا كان غصب النفس لازم فى ممارسة الصلوات ، فهو أيضاً لازم فى الصوم - خاصة الصوم الانقطاعى ... فما أكثر البركات التى لنا بالصوم ... **فما هى خبرة آبائنا فيما يختص بالصوم والتغصب فيه ، الذى هو الباب الضيق ؟**

يقول القديس مقاريوس الكبير : [طول الروح هو صبرٌ . والصبر هو الغلبة . والغلبة هى الحياة ، والحياة هى الملكوت ، والملكوت هو الله . البئر عميقة لكن ماءها طيب عذب . **الباب ضيق والطريق كربة** ، لكن المدينة مملوءة فرحاً وسروراً . البرج شامخ حصين ، لكن داخله كنوزاً جليلة . الصوم ثقيل صعب ، لكنه يوصل إلى ملكوت السموات . فعل الصلاح عسير شاق ، لكنه يُنَجىّ من النار برحمة ربنا الذى له المجد] .

و يقول الأنبا باخوميوس أب الشركة الرهبانية : [**ما أكثر فخر الصابرين على التجارب** . جميع المعلمين والآباء والكتب المقدسة تأمر بالصبر الكثير وتحث عليه . فكن صبوراً وتجلّد ، لأن القديسين صبروا فنالوا المواعيد . كن واسع القلب لتُكلل مع جنوده الأطهار . داوم على الصوم وصلّ ولا تملّ . **واصبر للبلايا حتى يرفعها الرب عنك .**

وانظر لأى درجة، حتى اللُعاب الذى ييبس فى فمك وأنت صائم لا ينساه الله. وتجد ذلك عند **شدتك** فى وقت انتقالك].

و يقول مار إسحق السريانى : [كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يبتدىء بالصوم، خصوصاً إذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية].

كما يقول أيضاً : [مخلصنا الصالح حينما أظهر نفسه للعالم عند الأردن ابتدأ من هذه النقطة. فحينما اعتمد، قاده الروح إلى البرية مباشرة، وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة. وكل الذين يريدون أن يتبعوا خطواته، عليهم أن يضعوا أساس جهادهم على مثال عمله]...

والقديس ايرونيموس (جيروم) يرد على مَن يتماحكون ولا يصومون بحجة خشية ضعف أجسادهم و يقول : [خير لك أن تمرض معدتك ولا تمرض نفسك. وان ترتجف ركبتك ولا تتزعزع عفّتك. فاقمع جسدك واستعبده لئلا تُرذل]...

وإذا كنا قد تحدثنا عن التغصب فى الصلاة والصوم، فإنه لازم لنا فى القراءات الروحية، وفى مقدمتها الكتاب المقدس... إن كلمة الله خير سندٍ للإنسان فى غربته فى العالم وجهاده المستمر... يقول القديس بولس : « كل ما سبق فكتب، كُتب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء » (رو ١٥ : ٤). انه خير مرشد لنا نحن الغرباء فى الجسد فى هذا العالم...

ثالثاً - فى الاعـــــتراف :

لا شك أن اعتراف الإنسان بخطاياه أمام الأب الكاهن هو أحد الأبواب الضيقة التى عليه أن يدخل منها... كثيرون يمنعهم الخجل من الاعتراف بخطاياهم عن ممارسة هذا السرّ المقدس، الذى به ننال غفران خطايانا. وهكذا يحرمون أنفسهم من بركات هذا السرّ بوقوفهم أمام بابه الضيق...

الخجل ولو أنه قاسٍ ومؤلم، إلاّ انه مفيد للإنسان... انه يشعرنا ببشاعة الخطية، ومادى حقارة الوقوع فيها. كما يشعرنا بأنها - أى الخطية - عار ونقص. وكل هذه المشاعر لازمة ومفيدة للإنسان فى توبته... من المفيد للإنسان أن يتألم بسبب

خطيئته حال اعترافه وإقراره بها ، طالما أنه تلذّذ بها قبلاً حال ارتكابها وممارستها ... من أجل هذا قال الآباء القديسون إن سر الاعتراف لجام قوى يكبح جماح الإنسان ويمنعه من العودة إلى الخطأ ...

يقول يشوع بن سيراخ : « لا تَسْتَحِ من الاقرار بخطاياك » (سيراخ ٤ : ٢٦) ... **يجب على الإنسان أن يتخطى حاجز الخجل ، ويغصب ذاته على ولوج الباب الضيق** ، فى سبيل الفوز براحة ضميره ، حينما ينقل عنا الروح القدس فى سر الاعتراف خطايانا ليضعها على المسيح حمل الله حامل خطايا العالم كله ، الذى فى استحقاقات فدائه الذى اتمّه على الصليب ، لنا غفران الخطايا (أف ١ : ٧ ؛ كو ١ : ١٤ ؛ عب ٧ : ٢٥ ؛ ١ يو ١ : ٩ ؛ ٢ : ١ ، ٢) .

مبدأ الباب الضيق إزاء مشاكل الحياة :

ما أكثر المشاكل التى تقابل الإنسان فى حياته ... بعض هذه المشاكل يمكن حلّها بطريقة أو بأخرى ، **والبعض الآخر لا سبيل إلى حلّه إلاّ من خلال الباب الضيق وسلوك الطريق الكرب** ... وسوف لا نُسهب كثيراً فى هذا القسم من موضوعنا ، **لكننا سنتناول بالكلام بعض المشاكل الأساسية ونوجزها فى النقاط الآتية :**

أ ـ المشاكل الأســرية :

ونعنى بها هنا مشاكل الزواج والطلاق ... والموضوع متسع ويحتاج إلى موضوع خاص . لكننا نكتفى بمجرد الإشارة ... ما أسهل أن يلجأ أحد الزوجين إلى فصم رباط الزوجية المقدس ، والالتجاء إلى ساحات القضاء لاستصدار حكم بالطلاق ...

إن فى هذا التصرف كسر لناموس المسيح الذى يحتم انه لا طلاق إلاّ لعلة الزنا ... **كان فى الإمكان أن يستمر مثل هذا الزواج ، لو احتمل الطرف المُسَاء إليه والمتضرر حمل صليبه ، ودخل من الباب الضيق وسار فى الطريق الكرب** ... إن الذين يلجأون إلى الطلاق ـ كوسيلة سريعة للتخلص من مشكلة زوجية ـ إنما يدوسون شريعة المسيح ... أما النتيجة فهى انهم يتجرعون كأس المرارة ويحصدون ثمر ما زرعوه فى تشرد أولادهم إلى غير ذلك من ضيقات وآلام وأحزان .

ب ـ مشاكل العمـــل :

ما أكثر مشاكل العمل ... مشاكل فى التوظف والترقىّ إلى درجات أعلا ، وشغل المراكز الرئيسية ، والتعنت فى النقل من مكان إلى آخر تبعاً للظروف المعيشية ... إلخ . إن احساس الإنسان بالظلم الواقع عليه إن لم يدفعه إلى الخطأ بصورة ما ، فقد يدفعه إلى الخطأ الروحى كالوقوع فى الإدانة والحقد والغضب وغير ذلك ... وفضلاً عن الأخطاء الروحية التى يقع فيها الإنسان ، فقد يتسبب فى أن يضير نفسه بأضرار صحية وما أكثرها كارتفاع ضغط الدم ومرض السكر والإصابة بالأزمات القلبية والأزمات النفسية الحادة التى لها أسوأ العواقب ...

ولو ترسّم الإنسان خطوات سيده ، ودخل طواعية واختياراً من الباب الضيق ـ باب احتمال الظلم ـ لجَنَى بركات الاحتمال والصبر وكل المواعيد الصالحة التى وعد بها الله المضطهدين لأجل اسمه ... على الإنسان المظلوم أن يوقن إيقاناً تاماً أن المسيح الإله يرافق كل الذين يَلجُون الباب الضيق ويسيرون فى الطريق الكرب حاملين صليبهم . وعليه أن يتأكد أن الله سوف يعوّضه عن الظلم المادى ببركات أخرى مادية وروحية فى حياته وصحته وأسرته وكل ما تمتد إليه يده ... والبركات يعطيها واضع الناموس ، ولا يمكن أن تُحَد لكنها تشمل كل شىء ...

من المفيد فى أمثال هذه الحالات أن ننظر إلى المسيح ونتأمله . فهو الذى قيل عنه : « ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه » (إش ٥٣ : ٧) ... ليتنا نذكر قوله : ليس التلميذ أفضل من معلمه ، ولا العبد أفضل من سيده . إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم . إن كانوا قد فعلوا هذا بالعود الرطب فكم باليابس (مت ١٠ : ٢٤ ، ٢٥ ؛ لو ٢٣ : ٣١ ؛ يو ١٥ : ٢٠) ...

إن الله لن يترك الظلم يسود وكأنه لا يوجد إله يرعى هذا الكون ... اسمع ما يقوله داود النبى ... « لا تَغَرْ من الأشرار ، ولا تحسد عمّال الإثم . فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون ، ومثل العشب الأخضر يذبلون . اتكل على الرب وافعل الخير... تلذّذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك . سلّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجرى . ويُخرج مثل النور برّك وحقك مثل الظهيرة . انتظر الرب واصبر له ، ولا تَغَرْ من الذى ينجح فى

طريقه ... كُف عن الغضب واترك السخط ولا تَغَرْ لفعل الشر. **لأن عاملى الشر يُقطعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير. تَطلّع فى مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون فى كثرة السلامة»** (مز ٣٧ : ١- ١١).

جـ - آلام المـــرض :

واحتمال أمراض الجسد واتعابه هو باب ضيق يدخله الإنسان بإرادته وله أجره الكبير... وأخبر أحد الآباء القديسين انه ابصر اربعة مراتب مرتفعة فى السماء : **الأولى مريض صابر شاكر الله.** والثانية صحيح يضيف الغرباء وينيّح الضعفاء. والثالثة منفرد فى البرية مجتهد. والرابعة تلميذ ملازم لطاعة أبيه الروحى من أجل الله ... إن المريض الشاكر كمَن يقدّم جسده ذبيحة لله كل يوم ... كان المتنيّح الأب القمص بيشوى كامل كاهن كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج بمدينة الاسكندرية، وهو يعانى من آلام مرض السرطان المرعبة، يبتسم ويقول عن هذا المرض اللعين : [إنه مرض الفردوس] !!

د - اغراءات العالم وما تخفيه :

وما أكثر اغراءات عالمنا الذى نعيش فيه ... انه يغرينا بصور مختلفة، تُخفى وراءها مخاطر وأهوال، لا يعرف ما تجرّه من مصائب إلاّ الله وحده... **كان آباؤنا القديسون يرون أمامهم الطريق الواسع المريح، لكنهم كانوا يعدلون عنه، ويلقون بأنفسهم فى الضيقات بإرادتهم، عالمين أن وراءها كل الخير... إن المسيح ينتظر كل أحبائه عند الباب الضيق، ليدخل معهم، ويدخلوا هم به إلى الطريق الضيقة.**

أورد كتاب بستان الرهبان قصة راهب شيخ كان مقيماً فى البرية . وكان يستقى من عين ماء تبعد عن مكان اقامته اثنا عشر ميلاً . وفى إحدى المرات بينما هو ذاهب ليستقى تضايق وقال لنفسه : [لماذا أعانى هذا التعب . فلأذهب وأسكن قرب عين الماء] . وفيما هو يفكر فى ذلك، التفت إلى خلفه وأبصر شيخاً يعدّ خطواته . فسأله : [مَن أنت] . أجابه : [أنا ملاك الرب، أُرسلت من الله لأعدّ خطواتك لكى يعطيك أجر تعبك !!] . فلما سمع الشيخ ذلك طابت نفسه، وزاد على المسافة التى كان يقطعها خمسة أميال أخرى .

الملكـــــوت

* ملكوت الله وملكوت السموات .
* فكرة الملكوت فى العهد القديم .
* ملكوت المسيح روحى لا مادى .
* ما المقصود بملكوت الله ؟
* أمثال المسيح عن الملكوت ودلالتها :
  + مثل الزارع .
  + مثل الزوان والحنطة والشبكة المطروحة فى البحر .
  + مثلا حبة الخردل والخميرة .
  + مثل الفعلة فى الكرم .
  + مثل العرس والمدعوين .
  + مثلا الكنز المخفى فى الحقل واللؤلؤة الكثيرة الثمن .
  + مثل العذارى .
* سعادة الملكوت والحياة الأبدية .

إن التفكير فى السماء والشوق إليها كان وما يزال الفكر المحرّك لكل القديسين ورجال الله فى كل زمان ومكان ... ومجرد تذكار أمجادها، وما ينتظر القديسين فيها، يعطى دفعة روحية قوية للمجاهدين، تُنسيهم كل أتعابهم ... وقد عبرّ القديس بولس الرسول عن هذا الحنين حينما كتب من سجنه فى روما إلى أهل فيلبى يقول: «لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح (فى السماء)، ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) ...

هذا ما دفع القديسين إلى احتمال كل ما صادفهم من ضيقات ومصاعب تجلّ عن الوصف - ليس فى صبرٍ فقط، بل بتلذّذ ... «خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا تُرى. لأن التى تُرى وقتية، وأما التى لا تُرى فأبدية» (٢ كو ٤ : ١٧، ١٨) ... وقبل بولس بأجيال كثيرة قال المرتل: «مَن لى فى السماء، ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض» (مز ٧٣: ٢٥).

إن كل مَن عاش على هذه الأرض كغريب وسائح جاعلاً وجهته الأبدية العتيدة، تذّوق مقدماً تلك السعادة الخالدة التى لا توصف ... «ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدّه الله للذين يحبونه» (١ كو ٢ : ٩).

إن التفكير فى السماء يقود النفوس فى جهادها لبلوغ حكمة التطوبيات إلى ذرى البطولة والكمال ... والشوق إلى السماء يحررّ القلب، لا من التعلّق بالأرضيات فحسب، بل ومن كل الميول الأرضية والجسدانية.

لقد صلى الرب يسوع قبيل آلامه ... « أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك احببتنى قبل إنشاء العالم» (يو ١٧ : ٢٤) ... كانت هذه هى شهوة قلب الرب يسوع من جهة أولاده القديسين ... **ومازال أولاد الله فى كل آن ومكان يعيشون فى غربة حقيقية إلى أن يصلوا وطنهم السماوى ...** «فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد، فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونُسَرّ بالأولى أن نتغرّب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (٢ كو ٥ : ٦ - ٨).

ملكوت الله وملكوت السموات :

يفتتح مرقس الإنجيلى بشارته بقوله : « وبعد ما أُسْلِمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة **ملكوت الله**. ويقول قد كمل الزمان واقترب **ملكوت الله**، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٤، ١٥- انظر مت ٤ : ١٧).

ويتكلم متى الإنجيلى عن كرازة يوحنا المعمدان فى برية اليهودية ومناداته قائلاً : « توبوا لأنه قد اقترب **ملكوت السموات** » (مت ٣ : ٢ ؛ ٩ : ٣٥).

والرب يسوع المسيح منذ بداية خدمته الجهارية إلى أن رُفع على الصليب، استمر يبشر بملكوت الله والتحدث عنه بأمثاله وتعاليمه ... ولا نكون مبالغين إن قلنا إن حياة السيد المسيح ورسالته التعليمية قد تركزت حول موضوع « الملكوت ».

وفى العهد الجديد يقابلنا تعبيران عن الملكوت : ملكوت الله (وباليونانية باسيليا تو ثيئو Basilea Tou Theou)، **وملكوت السموات** (وباليونانية باسيليا تون أورانون Basilea Toun Oranoun) ...

يقول السيد المسيح له المجد لتلاميذه : « قد اعطى لكم أن تعرفوا **أسرار ملكوت السموات** » (مت ١٣ : ١١). وفى موضع آخر قال لهم : « لكم قد اعطى أن تعرفوا **أسرار ملكوت الله** » (لو ٨ : ١٠). ومرة ثالثة قال للاثنى عشر : « قد اعطى لكم أن تعرفوا سر **ملكوت الله** » (مر ٤ : ١١) ... **وفى ورود هذه الصيغة فى الأناجيل الثلاثة يتبين لنا أن « ملكوت الله » و« ملكوت السموات » هما تعبيران لشىء واحد أو مسمّى واحد.** فهو « ملكوت السموات » بالنسبة لعرش الله فى هذا الملكوت، « فالسماء كرسى الله والأرض موطىء قدميه » (مت ٥ : ٣٤ : ٣٥) وهو ملكوت الله على الأرض وحكم السماء فيها. **ولعل هذا ما قصد إليه السيد المسيح فى الطلبات الثلاث الأولى فى الصلاة الربية « ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض »** (مت ٦ : ٩، ١٠).

فى الإنجيل بحسب القديس متى يرد تعبير « ملكوت السموات » حوالى ٣٢ مرة، بينما يرد تعبير «ملكوت الله» ست مرات فقط. وترد كلمة «ملكوت» وحدها خمس مرات... وفى الإنجيلين بحسب القديس مرقس والقديس لوقا لا يرد إلاَّ تعبير «ملكوت الله». أما يوحنا فى إنجيله فلا يذكر سوى «ملكوت الله» فى حديث المسيح مع نيقوديموس (يو ٣ : ٣، ٥). وفى سفر أعمال الرسل يرد تعبير « ملكوت الله » ست مرات، ولفظ « ملكوت » مرتين.

وفى رسائل القديس بولس يرد تعبير « ملكوت الله » حوالى ثمان مرات... وفى (١ كو ١٥ : ٢٤) يذكر بولس أن المسيح يسلّم المُلك لله الآب... وفى (أف ٥ : ٥) يذكر تعبير « ملكوت المسيح والله »، بينما فى (كو ١ : ١٣) يذكر تعبير « ملكوت ابن محبته »... ويذكر لفظ ملكوت مرتبطة بالمسيح مرتين فى (٢تى ٤ : ١، ١٨). وفى (عب ١ : ٨) يذكر الرسول الملكوت مرتبطاً بالابن، ويذكر « الملكوت » وحده فى (عب ١٢ : ٢٨).

ويذكر يعقوب الرسول « ملكوت الله » مرة واحدة فى (يع ٢ : ٥). ويذكر القديس بطرس الرسول: «ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى» (٢بط ١ : ١١)... أما فى سفر الرؤيا فيرد تعبير «ملكوت يسوع المسيح» (رؤ ١ : ٩). وفى (رؤ ١١ : ١٥) يقول: «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الأبدين». أخيراً فى (رؤ ١٢ : ١٠) يقول: «الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلكه وسلطان مسيحه».

ومما سبق يبرز سؤال: لماذا استخدم القديس متى فى إنجيله تعبير «ملكوت السموات» - لا أقول أكثر مما أورده بقية الإنجيليين - بل أكثر مما جاء فى كل أسفار العهد الجديد؟

معلوم ان متى كتب إنجيله لليهود. ويقول علماء الكتاب المقدس إن اليهود اعتادوا فى عصورهم المتأخرة قبل مجيء المسيح، ألا يستخدموا اسم الجلالة حفظاً وتقديساً له، وتطرّفاً فى فهم الوصية الثالثة من الوصايا العشر «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً» (خر ٢٠ : ٧). وبلغ بهم الأمر أنهم ابعدوا الله بتاتاً عن العالم، ونزّهوه عن الاتصال بكل ما هو مادى. ووضعوا أسماء أخرى لتحل محل

اسمه ، ينطقون بها عندما يريدون أن يشيروا إليه ... والسيد المسيح فى اعترافه أمام رئيس كهنة اليهود ، صادق على استخدام لفظ « المبارك » بدلاً من الله ، وذلك حينما سأله : « أأنت المسيح ابن المبارك » (مر ١٤ : ٦١ ، ٦٢) ... وربما يكون السيد المسيح قد اتبع نفس المنهج فى مثل الابن الضال حينما يقول لأ بيه : « أخطأت إلى السماء وقدامك » (لو ١٥ : ٢١) ، إذ أن كلمة « السماء » استخدمت بديلاً عن اسم الجلالة وهو الله .

نعود إلى كلمة « ملكوت » ونقول **إن علماء اللغات يقررون أن الكلمة العبرية والآرامية التى تترجم « ملكوت » تعنى حكم الله وسلطانه** ... بهذا المعنى وردت فى العهد القديم فى بعض مواضعه . أما فى مواضع أخرى فتشير إلى سلطان الله وحكمه فى جماعة خاصة به دون بقية الشعوب ، دخل معها فى عهد مقدس .

لكن متى بدأ ملكوت الله على الأرض ؟

بدأ هذا الملكوت بصورة ظاهرة **فى دعوة الله لإبراهيم** بأن يخرج من أور الكلدانيين ، ليكون أباً لجمهور من الأمم ... **وأخذ صورته الرسمية فى الأمة الإسرائيلية** يوم أخذ بيدهم وأصعدهم من أرض مصر ليكونوا له مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر ١٩ : ٦) . ولذلك فحينما كان السيد المسيح يتكلم عن الملكوت أو ملكوت الله أو ملكوت السموات ، كان سامعوه من اليهود يفهمونه ... **لكن اليهود كانوا يفهمون الملكوت بصورة مادية . أما الرب يسوع فكان يقصد إلى ناحية روحية خالصة .**

وليس هذا فحسب ، **بل إن اليهود قصروا الملكوت والتمتع بامتيازاته على نسل إبراهيم حسب الجسد ، أما الأمم فقد اقفلوا الباب أمامهم** ... ولذا فقد كانت صدمتهم شديدة حينما امتدح السيد المسيح إيمان قائد المائة الأممى الذى شفى غلامه بقوله : « الحق أقول لكم ، لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا . وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب و يتكئون مع إبراهيم وإسحق و يعقوب فى ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية » (مت ٨ : ١٠-١٢) .

فكرة الملكوت فى العهد القديم :

كلمة « ملكوت » هى نفس الكلمة بنطقها فى اللغة العبرية Malekuth ، وتعنى مملكة أو حكم ... وترد كلمة ملكوت واحد وتسعين مرة فى العهد القديم . وأول ما وردت فى (عدد ٢٤ : ٧) ... **على أن كلمة « مملكة أو ملكوت » لها أكثر من معنى فى العهد القديم . لكن ما يهمنا هنا هو انها تعنى إسرائيل كمملكة الله أو ملكوت الله** « وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٦) ... **ومن خلال داود حَكَمَ الله شعبه المختار** « و يَأْمَنْ بيتك **ومملكتك إلى الأبد أمامك.** كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد » (٢ صم ٧ : ١٦) . وقال داود : « لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد ، لأنه لك كل ما فى السماء والأرض . **لك يارب المُلكُ** وقد ارتفعت رأساً على الجميع » (١ أى ٢٩ : ١١) .

كان مفهوم اليهود أن « يهوه » هو الذى يملك على إسرائيل ... « قال لهم جدعون لا اتسلط أنا عليكم ، ولا يتسلّط ابنى عليكم ، **الرب يتسلط عليكم** » (قض ٨ : ٢٣) ... **وقال الرب لصموئيل النبى :** « اسمع صوت الشعب فى كل ما يقولون لك ، **لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا ، حتى لا أملك عليهم** » (١ صم ٨ : ٧) .

كان العقل اليهودى مملوءً لدرجة التشبع بعقيدة مجىء المسيا ، حتى أن صلاة اليهود يومياً إلى الله كانت تتضمن فقرة يقولها : « ليملك ملكوته ، ليزدهر فداؤه ، وليأتِ مسيّا ويخلّص شعبه » ... وكانت غالبية اليهود العظمى تعتقد أن عصر المسيّا هو عصر الشبع والبركات المادية ...

اعتقد اليهود بحسب تعبير العالم الفريد ادرشَيمْ Alfred Edersheim (وهو يهودى متنصر) فى كتابه القيمّ عن حياة المسيّا : [ان الأرض ستخرج من ذاتها أجمل الملابس وأفخرها ، وأطيب المأكولات وأشهاها . ينمو القمح حتى يصل إلى ارتفاع النخيل ... لا بل إلى قمم الجبال . وعندئذ تحيله الرياح إلى دقيق . ثم يلقى فى الوديان خبزاً ناضجاً شهياً . فى ذلك العصر لن تخيب شجرة ، بل لابد أن تحمل ثمرها ، وتلقى به كل يوم لتحمل ثمراً جديداً] .

كانوا ينتظرون مسياً أو ملكاً مخلصاً يحررهم سياسياً من عبودية الرومان، ويملك ملكاً أرضياً، ويعيد مملكة داود، ويجعل شعب إسرائيل أعظم شعوب الأرض ... لكن آمالهم خابت لما رأوا المسيح وديعاً متواضعاً، لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. يعلّم تعليماً ينمّ عن الضعف ـ فى تصورهم ـ حينما يقول مَن لطمك على خدّك الأيمن حوّل له الآخر أيضاً !!

لقد امتلأ العهد القديم بالنبوات عن المسيح الملك. وكمثال لها ما جاء فى المزمور الثانى «أما أنا فقد مسحتُ ملكى على صهيون جبل قدسى. انى اخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصى الأرض مُلكاً لك» (مز ٢ : ٦ ـ ٨).

ملكوت المسيح روحى لا مادى :

سبق أن ذكرنا أن اليهود كانوا ينتظرون المسيا (المسيح) ملكاً أرضياً يؤسس ملكاً أرضياً ... ولعل هذا الفهم هو السبب فى خوف هيرودس الملك اليهودى حالما علم من المجوس عن ولادة ملك اليهود «أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له» (مت ٢ : ٢).

ويذكر الإنجيل المقدس حادثتين بخصوص نظرة اليهود للمسيح كملك أرضى واهتمامهم بأن يقيموه ملكاً عليهم: الحادثة الأولى بعد معجزة إشباع الألوف من خمسة أرغفة وسمكتين. يقول يوحنا: «فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» (يو ٦ : ١٤، ١٥). **والحادثة الثانية يوم أحد الشعانين حين دخل الرب يسوع أورشليم دخول ملك ظافر منتصر**. وكان الشعب يهتف وقد فرشوا ثيابهم فى الطريق «مبارك الملك الآتى باسم الرب... **مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب**» (مر ١١ : ١٠ ؛ لو ١٩ : ٣٨)...

لكن السيد المسيح رفض هذا المُلك الأرضى، لذا فحينما اقترب من مدينة أورشليم نظر إليها وبكى عليها قائلاً: «انكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى فى

يومكِ هذا ما هو لسلامكِ . ولكن الآن قد اخفى عن عينيكِ . فإنه ستأتى أيام ويحيط بكِ أعداؤك بمترسةٍ و يُحدقون بكِ ويحاصرونكِ من كل جهةٍ ، و يهدمونكِ و بنيكِ فيكِ ، ولا يتركون فيكِ حجراً على حجر، لأنكِ لم تعرفى زمان افتقادكِ » (لو ١٩ : ٤١- ٤٤) .

ولأن السيد المسيح رفض مُلك العالم ، وصُدم اليهود فيه لأنه لم يحقق لهم آمالهم الأرضية العالمية على المستوى المادى، صرخوا أمام بيلاطس الوالى الرومانى الوثنى : « ليس لنا ملك إلاَّ قيصر »... وهزأوا بالمسيح والبسوه رداء ارجوانياً - وهو ثوب الملوك . ثم وضعوا إكليل شوك على رأسه وكأنه تاج الملك ، وكانوا يسخرون منه (مت ٢٧ ؛ يو ١٩) .

ولازال الكثير من المسيحيين يحاربون و يريدون انتصار الكنيسة بالمشاجرة ، مع أن المسيح يقول لبيلاطس وهو يحكم بصلبه : « لو كانت مملكتى من هذا العالم لكانٍ خدامى يجاهدون لكى لا أسلّم إلى اليهود . لكن الآن ليست مملكتى من هنا » (يو ١٨ : ٣٦) .

لقد جاء السيد المسيح إلى العالم ليؤسس مملكة فيه ، لكنها مملكة روحية دعاها « ملكوت الله » أو « ملكوت السموات » ، وهو ملك هذه المملكة الروحية ... سأل بيلاطس المسيح : « أفأنت إذاً ملك ؟ » أجاب : « أنت تقول إنى ملك . لهذا قد وُلدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق » (يو ١٨ : ٣٧) ... إن مملكة المسيح هى مملكة الحق فى القلب . فقد جاء ليملك على قلوب البشر... والمسيح يملك بالحب وليس بالعنف ، لا يرفع سيفاً ولا يعلن حرباً ... كان ملكاً بغير سلاح إلاَّ سلاح الروح ، وملكاً بغير قوة سوى قوة الحب !!

قال أحدهم : [صرخ اليهود قائلين : إن كان هو (المسيح) ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . أما نحن فنقول : إننا نؤمن به ونسجد له لأنه رفض أن ينزل عن الصليب حباً لنا ومن أجل فدائنا] !!

ما المقصود بملكوت الله ؟

ماذا كان المسيح يقصد بتعبير « ملكوت الله » ؟ ... لقد عَنَى المسيح بملكوت الله حالة القداسة والبرارة التى تؤهل البشر للتمتع بنعيم الله الأبدى كنتيجة لملكه على حياتهم ... إن الإنسان ينال عربون الملكوت وهو مازال بالجسد فى هذا العالم ... وهذا عين ما أوضحه السيد المسيح للفريسيين عندما سألوه : « متى يأتى ملكوت الله » فكان جوابه : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة . ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك . لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢٠ ، ٢١) .

كان جواب السيد المسيح عن سؤال الفريسيين من نوع جوابه على نيقوديموس : « إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ... الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح » (يو ٣) ...

هذه الإجابات تتلخص فى أن ملكوت الله روحى ولا يأتى بمراقبة ، بمعنى أنه ليس شيئاً مادياً يخضع للحدود الجغرافية ، ولا يقع تحت حصر البصر، لأنه أوسع من أن يحدّه مكان « لا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك » ...

سبق أن قلنا إن « ملكوت الله » أو « ملكوت السموات » ، هو مُلك الله على الأرض أو مُلك السماء على الأرض ... **والحق إن السماء لم تملك بعد على الأرض حتى الآن ... إنما الذى يملك على الأرض الآن ببطشه وجبروته وطغيانه هو الشيطان « رئيس هذا العالم »** (يو ١٢ : ٣١ ؛ ١٤ : ٣٠ ؛ ١٦ : ١١) ... نحن فى عالم غريب امتلأ بالأوضاع المقلوبة . فالأشرار فيه يُثابون ، والأبرار يعاقبون ، وعباد الله يُهانون ، وعُبّاد البعل يكرّمون ... كم من أبرار فى أغلال السجون يرسفون ، وكم من اناس يعيثون فى الأرض فساداً فى بحبوحة يرتعون ... ليس هذا هو حكم السماء على الأرض ، إنما هو حكم الشيطان على الأرض . وان يكن هذا يحدث بسماح من الله الذى يسمح بالشر لحكمة يراها ... لكن هذا كله إلى حين ... **إن السماء تحكم الأرض من خلال الأبرار والقديسين والأتقياء الذين اسلموا حياتهم لله .**

من خلال الآيات الكتابية التى وردت فى العهد الجديد عن « ملكوت

الله » و« **ملكوت السموات »، ونلاحظ أنها تؤلف ثلاث حلقات متصلة ببعضها : الحلقة الأولى** تصف ملكوت السموات كبذرة فى قلب المؤمن، وهو ما يُعبر عنه بقول رب المجد : « ها ملكوت الله داخلكم »... **والحلقة الثانية** تصف الملكوت كشجرة ـ بعد أن كانت حبة خردل. إنها شجرة وارفة الظلال تأوى تحت ظلها أمم وشعوب الأرض... **والحلقة الثالثة** تصف « ملكوت السموات » فى طور الكمال كثمرة ناضجة، اعدت ليتمتع بها المؤمنون فى المجد الأبدى، على نحو ما نراه مدوناً فى الاصحاحات الختامية من سفر الرؤيا عن أورشليم الجديدة...

الحلقة الأولى ـ ملكوت الله أو ملكوت السموات ـ كبذرة، هو حالة روحية قلبية. لا شىء فيها يُرى أو يُلمس... هو ليس شيئاً مادياً. فملكوت الله ليس أكلاً وشرباً، بل هو برّ وسلام وفرح فى الروح القدس (رو ١٤ : ١٧)... **وملكوت السموات كشجرة** يحتاج إلى الصبر على المكاره « إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » (٢تى ٢ : ١٢)... **أما الحلقة الثالثة وهى ملكوت السموات كثمرة**، فإن الله سوف يدخلنا إليه متى نقلنا إلى المجد، فندخل إلى قلب الفرح فى السماء، بعد أن دخل فرح السماء إلى قلوبنا...

إن تعبير السيد المسيح « ها ملكوت الله داخلكم » يصف تماماً وبدقة صورة ملكوته الروحى... **لقد بدأ هذا الملكوت فى مزود بيت لحم، دون أن يُحسّ به العظماء والأغنياء وحكماء هذا الدهر... وظهر فجأة فى الهيكل بأورشليم، ولم يتعرف عليه أحد سوى سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل النبية (لو ٢ : ٢٥ ، ٣٦)... وبعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ تعرّف عليه قلّة من صيادى السمك والعشارين فى الجليل**... لم يكن للحكام وكهنة اليهود ورؤسائهم والكتبة والفريسيين عيون ليبصروه... لقد جاء الملك إلى خاصته، وخاصته لم تقبله... حدث ذلك بينما أعلن اليهود أنهم فى انتظار الملكوت... وخطأهم الذى وقعوا فيه أنهم كانوا ينظرون فى الإتجاه المضاد... كانوا فى انتظار علامات. وكان ملكوت الله فى وسطهم، لكنهم لجهلهم وغباوتهم لم يتعرّفوا عليه.

وثمة نقطة أخرى نشير إليها ... لقد ذكر القديس بولس فى (أف ٥ : ٥) « ملكوت المسيح والله »، ويذكر فى (كو ١ : ١٣) « ملكوت ابن محبته »، فماذا

كان بولس يعنى بملكوت المسيح ؟

ملكوت المسيح هو مُلك المسيح الروحى على قلوب المؤمنين ... لقد تمت هذه الملكية للبشر عندما دفع الرب ثمن نفوسنا على الصليب ... لكى يملك إنسان شيئاً عليه أن يدفع الثمن «قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله» (١ كو ٦ : ٢٠) ... «**قد اشتريتم بثمن** فلا تصيروا عبيداً للناس» (١ كو ٧ : ٢٣) ... «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، لكن قد اظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ بط ١ : ١٨- ٢٠).

أمثال المسيح عن الملكوت ودلالتها :

ضرب السيد المسيح عدة أمثال لتوضيح بعض صفات ملكوت الله ... ففى الاصحاح الثالث عشر من الإنجيل بحسب القديس متى، أورد سبعة أمثلة قدمها السيد المسيح عن الملكوت هى مثل الزارع، **والزوان والحنطة، وحبة الخردل، والخميرة التى خمّرت العجين كله، والكنز المخفى فى حقل، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والشبكة المطروحة فى البحر.** وفى الأصحاح العشرين يقدم متى **مثل الفعلة والكرم.** وفى الاصحاح الحادى والعشرين يقدم **مثل الكرم والكرامين** ثم **مثل العرس والمدعوّين** فى الاصحاح الثانى والعشرين وأخيراً **مثل العذارى** فى الاصحاح الخامس والعشرين ...

ولا شك أن كل مثل من هذه الأمثلة يوضح لنا بعض ملامح الملكوت أو جوانبه، أو بعض النواحى الروحية التى يريد ربنا يسوع أن نتحلى بها فى حياتنا الشخصية. يضاف إلى ذلك أن بعض أمثلة الملكوت قصد بها المسيح كنيسته المقدسة التى هى مملكته أيضاً وتضم أعضاء جسده السرّى غير المنظور... والآن نستعرض بعض هذه الأمثلة ...

(١) مثل الزارع :

نجد هذا المثل فى (مت ١٣ : ١ - ٩ ، ١٨ - ٢٣ ؛ لو ٨ : ٤ - ١٥ ؛ مر ٤ : ١ - ٩ ، ١٣ - ٢٠).

يوضح هذا المثل مسئولية الإنسان فى أن يملك الله على قلبه ... ونلاحظ فى هذا المثل أربعة أشياء : **الزارع - البذار - التربة - النتيجة** ...

من جهة الزارع الزرع الجيد هو يسوع المسيح ابن الإنسان (مت ١٣ : ٣٧) - **من جهة البذار** هى كلمة الله ، وكلمة الله جيدة وحيّة وامضى من كل سيف ذى حدّين (عب ٤ : ١٢) ... **تتبقى التربة التى تشير إلى قلب الإنسان ... وهذه ترتبط بالنتيجة .**

فى هذا المثل يوضح رب المجد حرية إرادة الإنسان فى قبول كلمة الله . ويشير إلى أربعة أنواع من التربة : ما يشبه الطريق ، وما يشبه الأماكن المحجرة ، وما يشبه الأرض المليئة بالشوك ، ثم ما يشبه الأرض الجيدة ... والقلب الذى يُرمز إليه بالتربة هو مسئولية الإنسان ... **مفروض أن الله خلق الإنسان صالحاً (تك ٩ : ٦) . فكيف تحولت التربة الجيدة إلى طريق مُداس بالأقدام حتى تبلّط . وكيف اهملت التربة الجيدة حتى نبت فيها الشوك . وكيف صارت التربة الجيدة محجرة ؟ ... لا شك هذا كله هو مسئولية الإنسان ...**

وفى هذا المجال نلاحظ امكانية تحويل كل نوع من الأنواع الثلاثة الأولى للتربة ، إلى تربة جيدة . وهنا نحن نرى فى عصرنا تحويل كثير من الأراضى الرملية الصحراوية والأراضى البور إلى أراضى صالحة للزراعة ، وهو ما يسمى باستصلاح الأراضى ... لكن الأمر فى هذا الاستصلاح يحتاج إلى جهد وصبر . وهذا ما عبرّ عنه رب المجد عن أمثال هؤلاء أنهم « يثمرون بالصبر » (لو ٨ : ١٥) ... **لا يأس إذن لأى إنسان ، مهما وصلت حالة قلبه من القساوة ، ومهما امتلأ بأحجار العثرات ، وأشواك الشهوات ... فى الإمكان أن يتحول بالتوبة وممارساتها إلى أرض جيدة تثمر ثمراً جيداً .**

(٢ ، ٣) مثل الزوان والحنطة ، ومثل الشبكة المطروحة فى البحر :

(مت ١٣ : ٢٤ ـ ٣٠ ؛ ٢٦ ـ ٤٣) ؛ (مت ١٣ : ٤٧ ـ ٥٠) .

فى مثل الزوان والحنطة ، يقال إن بذرة الزوان شديدة الشبه بحبة الحنطة ، كما أن نبات الزوان وهو بعد صغير يكون شديد الشبه بالحنطة ... لذا يصعب فى الأطوار الأولى من النمو، التمييز بين الحنطة والزوان . ولا يظهر الفارق بينهما جلياً إلاَّ بعد ظهور رؤوس النبات . ولكن فى هذه المرحلة المتقدمة من النمو تكون جذور الحنطة والزوان قد تشابكت معاً فى باطن التربة ، بحيث يتعذر اقتلاع نبات الزوان دون اقتلاع بعض الحنطة معه ...

إلى أى شىء يشير كل من الحنطة والزوان فى هذا المثل ؟

لا خلاف فى أن **المقصود بالحنطة هو الأبرار والأتقياء** . لكن إلى أى شىء يشير الزوان ؟

الزوان يشير إلى أشرار الناس . وإن كان بعض آباء الكنيسة الكبار كيوحنا ذهبى الفم وأغسطينوس يرون أن الزوان أيضاً رمز للتعليم الفاسد من جهة الإيمان والهراطقة .

ومهما يكن من أمر فإن **الحقل فى هذا المثل يشير إلى العالم وليس إلى الكنيسة** كما فهم البعض . فالسيد المسيح له المجد يقول صراحة : « الحقل هو العالم . والزرع الجيد هو بنو الملكوت . والزوان هو بنو الشرير» (مت ١٣ : ٣٨) ...

والمقصود بالمثل هو وجود الشر فى العالم كأمر واقع ، واستمرار وجوده بسماح من الله ... يجب أن نفهم هذا جيداً ، أننا على هذا الأساس نحيا فى العالم ونتعامل مع الناس ... الزوان هو بنو الشرير أى الشيطان . قال السيد المسيح لليهود : « أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يو ٨ : ٤٤) .

مَن الذى زرع الزوان ؟ زرعه عدو (إبليس) ... كيف ومتى فعل ذلك ؟

فعله **«فيما الناس نيام»**. أى فى حالة غفلة وتهاون وعدم يقظة روحية ... إن

الملكوت داخل الإنسان يحتاج إلى يقظة ... احذر الشيطان، **فلقد زرع ولا يكف عن الزرع فهذا عمله !!**

ما هو موقفنا من الزوان ؟ ... ليس عملنا أن نقتلع الزوان، بل النمو، والنمو الدائم. فقد قال رب المجد: « دعوهما (الحنطة والزوان) ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد ». وفى قوله: « معاً » يعنى الخير إلى جانب الشر ... **الله يعلمنا أننا فيما نقتلع الزوان يخشى أن نقتلع معه الحنطة ...**

كثيرون على مرّ العصور انشغلوا بنزع الزوان. وفيما هم يحاولون ذلك انشغلوا عن الإيجابيات فى حياتهم الخاصة، فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الكنيسة !! الله لا يوافق على استئصال الشر والأشرار رغم بغضه له ولهم، خوفاً على الخير ومحبيه ... **لنحذر عند تقليم الأغصان الجافة فى الشجرة أن نقتلها أو نأتى عليها ... ورغم فساد كهنة اليهود ومعلميهم من أمثال الكتبة والفريسيين، كان السيد المسيح حريصاً على مهاجمة فسادهم دون الدور الدينى الذى كانوا يؤدونه ...!!**

ونلاحظ فى هذا المثل **أن العدو بعد أن زرع الزوان « مضى »** (مت ١٣ : ٢٥)، وذلك حتى لا يُرى ... **إن أسلوب إبليس فى العمل هو التخفّى.** انه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور (٢ كو ١١ : ١٣، ١٤) ... ثم ان إبليس مضى لأن الزوان لا يحتاج إلى عناية كالزرع الجيد. وكما يقولون: « نبات شيطانى » ... إن السقوط لا يحتاج إلى جهد. يكفى أن الإنسان يترك ذاته فيسقط. وأما النهوض والقيام فيحتاج إلى جهد ...

سيظل الزوان والحنطة متجاورين فى هذا العالم ... **سيظل الخير والشر معاً حتى نهاية العالم « إلى الحصاد ». والحصاد هو إنقضاء الدهر ...** « وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة. ارسل منجلك واحصد، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد، إذ قد يبس حصيد الأرض » (رؤ ١٤ : ١٥).

هذا عن مثل الزوان والحنطة، فإذا أتينا إلى **مثل الشبكة المطروحة فى البحر، نجده يقدم نفس المعنى ...** « يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع. فلما امتلأت اصعدوها على الشاطىء. وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية. وأما الأردياء فطرحوها خارجاً. هكذا يكون فى إنقضاء العالم. يخرج الملائكة

و يفرزون الأشرار من بين الأ برار. و يطرحونهم فى أتون النار...» (مت ١٣ : ٤٧ - ٥٠) ...

والمعنى كما يوضح المثل ، هو تلازم الخير والشر فى العالم حتى إنتهاء هذا الدهر (فالاثنان موجودان فى شبكة واحدة). وان الشر لن يستأصل من الأرض قبل اليوم الأخير. سيخالط الأشرار الأ برار فى ملكوت الله على الأ رض إلى يوم الدينونة ...

(٤ ، ٥) مثل حبّة الخردل ومثل الخميرة :

(مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢ ؛ مر ٤ : ٣٠ - ٣٢ ؛ لو ١٣ : ١٨ ، ١٩) ؛
(مت ١٣ : ٣٣، لو ١٣ : ٢٠ ، ٢١).

فى مثل حبة الخردل يقول رب المجد إن إنساناً أخذها « وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها » (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢) .

يقول القديس جيروم إن ملكوت السموات فى هذا المثل هو الكرازة بالإنجيل . إن هذا المثل يشير إلى نمو الملكوت وامتداده . فالمسيحية بدأت متواضعة فى أعداد قليلة ولكن سرعان ما أن « الذين لم تسمع أصواتهم فى كل الأرض خرج منطقهم ، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » ... **وقد تنبأ عن ذلك دانيال النبى** بقوله : « كنت أرى فإذا بشجرة فى وسط الأرض وطولها عظيم . فكبرت الشجرة وقويت فبلغ علوها إلى السماء ، ومنظرها إلى أقصى كل الأرض . أوراقها جميلة وثمرها كثير ، وفيها طعام للجميع ، وتحتها استظل حيوان البرّ. وفى أغصانها سكنت طيور السماء وطَعِمَ منها كل البشر» (دا ٤ : ١٠- ١٢) .

وطيور السماء فى هذا المثل ترمز إلى الشعوب الوثنية . وكان هذا التشبيه مألوفاً وشائعاً فى كتب الأدب اليهودى فى ذلك العصر.

وهكذا فإن مثل حبّة الخردل يشير إلى إنتشار المسيحية الخارجى ... ومازالت حبّة الخردل التى صارت شجرة كبيرة تمتد بأغصانها رغم تيارات المادية والإلحاد التى تناهضها فى بقاع كثيرة من العالم ... لعل المسيح بهذا المثل أراد أن يشجع القطيع الصغير الذى سُرَّ الآب أن يعطيهم الملكوت (لو ١٢ : ٣٢) .

وإذا كان مثل حبة الخردل يشير إلى نمو المسيحية الخارجى وانتشارها ، فإن مثل الخميرة يشير إلى عمل المسيحية وفعاليتها بالنعمة فى داخل الإنسان ... فالملكوت فى هذا المثل يشبه : « خميرة اخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » (مت ١٣ : ٣٣) ... والخميرة الموضوعة فى عجين الدقيق تتفاعل من الداخل دون أن نرى ماذا يحدث . كل ما نلاحظه أن العجين يرتفع و يزداد حجمه

بفعل الخميرة.

وعلى الرغم من أن الخميرة رمز للشر فى الكتاب المقدس (١ كو ٥: ٧؛ لو ١٢: ١؛ غل ٥: ٩)، وحرّمت الشريعة الموسوية استخدامها فى التقدمات، باستثناء حالة واحدة وردت فى (لا ٢٣: ١٧)، وفى عيد الفصح كان اليهود يعزلون الخمير من بيوتهم مدة سبعة أيام، لكن من الممكن استخدام نفس التشبيه للتعبير عن الشر والخير، كل من زاوية خاصة. فالمسيح له المجد شبّه فى الكتاب بأسد «هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود» (رؤ ٥: ٥)... والشيطان شُبّه بأسد زائرٍ يجول ملتمساً ابتلاع المؤمنين (١بط ٥: ٨)... والمسيح رمز إليه بحية من نحاس رفعها موسى فى البرية (يو ٣: ١٤)، بينما الحية هى التى أغوت حواء فى البداية. كما أن المسيح طالب اتباعه أن يكونوا حكماء كالحيّات... وهكذا.

أما عن الثلاثة أكيال دقيق التى خبأت المرأة فيها الخميرة، فيقول عنها القديس أغسطينوس إنها ترمز لأولاد نوح الذين عمّروا الأرض بعد الطوفان. وقال آباء آخرون انها تشير إلى قارات العالم الثلاث المعروفة فى العالم القديم وقتئذ. وهكذا يكون المعنى أن الثلاثة أكيال دقيق تشير إلى العالم كله على نحو ما قال السيد المسيح لرسله وتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع. اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥)... والعالم أجمع هو الثلاث قارات القديمة (آسيا وأوربا وأفريقيا)، والخليقة كلها هم نسل أبناء نوح الثلاثة..

وهناك رأى آخر للقديس جيروم بخصوص الثلاثة أكيال دقيق انها تشير إلى العناصر التى يتكون منها الإنسان وهى الروح والجسد والنفس. وحينما تعمل النعمة فيها يكونون فى توافق.. ويقول جيروم أيضاً إن المرأة فى هذا المثل تشير إلى الكنيسة والثلاثة أكيال تشير إلى الآب والابن والروح القدس... هذا ويرى أغسطينوس أيضاً فى الثلاثة أكيال الإنسان بكل قلبه وكل نفسه وكل فكره (مت ٢٢: ٣٧)...

ومهما اختلفت التفسيرات فالمقصود ان رسالة الإنجيل وعمل النعمة أشبه بقوة جديدة مُجدّدة انسابت إلى العالم، وهى كافية لتجديده...

(٦) مثل الفعلة فى الكرم : (مت ٢٠ : ١ - ١٦) .

ويتلخص هذا المثل فى أن صاحب كرم خرج صباحاً ليستأجر فعلة لكرمه، فاتفق معهم على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة إلى السوق ورأى فعلة آخرين بلا عمل، فاستأجرهم وأرسلهم إلى الكرم. **ثم خرج نحو الساعة السادسة والتاسعة** وفعل مثل ذلك. ثم خرج نحو الساعة الحادية عشرة واستأجر آخرين وجدهم بلا عمل. وفى المساء طلب صاحب الكرم إلى وكيله أن يستدعى جميع الفعلة الذين عملوا فى الكرم. وابتدأ بالذين أستأجرهم فى الساعة الحادية عشرة، وأعطى كلاً منهم ديناراً. فظن الذين عملوا من أول النهار أنهم يأخذون أكثر، لكن صاحب الكرم ساواهم بمَن عملوا فى الساعة الحادية عشرة، فتذمروا على صاحب الكرم. فقال لواحد منهم: «يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معى على دينار. فخذ الذى لك واذهب، فإنى اريد أن أعطى هذا الأخير مثلك. أو ما يحلّ لى أن أفعل ما أريد بمالى». وختم الرب يسوع المثل بقوله: «هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين. لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون».

يقول العلامة أوريجينوس فى تفسيره لهذا المثل إن العالم يشبّه بيوم طويل. أول النهار يمثل الفترة من آدم إلى نوح. والساعة الثالثة تمثل الفترة من نوح إلى إبراهيم. والساعة السادسة تمثل الفترة من إبراهيم إلى موسى. والساعة التاسعة تمثل الفترة من موسى لمجيء الرب يسوع. ونلاحظ أن السيد المسيح قد ادمج الساعة السادسة مع التاسعة «وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة»، لأن فى هاتين الساعتين كان يدعو اليهود ويفتقد البشر ليؤسس عهوده، لأن الوقت كان يقترب لخلاص العالم. والساعة الحادية عشرة تمثل الفترة من مجيء الرب إلى نهاية العالم.

ويقول اوريجينوس أيضاً، من باكر النهار حتى الساعة التاسعة تمثل الشعب اليهودى. أما الساعة الحادية عشرة فدُعىَ فيها الأمم (لأن المسيح مات على الصليب فى الساعة التاسعة) ... إن أصحاب الساعة الحادية عشرة قالوا لصاحب الكرم: «لم يستأجرنا أحد». أى لم يأتنا أحد الآباء البطاركة (مثل إبراهيم

وإسحق ويعقوب)، أو الأنبياء. إن أحداً لم يكرز لنا طريق الحياة ...

إن الكرم هو الكنيسة الجامعة من عصر هابيل الصدّيق إلى آخر المختارين الذين يولدون فى العالم. والله خلال هذه الفترة الطويلة لم يتوقف عن إرسال عمالاً لكرمه ليعلّموا شعبه البر. وقد تم ذلك أولاً بالآباء البطاركة ثم بمعلمى الناموس والأنبياء، وأخيراً بواسطة الرسل.

فلما كان المساء بدأ يعطيهم أجرهم ... المساء يشير إلى نهاية العالم. ولم يقل صباح اليوم التالى، لأنه الراحة الأبدية ...

أصحاب الساعة الحادية عشرة أخذوا أولاً إشارة إلى الأمم الذين مجدوا الله من أجل الرحمة (رو ١٥ : ٩) ... والرحمة لا ترتبط بالترتيب «أرحم مَن أرحم وأترأف على مَن أترأف» (رو ٩ : ١٥).

ويقول القديس أغسطينوس إن كل واحد أخذ ديناراً بالتساوى. الجميع أخذوا بالتساوى، لأن الملكوت هو نصيب الجميع ... لكن كل واحد كان عمله مختلفاً، لأن فى بيت أبى منازل كثيرة. ونجم يختلف عن نجم فى المجد ...

إن الإنسان الذى يخدم المسيح على أساس المعادلات الحسابية وتقدير الوقت والأتعاب والأجور، أو طمعاً فى مجازاة فى هذه الحياة أو الحياة الأخرى ... مثل هذا الإنسان لم يفهم روح المسيح. ذلك لأن الخدمة يجب أن تفهم على أنها تؤدى لله وفاء لدين ... ثم ان الخدمة المسيحية تؤدى من أجل المحبة.

(٧) مثل العرس والمدعوين: (مت ٢٢ : ١ - ١٤ ؛ لو ١٤ : ١٦ - ٢٤).

يورد القديس متى فى إنجيله هذا المثل عن ملك صنع عرساً لابنه. أما القديس لوقا فى إنجيله فيورد هذا المثل عن إنسان صنع عشاءً عظيماً. وفى كلا الروايتين اعتذر المدعوون عن الحضور...

أما هدف السيد المسيح من هذا المثل فهو وجوب تلبية دعوة الله دون الاحتجاج بأى هموم أو مشغوليات، لأن الدعوة لا تحتمل التسويف ...

فى المثل بحسب القديس متى فإن العرس يشير إلى الكنيسة الآن فى العالم ... أما فى لوقا فالعشاء يشير إلى الوليمة الأبدية ... كثيرون فى هذا الزمان يحضرون العرس أى يدخلون إلى الكنيسة التى سيتركونها . لكن الذين يدخلون إلى الوليمة الأخيرة فلن يخرجوا منها .

الملك أرسل عبيده أى الأنبياء ... لقد أرسل عبيده مرتين . والعبيد فى المرة الأولى هم الأنبياء، وفى المرة الثانية هم الرسل ... ويرى العلامة أوريجينوس ان العبيد فى المرة الثانية هم مجموعة ثانية من الأنبياء ... أما الملك فى هذا المثال فيرمز للآب السماوى . والابن الذى اقيم له العرس هو المسيح . أما العروس فهى الكنيسة .

وفى المثل بحسب رواية القديس لوقا ان صاحب الوليمة رأى إنساناً وسط المدعوّين ليس عليه ثياب العرس ... فماذا يكون ثياب العرس ...؟

لقد فسرّوا ثياب العرس بالمحبة ـ وهذا هو رأى أوريجينوس الذى يستند لكلام بولس الرسول : « البسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين احشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة ... وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال » (كو ٣ : ١٢ ، ١٤) ... **وفسرّوه أيضاً بالإنسان الخاطىء الذى لم يلبس الرب يسوع** (رو ١٣ : ١٤) . أى الخاطىء الذى لم يغيّر طريقة حياته ويحيا الحياة الجديدة ...

هذا الإنسان الذى لم يكن لابساً ثياب العرس ، لما سُئل كيف دخل وليس عليه ثياب العرس « سكت » (مت ٢٢ : ١٢) ... والمعنى انه ليس للإنسان عذر أو إجابة يجيب بها عن حياة الخطيئة التى يحياها .

(٨ ، ٩) مثل الكنز المُخْفى فى حقل ، واللؤلؤة الكثيرة الثمن :

(مت ١٣ : ٤٤) ؛ (مت ١٣ : ٤٥ ، ٤٦) .

ويقصد رب المجد يسوع بهذين المثلين أن الأرض بكل كنوزها والعالم بكل ما فيه لا يوازى الملكوت .

فى مثل الكنز المخفى فى حقل يقول ربنا يسوع : « يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخفى فى حقل، وجده إنسان فأخفاه، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل » .

يبتدى الرب يسوع هذا المثل بكلمة « يشبه » ، لأن الملكوت لا شبيه له فى عالم المادة. يقول داود مناجياً الله : « ليس لك شبيه فى الآلهة يارب، ولا مَن يصنع كأعمالك » (مز ٨٦ : ٨) ...

الكنز مخفى فى حقل ـ ماذا يكون هذا الحقل ؟

ربما كان هذا الكنز هو الإنجيل على نحو ما يوجد اللبن فى الصدر، والنخاع فى العظام، والمنّ فى الطلّ، والماء فى البئر، والشهد فى خلية النحل !! ليس هو فى حديقة ذات سور، بل فى حقل مكشوف يمرّ عليه الناس جيئة وذهاباً كل يوم... فمَن يريد الفوز بالكنز فما عليه إلاَّ أن يأتى ويفلّح الحقل حتى يجده... من أجل هذا يقول رب المجد يسوع : « فتشوا الكتب (المقدسة) لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩) .

وربّ قائل يقول لقد قرأت الكتاب المقدس لكنى لم أعثر على هذا الكنز... ولمثل هذا الإنسان نقول إن أغنى المناجم توجد عادة فى الأراضى المجدبة وعلى أعماق سحيقة. فلا تتوقع أن يوجد الكنز على مقربة من سطح الأرض أو بعد عمق يسير. **الأمر يحتاج إلى عمق أكثر. وهنا نتذكر كلمات الرب يسوع لسمعان بطرس : « ابعد إلى العمق » (لو ٥ : ٤). كثيرون نظروا إلى السطح، واستخفوا بالإنجيل، لأنهم بطبيعة الحال لم يجدوا شيئاً على السطح. ومن ثم اصدروا حكمهم على هذا الأساس، ان أقوال المسيح لا تفوق تعاليم بوذا وكنفوشيوس !!**

وربما كان الحقل الذى يحتوى على الكنز هو العالم الذى نحيا فيه ، فالمسيح قال صراحة فى مثل الزارع : « الحقل هو العالم » (مت ١٣ : ٣٨)... ويؤيد هذا الرأى قول بولس الرسول عن الله : « **لأن أموره غير المنظورة، تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات،** قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر» (رو ١ : ٢٠)... **فقدرة الله وعظمته وسموّه وكثير من صفاته، يمكن التحقق منها بالتأمل فى**

مخلوقاته ... « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) ... حتى أن الطيور والحيوانات والطبيعة الجامدة كلها تسبّح الله (مز ٦٥ ، ٩٦ ، ٩٧) ...

يمكنك أن تجد الكنز المخفى - وهو الرب يسوع - فى شخص رجل فقير يستحق احساناً. ويمكن أن تجده فى إنسان مريض ، أو آخر يحتاج إلى كلمة تعزية وهكذا ... ألم يقل الرب يسوع : « الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٤٠) ؟!

وذلك الشاب الغنى الذى سأل الرب يسوع عما يفعله ليرث الحياة الأبدية . فكان جوابه عليه أن يذهب و يبيع كل ماله و يعطى الفقراء فيكون له **« كنز فى السماء »** و يتبعه حاملاً الصليب (مر ١٠ : ١٧ - ٢١) ... **وعلى هذا الأساس ظهرت الرهبنة فى المسيحية .**

لكن كيف يكون الكنز والحال هذه مُخْفى ؟

نَعم مُخفى ... إذ مَن يظن أن ذلك الفقير المعدم هو الرب يسوع ؟! ومَن يظن ان المسجون هو الرب يسوع ؟! ومَن يظن أن المريض والمقعد هو الرب يسوع ؟!... لو سار المجوس بحسب منطق أهل العالم لما اهتدوا إلى الطفل يسوع . وحتى لو اهتدوا إليه لما اهتدوا إلى كُنْهه وحقيقته ... لكنهم وجدوا الملك الإلهى .. أين ؟ وجدوه مُضجعاً فى مزود تحوطه البهائم فى اثمال بالية ... لكنهم - والحال هذه - ما كذّبوا ما رأته عيونهم . ولوقتهم سجدوا له ، وقدموا له هداياهم ... مَن يظن أن ملك الملوك يولد فى مزود للبهائم ... أليس هذا كنز مخفى ؟!

هذا الكنز وجده إنسان فأخفاه ... ...

وجده إنسان - أى إنسان ... فالمسيح أتى لأجل الجميع ... لليهودى واليونانى ، والبربرى والسكيثى ، والعبد والحرّ ، والجاهل والحكيم ...

هذا الإنسان الذى وجد الكنز أخفاه . ولماذا أخفاه ؟!

أمر فرعون مصر القابلات العبرانيات بقتل كل أطفال اليهود الذكور. لكن موسى

اخفته أمه ثلاثة شهور، وبذا عاش الطفل ... **والفضيلة هى مولود النفس، نحتاج أن نُخَبّئها من فرعون الروحى أى إبليس** ... إن الفحم بعد أن يشتعل تعلوه طبقة من الرماد بحيث يخاله الناظر أنه منطفىء. لكن ما أن يقترب منه حتى يحسّ بالدفء والحرارة... **هكذا الإنسان المسيحى يجب أن يحرص على اخفاء كنزه ... وهكذا عاش القديسون حياتهم ... إن كل مجد ابنة الملك من داخل** (مز ٤٥ : ١٣).

« ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل ».

« من فرحه » ... هذا يشير إلى الدافع والاشتياق ... **كان فرح هذا الإنسان بالكنز أكثر من جميع ممتلكاته** ... إن القديس بولس بعد أن عدّد اتعابه فى خدمة الكرازة يقول: « كمائتين وها نحن نحيا، كمؤدبين ونحن غير مقتولين، **كحزانى ونحن دائماً فرحون**. كفقراء ونحن نُغْنى كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء » (٢ كو ٦ : ٤ - ١٠) ... **وعلى الرغم من أن الإنسان لا شيء له، ولكنه فى نفس الوقت يملك كل شيء، لأنه يمتلك الكنز** الحقيقى ... هذا ما فعله الآباء النُّسَّاك الذين عاشوا فى البرارى والقفار فى حياة تجرّد كامل، لكنهم ومع ذلك كانوا يحملون بداخلهم الكنز الحقيقى ربنا يسوع المسيح ...

« وباع كل ما كان له ».

ما هذا الذى يبيعه الإنسان لكى يشترى الكنز ؟ ... ليس من الضرورى أن تكون ممتلكات يبيعها الإنسان، ويوزع ثمنها على المحتاجين لكى يقتنى الكنز... قد لا يكون لدى مالاً، لكنى أقتنى دموعاً وخشوعاً ومسكنة روحية ... هذه كلها وغيرها استطيع أن أشترى بها الكنز... قد ابيع شهواتى الجسدية وكل ما يعوقنى عن الحياة مع الله، بمعنى اتركها ... وبهذا اشترى الحقل الذى به الكنز...

هذا الإنسان الذى اكتشف وجود الكنز **« مضى وباع كل ما كان له » ... إن هذا يشير إلى الخطوات الايجابية فى سبيل اقتناء الكنز**... التخلى عن الشهوات. التحلل من كل رباطات الخطية... **« ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » (مت ١٩ : ٢٧)** ...

وماذا بعد هذا ... لقد اشترى ذلك الإنسان الحقل الذى اكتشف فيه الكنز.. ألم يقل الرسول : **« إننا ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧) ؟!**

وعن مثل اللؤلؤة الكثيرة الثمن يقول رب المجد يسوع : « يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها » .

التاجر فى هذا المثل هو نموذج للإنسان الذى يبحث عن المسيح حتى يجده ... ونلاحظ على هذا الإنسان أربعة أمور: **أولاً يطلب لآلىء حسنة أى يبحث عنها ـ ثانياً إنه يجدها ـ ثالثاً انه يمضى ويبيع ما لديه ـ رابعاً انه يشتريها ...**

ربما اختلف هذا الإنسان التاجر الذى يطلب ويبحث عن اللآلىء الحسنة ، عن الإنسان الذى وجد الكنز فى حقل دون أن يبحث عنه ... قد يكون يبحث عن شىء آخر ووجد الكنز. وهو فى هذه الحالة مثال للإنسان الذى أعلن له المسيح ذاته دون أن يبحث عنه « وُجدت من الذين لم يطلبونى. وصرتُ ظاهراً للذين لم يسألوا عنى » (إش ٦٥ : ١ ؛ رو ١٠ : ٢٠) ... **لكن هذا الإنسان التاجر من طراز أكثر نبلاً ، وله عقلية أسمى ... انه يبحث عن لآلىء حسنة ... ونتيجة جدّه وبحثه ورغبته السامية، وجد اللؤلؤة الكثيرة الثمن ... كان منشغلاً فى التفكير والبحث . وكانت طاقاته منصرفة إلى ذلك ...**

كان لهذا التاجر هدف محدّد : السعى والبحث عن اللآلىء الحسنة والحصول عليها . يجب تحديد الهدف ولا نعرج بين الفرقتين ... إن كان العالم بمغرياته يستحق خدمتك وتعبك فاذهب إليه وكن فى خدمته . وإن كان السيد الرب الذى خلصك يستحق خدمتك فَسِرْ فى هذا الطريق ...

نحن لا نعرف قيمة هذه اللؤلؤة . كل ما نعرفه انها كانت تساوى كل ما يمتلك ذلك التاجر. ولذا فقد مضى وباع كل ما كان له حتى ما يشتريها ... هذا هو عين ما يحدث حينما يجد إنسان المسيح ... لأنه يجد فيه كل احتياجاته ... هل هذه مغامرة أن يبيع الإنسان كل ما له ليقتنى اللؤلؤة التى ترمز للمسيح ... إن الأمر لا يحتاج إلى تردد ...

وحين باع ذلك التاجر كل ما كان له ، صار فقيراً فى نظر الناس ، والفقر يجلب معه البؤس . لكن الحقيقة انه صار أغنى وأسعد إنسان فى الوجود ...

(١٠) مثل العذارى : (مت ٢٥ : ١ - ١٣) .

هذا المثل فى غاية الوضوح ، وهو يختص بمجىء المسيح الثانى ...

يقول القديس أغسطينوس إن هذا المثل يختص بالكنيسة كلها - ليس بالاكليروس وحدهم ولا العلمانيين وحدهم ، بل الجميع « خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) . إن العذارى هن النفوس التى لها الايمان السليم ، ولها أعمال صالحة فى الكنيسة ... ومع ذلك فمنهم خمس حكيمات وخمس جاهلات . **فلماذا خمسة ، ولماذا عذارى ؟** ... النفس البشرية يرمز لها بالعدد خمسة ، لأنها تستخدم خمس حواس . ولأننا لا ندرك شيئاً إلاَّ بإحدى حواس الجسد الخمسة .

كلا الفريقين عذارى نلن عضوية الكنيسة بالعماد وما إلى ذلك . فلماذا قُبلت خمسة منهن ، ورفضت الخمسة الأخريات ؟! ... ليس كافياً انهن عذارى ، وان لهن مصابيح . هن عذارى بسبب ضبط حواس الجسد من الأشياء غير المشروعة (الرديئة) ، ولهن مصابيح بسبب الأعمال الحسنة . هذه الأعمال الصالحة التى يقول عنها الرب : « ليضىء نوركم قدام الناس . ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) . « لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة . وأنتم مثل اناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت » (لو ١٢ : ٣٥ ، ٣٦) ... **فى « الاحقاء المنطقة » العذراوية ، وفى « المصابيح المضيئة »** الأعمال الصالحة . **قليلون هم عذارى بالجسد ، لكن عذراوية القلب يجب أن تكون فى الجميع ...**

يقول أيضاً أغسطينوس : لم يختلف الحكيمات عن الجاهلات إلاَّ فى الزيت ... إن الزيت يشير إلى المحبة . لماذا يُشار للمحبة بالزيت ؟ قال الرسول عن المحبة انها الطريق الأفضل (١ كو ١٢ : ٣١) . إن المحبة تشبَّه بالزيت ، لأن الزيت يطفو على جميع السوائل . إذا صببت زيتاً على ماء فإنه يطفو . وإذا صَبَبْتَ ماء على زيت فالزيت يطفو أى يعلو « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣ : ٨) ... ويُشَارُ بالزيت أيضاً إلى الروح القدس الذى يعطى استنارة للإنسان فى كل حياته ...

« خرجن للقاء العريس » .

المسيح له المجد هو عريس النفس المملوء حلاوة ... تقول عروس النشيد : « اسمك دهن مهراق ، لذلك احبتك العذارى » (نش ١ : ٣) ... **ماذا ينتظر العريس من عروسه ؟ ... ينتظر أن تكون بكل عواطفها له** « اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى سمعكِ وانسِ شعبكِ وكل بيت أبيكِ ، فإن الملك قد اشتهى حسنكِ لأنه هو ربكِ » (مز ٤٥ : ١٠ ، ١١) ...

« فى منتصف الليل صار صراخ » .

لماذا فى منتصف الليل ؟ ... حين لا يتوقع أحد ، وحين لا يكون على حذر... كثيراً ما نصحنا ربنا يسوع أن نسهر... « ليس لكم أن تعرفوا الأوقات والأزمنة التى جعلها الآب فى سلطانه » (أع ١ : ٧) . ويقول معلمنا بولس : « يوم الرب سيأتى كلصّ فى الليل » (١ تس ٥ : ٢) . واللص لا ينبىء بمقدمه . ولكن فى نصف الليل يكون الإنسان قد استغرق فى النوم ... **وإذا كان عمر الإنسان فى العالم يشبّه بالليل ، فمنتصف الليل يشير إلى الإنسان فى عزّ شبابه** ... فى هذه السنّ التى لا يتوقع فيها الإنسان أن يخلع الجسد ، ربما أتى المسيح .

« اعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء » .

هذه كلمات الجاهلات . وهذا الطلب مستحيل بعد الموت ... وحين تجاوبهن الحكيمات « اذهبن إلى الباعة وابتعن لكنّ » ، فليس المقصود أن هذا ممكن ...

وفى غيبة الجاهلات ، جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس **وأغلق الباب .** وعبثاً قرعن العذارى الجاهلات الباب بعد اغلاقه ... حقيقة أن السيد المسيح قال : « اقرعوا يفتح لكم » . لكن هذا الكلام يصلح لزمن الرحمة ، فى مدة حياة الإنسان بالجسد . لكن فى السماء سيكون زمن العدل . ورحمة الله لا تبطل عدله ...

ويُسْدل الستار على المشهد والعذارى الجاهلات واقفات خارجاً . لقد فقدن كل شىء وانتهى الأمر. انه أمر مرعب ومخيف ، لأنه يتعلق بالأبدية التى لا نهاية لها . لذا فإن المسيح يختم هذا المثل بنصيحة أخيرة : « اسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » ...

والسيد المسيح لا يقصد بالسهر هنا سهر الجسد ، وإن كان هذا نافعاً فى الممارسات الروحية . **لكنه على وجه الخصوص يطالبنا بسهر القلب ، وسهر الإيمان ، وسهر الرجاء ، وسهر المحبة ، وسهر الأعمال الحسنة ... قالت عروس النشيد : « أنا نائمة وقلبى مستيقظ »** (نش ٥ : ٢)... نحن **الآن فى فترة الخطبة ، لأننا مخطوبون للمسيح** « خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢)... **وفترة الخطبة هى فترة التعرّف وتنمية العواطف تهيئة ليوم العرس الذى سيكون فى السماء** (لو ١٤ : ١٦ - ٢١) .

ويقول القديس يوحنا فى رؤياه : « وسمعتُ كصوتِ جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا ، فإنه قد مَلَكَ الربُّ الإله القادر على كل شىء . لنفرح ونتهلل ونُعطِه المجد ، **لأن عُرس الخروف قد جاء ، وامرأته هيأت نفسها .** وأعطيت أن تلبس بزّاً نقياً بهياً . لأن البزّ هو تبرّرات القديسين . **وقال لى اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الخروف** » (رؤ ١٩ : ٦ - ٩) .

سعادة الملكوت والحياة الأبدية :

وأخيراً ، لا نجد كلاماً نختم به موضوعنا عن الملكوت أروع وأفضل مما قاله القديس أغسطينوس . يقول :

[**الحياة الأبدية مشاهدة . هذا ما قاله المسيح ذاته : « وهذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »** (يو ١٧ : ٣) . فالحياة الأبدية هى أن يعرفوا ويشاهدوا ويدركوا ما آمنوا به ، وينالوا ما لم يكن بوسعهم أن يدركوه . حينئذ يرى العقل ما لم تره العين ، ولم تسمعه الأذن ، وما لم يخطر على قلب بشر . ثم يسمعون الكلام القائل : « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٢٤) .

سوف نرى الله ، وذاك شىء عظيم يصبح كل ما عداه تافهاً ولا قيمة له البتة . نحن نعتبر أنفسنا ههنا سعداء إذا كنا نعيش بسلام ، برغم أن الحصول عليه فى هذه الحياة أمر صعب . أما إذا قارنا بين سعادتنا هذه وتلك السعادة العتيدة ، كانت هذه بالنسبة إلى الآتية بؤساً وشقاءً... ماذا يكون عمل الإنسان

هناك ؟ أيَسَر عليَّ قول ما لا يعمل مما يُعمل. وأقول إن استطعت وبقدر ما استطيع.

الفرح فى بيت الله أبدى. وفيه عيد لنا لا ينقضى، بل إلى الأبد مع طغمة الملائكة فى رؤية الله وسرور لا يزول ... وعيد الإنسان هذا هو من الأعياد التى لا بداية لها ولا نهاية. إذا ابتعد الإنسان عن ضوضاء العالم، تناهى إليه من ذاك العيد الأبدى نَغَمٌ عذب وشجى.

هناك لا لزوم للفطنة، إذ لا شر يتحاشاه الإنسان. ولا عدل حيث لا بؤس يجب تخفيفه، ولا اعتدال حيث لا شهوة يُكبح لها جماح، ولا قدرة حيث لا ألم يُحتمل.

جميلة هى أعمال الرحمة وجديرة بكل تقدير، ولكن لا فائدة منها حيث لا يفرضها شقاء ملّح. مَن الذى تطعمه وليس مَن يجوع. ومَن الذى تسقيه وليس مَن يعطش. وأنّى لك أن تكسو العريان وكل الناس يلبسون عدم الموت. وأنّى لك أن تأوى غريباً وكل الناس فى وطنهم. وأنّى لك أن تعود (تزور) المرضى والكل يتمتعون بقوة الطهارة عينها. وانّى لك أن تدفن الموتى وكل الناس أحياء. وأنّى لك أن تصالح المتخاصمين وكل الناس مسالمون. وانّى لك أن تواسى الحزانى وكل الناس فى فرح إلى الأبد ... وطالما أن جميع أنواع البؤس تنتهى، فإن أعمال الرحمة تنتهى معها. هناك تكون سعيداً لا تحتاج شيئاً ولا تطلب شيئاً. وغناك الوافر سيكون هو الله ذاته ...

ستكون سعيداً لأنك لن تحتاج إلى شىء. ستكون مليئاً ولكن من إلهك. وسيكون لك هناك كل ما تتوق إليه ههنا.

ههنا تطلب قوتاً، وهناك يكون الله قوتاً لك.

ههنا تتوق إلى عناق الجسد، وهناك « أما أنا فالالتصاق بالله خير لى » (مز ٧٣ : ٢٨) ... ههنا تطلب الثروات، أما هناك فهل ينقصك شىء، وقد صار لك صانع كل شىء.

ولكنك تقول : ماذا أعمل ؟ يبدو انه لا عمل لى : لا النظر ولا الحب ولا

التسبيح .

إن الأيام المقدسة التى تتلو قيامة الرب (الخماسين المقدسة) تعنى حياتنا بعد القيامة .

وكما أن الأربعين يوماً السابقة لعيد الفصح (القيامة) تعنى حياة الجهاد فى اختبار الموت ، هكذا فإن الأيام التالية للفصح (الخماسين) تعنى حياتنا الأخرى فى المُلك مع الرب .

حياتنا الحاضرة هى كالأربعين يوماً السابقة للفصح . أما الحياة الممثلة بالخمسين يوماً التى تعقب الفصح فلا وجود لها الآن . ولكننا نرجوها ، وبالرجاء نحبّها - ونسبّح الله بهذا الحب عينه ، وقد وعدنا بها] .

فى رسالته الثانية إلى المؤمنين ، يذكر القديس بطرس الرسول أن السيد المسيح دعانا بالمجد والفضيلة ، اللذين بهما وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة ، حتى ما نصير شركاء الطبيعة الإلهية... ثم ينتقل إلى المؤمنين ويحثهم أن يقدموا فى إيمانهم فضيلة ، وفى الفضيلة معرفة (٢ بط ١ : ٣ ، ٥) .

لا شك أن الفضيلة هى ثمرة الإيمان الحقيقى . أو قُلْ هى الدليل العملى على هذا الإيمان... ومن المحزن أننا نعيش فى زمن شَحّت فيه الفضيلة ، وغدا الإيمان نظرياً فى كثير من المسيحيين . ومثل هذا الإيمان النظرى ليس له ثمر. نحن نقرأ عن الفضيلة فى الكتب المقدسة ، وكذا حينما نقرأ فى سير القديسين . ومن الواجب أن نستثمر هذا الذى نقرأه ليصبح سمات مميزة لحياتنا... بهذا تصبح الفضيلة متجسّدة فينا ، ولا تصبح شيئاً نظرياً ، نعيه عقلانياً .

من أجل ذلك ابرز السيد المسيح هذا الأمر فى بداية خدمته الكرازية ، فى عظته الخالدة على الجبل ، وطالبنا أن نكون ملح الأرض ، ونور العالم ، حتى ما يرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجدوا أبانا السماوى (مت ٥)... وختم على كل ما أوصانا به وطالبنا أن نكون شهوداً له حتى إلى أقصى الأرض ، وذلك فى كلماته الأخيرة قبيل صعوده إلى السماء (أع ١ : ٨)... وكيف نقدم الشهادة للمسيح . هل بالكلام الذى لا يعبّر عن حياتنا . وماذا يفيد الكلام ؟!

من أجل كل ذلك اخترنا أن نحدثك فى هذا الجزء الأخير من بستان الروح عن فضائل المسيحية العظمى وبعض ثمارها . كما حدثناك عن مبدأ هام فى الطريق الروحى ، هو مبدأ الباب الضيق ، الذى هو وصية المسيح أيضاً... ثم نختم على كل ذلك بموضوع عن الملكوت الذى هو هدفنا جميعاً ، والذى إليه نسعى ، والذى سنقضى فيه أبديتنا السعيدة... امين تعالَ أيها الرب يسوع .

الثمن ١٣٠ قرشاً